٥ شاقل
العدد
الحادي والعشرون
بعد المئة
أيار ١٩٩٠

الكاتب ١٢١

للثقافة الانسانية والتقدم

- اما آن للعروبة ان تغضب؟!
- دور النقابات ومتغيرات العصر الراهن.
- فيزياء للفلاسفة والشعراء.
- الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها- وحتى ١٩٥٨.
- البؤس والعنصرية في معقل السلطة الاميركية.
- من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة.
- الثقافة ومكانة المهنيا فلسطينيا.
- ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية.

العرب امام تحد كبير، فهل يواجهونه بشجاعة واقدام؟!!

Digitized by Birzeit University Library

● جنود الاحتلال يرابطون امام مدخل كنيسة الروم الاورثوذكس في بيت ساحور في عيد أحد الشعانين.

(تصوير: «نور» ـ خاصة بمكتب «الاتحاد» في القدس)

Digitized by Birzeit University Library

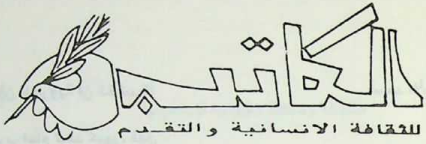

121

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

القدس - هاتف: ٠٢/٨٥٦٩٣١ - ص.ب: ٢٠٤٨٩

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٣٠	٦٠	٧٥
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد (١٢١) أيار ١٩٩٠- السنة العاشرة No.(121) May 1990

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

سياسة

٤	أما آن للعروبة ان تغضب؟!	أسعد الأسعد
٧	العرب امام تحد كبير، فهل يواجهونه بشجاعة واقدام؟!	منير سلام
١٠	قائمة بأسماء شهداء الشهر التاسع والعشرين للانتفاضة	الكاتب

دراسات وأبحاث ومداخلات

١١	دور النقابات ومتغيرات العصر الراهن	جورج حزبون
١٧	ليس دفاعا ولا هجوما على أحد	سعيد ذيب
٢١	فيزياء للفلاسفة والشعراء	نبيل قسيس
٢٨	الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها وحتى العام ١٩٥٨	سعد عباس عبيد
٣٩	البؤس والعنصرية في معقل السلطة الاميركية	فلورانس بوجيه

أدب وثقافة

٥٢	من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة	د. محمد شحادة
٦٨	فضاء الاغنيات،مطولة المتوكل طه واللغة الشعرية الحادة	د. ابراهيم العلم
٧٣	بمناسبة الذكرى الثلاثين بعد المئة لميلاد انطون تشيخوف	سفيتلانا ايفانوفا

Digitized by Birzeit University Library

الآراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير.

فنون

٧٧	الثقافة ومكانة السينما فلسطينيا	سفيان الرمحي

قصة

٨٠	جمع الاسرى جمع	سامي الكيلاني
٨٣	الزجاج المكسور	د. الهام ابو غزالة
٨٧	الدائرة	سمير رنتيسي

شعر

٨٩	هزي غربالك	موسى حافظ
٩٠	عتاب مشروع	هشام ابو ضاحي
٩١	نبتة برية..ونبتة بحرية	سيدي حركش
٩٢	عشق الصبايا	أحمد فؤاد نجم
٩٤	ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية	

Digitized by Birzeit University Library

أما آن للعروبة أن تغضب؟!

اسعد الأسعد

ما حدث، ويحدث في الجانب الاميركي، تجاه الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي، ليس مفاجئا، ويجب أن لا يكون كذلك. لمن يريد أن يفهم الموقف الأميركي، تجاه الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية، على حقيقته.

يوم الثلاثاء الماضي، ١٩٩٠/٤/٢٤، انضم مجلس النواب الاميركي، الى مجلس الشيوخ، الذي سبقه الى الاعلان عن موقفه من القدس، ودعوته الى اعتبارها عاصمة اسرائيل، وبأنها يجب ان تبقى كذلك.

ورغم ادعاء الادارة الاميركية، بأن قراري مجلسي الشيوخ والنواب غير ملزمين لها، ولا يعبران عن سياستها الرسمية، إلا ان ذلك الامر، يجب أن يضعنا أمام حقائق، لطالما أدركناها، وحذرنا من مغبة الاستهتار بها، إلا ان المسؤولين العرب، القابضين على زمام السلطة في العالم العربي، لا يريدون أن يفهموا، وإن فهموا، فهم يتعاملون مع الادارة الأميركية، بطريقة ذلك الفنان الاردني، الذي كان يردد في أحد المسلسلات « بزعل منك هه »، ذلك ما يقوله أصحاب القرار، والسلطة في العالم العربي للادارة الاميركية. وفي أحسن الاحوال، ويبدو أن ردحا طويلا من الزمن، سوف يمر، قبل أن « يزعل » الملوك والرؤساء العرب فعلا.

ان قرار مجلس النواب الاميركي، يضيف دليلا آخر، على استهتار الولايات المتحدة بالقرارات الدولية المتمثلة بالحفاظ على وضع القدس، وعدم شرعية احتلال الجزء الشرقي من المدينة، الذي احتلته اسرائيل عام ٦٧، وتشجيعا صريحا، للمواقف الاسرائيلية المتطرفة، التي تطالب بعدم التنازل عن أي شبر من الاراضي التي احتلتها، ولعل القرارات المتعاقبة، التي اتخذتها أعلى السلطات والمحافل التشريعية الاميركية مؤخرا، في وقت تمتنع فيه عن ادانة محاولات الاستيطان الاسرائيلية داخل القدس القديمة، والاستيلاء على

Digitized by Birzeit University Library

الممتلكات العربية، والتي كان آخرها فندق ماريوحنا، التابع لكنيسة الروم الارثوذكس والمحاذي لكنيسة القيامة. ودعوة المستوطنين والمتطرفين الصريحة، الى عدم تخليهم عن محاولات شراء وامتلاك عقارات عربية في البلدة القديمة وخارجها، يؤكد من جديد، أن أساس البلاء، يكمن في سياسة الادارة الاميركية، ومواقفها المنحازة تماما لاسرائيل.

ولا شك أن الادارة الاميركية، قادرة على حسم الموقف الاسرائيلي، إلا أن موقفها من الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية، يجعلها أبعد ما تكون عن أهليتها للعب دور آخر، فهي تقدم الدعم والمساندة لاسرائيل، من أجل إنجاح محاولات الأخيرة الرامية الى إطالة الوقت، والمراوغة، بهدف القضاء على الانتفاضة الفلسطينية، وفرض شروطها على العرب والفلسطينيين، يساعدها في ذلك، الموقف العربي غير المبالي، وغير الفاعل، بالاضافة الى الظروف الدولية، الذي استجدت منذ عام في الاتحاد السوفيتي والدول الشرقية الاخرى. الامر الذي أدى الى اضعاف الموقف العربي، وانشغال الاتحاد السوفييتي بقضاياه الداخلية، وما ترتب على التغيرات الجديدة.

لقد آن الأوان، للتعجيل بعقد مؤتمر القمة العربي، الذي دعا اليه الرئيس الفلسطيني، بحيث تتصدر القضية الفلسطينية جدول أعماله، والخروج بموقف شجاع، تجاه الادارة الاميركية، والتصدي للقرارت الخطيرة التي اتخذها مجلسي الشيوخ والنواب الاميركيين مؤخرا، وكذلك موضوع هجرة اليهود السوفييت، ومطالبة الاتحاد السوفييتي بعدم حل مشاكله الداخلية، ومصاعبه المختلفة الاخرى على حسابنا، بالاضافة الى معالجة تطورات قضية العراق.

ان استهتار الولايات المتحدة بقضايانا، واستمرارها في تبني مواقف معادية، واستغلالها الزلزال الذي اصاب الاتحاد السوفييتي والبلدان الشرقية الأخرى، وتكالب الاخيرة على اعادة صياغة أنظمتها ودساتيرها وسياساتها، بما يرضي الغرب وخصوصا الادارة الاميركية، يفرض على العرب إعادة النظر في مواقفهم وسياساتهم، بحيث تكون المصلحة القومية، فوق أي اعتبار.

واذا كانت قضايا العرب، وعلى رأسها قضية الشعب الفلسطيني، لم تأخذ حقها في قمة مالطة الأخيرة بين الزعيمين غورباتشوف وبوش، فان ضعف الموقف العربي، كان السبب في ذلك، ويجب أن يدرك القادة العرب، أن الحال سيتكرر في قمة الثلاثين من الشهر الجاري بين الزعيمين، اذا لم يتحرك العرب، فالركون الى الاتحاد السوفييتي لم يعد كافيا، اذ ان لدينا الان قضية مع الاتحاد السوفييتي نفسه، وهي من أخطر القضايا التي تواجهنا منذ أكثر من أربعين عاما، وهي تختلف عن قضيتنا مع الادارة الاميركية، وإن لم نواجه كلا القضيتين بحزم ومسؤولية، سوف لن تكون قضايانا على جدول أعمال قمة واشنطن، أو المجموعة الاوروبية أو غيرها، فللاخرين قضاياهم، وهم يناضلون من أجل حلها، وأما قضايانا، فحري بنا أن نسعى اليها بأنفسنا ونناضل من أجلها، وفرضها عليهم، قبل أن نطلب من الآخرين أن يسعوا الى حلها.

ان إعراب بعض المسؤولين العرب عن قلقهم، او استنكارهم للقرار، والتلويح بأن ذلك من شأنه أن يعرقل مساعي السلام، أو إشارتهم الى مخالفة هذه المواقف والقرارات للتشريعات

Digitized by Birzeit University Library

الدولية، وما نصت عليه قرارات الامم المتحدة، هو أمر لم يعد كافيا، لأنه ببساطة لا يرقى الى الخطورة التي تتضمنها المواقف الجديدة، فالادارة الاميركية تمعن في معاداتها للعرب، وقضاياهم القومية، وتضيف كل يوم تأكيدا جديدا، لسياستها هذه، والعرب غارقون في لامبالاتهم، وكأن الأمر لا يعنيهم، مما يدفع الادارة الاميركية، الى الايغال في مواقفها، والاستهتار بقضايانا، ولم لا؟! اذا كانت هذه الادارة واثقة من أن أحدا من العربان، لن يحرك ساكنا.

كل التحية للعمال في عيدهم

تتقدم اسرة تحرير مجلة الكاتب بتهانيها الحارة الى جميع عمالنا الفلسطينيين في دولة فلسطين المحتلة ومواقع الشتات الفلسطيني بشكل خاص، والى جميع العاملين في الوطن العربي والعالم اجمع.

وبمناسبة الاول من ايار نرفع اطيب تحياتنا الى كل العمال في العالم، متمنين ان يحل العيد القادم وقد حققوا كل ما يصبون اليه، ومن اجل عالم يسوده السلام والحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية والمساواة.

Digitized by Birzeit University Library

العرب امام تحد كبير، فهل يواجهونه بشجاعة واقدام؟!!

منير سلام

يجمع المراقبون والمحللون السياسيون على ان الأزمة الحكومية في اسرائيل، ما كان لها ان تحدث لولا الانتفاضة الفلسطينية المتواصلة منذ قرابة عامين ونصف، وعجز الحكومة الاسرائيلية في القضاء عليها وقمعها واخمادها بالقوة، وكذلك امام ضغط وقوة مبادرة السلام الفلسطينية. ومما لا شك فيه ان الانتفاضة الفلسطينية بتأثيراها وتفاعلاتها المختلفة في الشارع الاسرائيلي، أصبح صوتها مدويا بشكل اكبر على الأزمة الحكومية، ولم تتوان جميع الأحزاب الصهيونية الاسرائيلية المتطرفة من المشاركة في سباق "ماراتون" القضاء على الانتفاضة وبأسرع وقت، كي ترفع من رصيدها امام الناخب الاسرائيلي في حالة اجراء انتخابات اسرائيلية جديدة.

لقد احدثت الانتفاضة ومبادرة السلام الفلسطينية مرحلة انعطاف جديدة في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني الطويل. واصبح هذا الانعطاف، يحظى باهتمام وتأييد دولي كبيرين للقضية الفلسطينية، وضرورة ايجاد الحل الشامل والدائم في المنطقة، وأخذت العديد من دول العالم ترى امكانية ذلك من خلال مؤتمر دولي خاص بالشرق الاوسط وباشراف ورعاية الأمم المتحدة وبحضور جميع الاطراف بما فيهم م.ت.ف.

لقد وجدت الحكومة الاسرائيلية والادارة الأمريكية نفسيهما في عزلة دولية خانقة، امام الراي العام العالمي، وتحت ضغط الانتفاضة ومبادرة السلام الفلسطينية، خرجت الحكومة الاسرائيلية بخطتها "السلمية" في محاولة منها للرد على برنامج السلام الفلسطيني. واليوم وبعد مرور ما يقارب العام على هذه الخطة استطاع العالم ان يدرك ان خطة الحكومة الاسرائيلية هدفها المماطلة وكسب الوقت، وأن كل محاولات الحكومة الاسرائيلية من تجميل خطتها عبر انتخابات "حرة" و "ديمقراطية" ليست سوى ذر الرماد في العيون. وأمام هذا كله ونتيجة لذلك اخذت الولايات المتحدة زمام المبادرة وطالبت الرأي العام العالمي

Digitized by Birzeit University Library

المؤيد لفكرة عقد مؤتمر دولي للسلام باعطائها الوقت الكافي لاخراج منطقة الشرق الأوسط من أزمته، وتكفلت الادارة الامريكية امامه -الرأي العام العالمي - بتحقيق "السلام" عبر سياستها، وهكذا طرح وزير خارجيتها بيكر خطته المعروفة، وكما يقول المثل الشعبي "من اول غزواته كسر عصاته"، عاد بيكر وطرح خطته المعدلة، ليرضي بها حكام اسرائيل، ودعا الى عقد حوار اسرائيلي - فلسطيني في القاهرة بعد التحضير له من خلال لقاء وزراء خارجية كل من مصر واسرائيل وامريكا. ولكن حتى الخطة المعدلة لبيكر لم تحظ بموافقة الحكومة الاسرائيلية بأحزابها المختلفة، مما أدى الى انهيار حكومة الوحدة الوطنية في اسرائيل.

لقد ابدت قيادة م.ت.ف. سياسة مرنة، وتكتيكا ينسجم تماما مع استراتيجية مبادرة السلام وأعلنت انها على استعداد لبدء حوار مع اسرائيل، ولكن شريطة ان يكون جدول اعمال هذا الحوار مفتوحا ويؤدي الى المؤتمر الدولي، وهذا عكس ما تريده اسرائيل، كما وأعلنت انها الوحيدة صاحبة الحق في تشكيل الوفد الفلسطيني للحوار وهذا ايضا عكس ما تريده اسرائيل، ولكن السؤال هل باستطاعة اسرائيل تشكيل الوفد الفلسطيني؟! ان تجربة ثلاثة وعشرين سنة على الاحتلال كفيلة بالرد على هذا السؤال؟ وتصريحات مسؤولين اسرائيليين سياسيين وعسكريين في السابق، اكدت عدم امكانية اسرائيل خلق قيادة بديلة لمنظمة التحرير.

ان دول العالم وهي تراقب الاحداث والتحركات السياسية، سيتبين لها ان سبب الأزمة في الشرق الاوسط، وعدم الخروج منها يعود الى السياسة الاسرائيلية وفشل سياسة الولايات المتحدة المنفردة لايجاد حل عادل ودائم، وعندها لا يمكن ان يقبل الرأي العام العالمي بذلك، وسيعود وليضغط من جديد وبقوة أكبر من أجل العودة الى فكرة المؤتمر الدولي للسلام. ولكن السؤال هل يمكن ان ينتظر العرب ذلك دون ان يحركوا ساكنا ؟!!

يعلن زعماء الدول العربية جميعهم، صباح مساء، ان الأمة العربية تواجه خطرا حقيقيا على كيانها، وان هذا الخطر - الهجرة اليهودية الى اسرائيل - يهدد الدول العربية جميعها وليس دولة واحدة، كما ويعلنون أنهم ازاء الاحداث العاصفة التي يشهدها العالم، يجب اتباع سياسة جديدة، تمكن العرب من احتلالهم مكانا بارزا في السياسة الدولية. جميل جدا ان يدرك الزعماء العرب ما يدور حولهم، ولكن هل يمكن للقادة العرب أن يترجموا ادراكهم هذا الى سياسة عملية لتصبح واقعا؟!

ان الدعوة التي اطلقتها منظمة التحرير الفلسطينية لعقد قمة عربية طارئة وان جاءت متأخرة بعض الشيء، فهي تنبع من احساس بالمسؤولية العالية تجاه ما يهدد الأمة العربية جميعها، واذا كانت م.ت.ف. عبر سياستها الدبلوماسية نشطت أكثر من اية دولة عربية في مواجهة هذه الاخطار، فان التحرك العربي المشترك الداعم لها يمكن ان يؤتي ثماره بسرعة كبيرة.

ان من يريد ان يتبوأمكانة ما على صعيد السياسة الدولية عليه ان يسير على النهج الذي سيصبح الحكم والسيد في العلاقات الدولية الا وهو الديمقراطية باعتبارها قيمة انسانية كبيرة. ان ما يدعو الى الارتياح ان العديد من الدول العربية اخذت تشق طريقها عبر

Digitized by Birzeit University Library

الحريات الديمقراطية وتعدد الاحزاب والانتخابات البرلمانية الحرة، وهذا سيساعد حتما على الوصول الى اتباع سياسة جديدة تختلف كلية عن السياسات السابقة، وهذا يعني ايضا انه يجب عدم العودة الى الوراء. واذا كانت بعض هذه البلدان قد شهدت احداثا وانتفاضات جماهيرية، اضطرت السلطة بعهدها على انتهاج الديمقراطية كاسلوب حكم، فان الدول العربية الاخرى مطالبة باتاحة الحريات الديمقراطية وتعدد الاحزاب السياسية من الان، وألا تنتظر ما سيحدث فيها كما حدث في الدول الاخرى.

بهذا الطريق فقط يمكن للدول العربية مجتمعة من خلال القمة العربية الطارئة، ان تثبت نفسها امام التحدي الكبير الذي تواجهه اليوم، وتستطيع ان تلعب دورا بارزا في التسريع بعملية السلام في الشرق الاوسط، ومساعدة م.ت.ف. بتحركها السياسي السلمي، وتفرض نفسها على الساحة الدولية، يساعدها في ذلك سياسة الانفراج الدولي، ونزع سباق التسلح، خاصة وان منطقة الشرق الاوسط اصبحت بؤرة ساخنة ومليئة بالاسلحة النووية والكيماوية والجرثومية وغيرها. واذا بقيت هذه المنطقة بهذه السخونة فانها ستظل تهدد السلام العالمي، وهذا ما لا يوافق عليه كل الحريصين على صيانة السلام في الشرق والغرب على حد سواء.

ان قمة عربية جديدة، نوعية، كفيلة بدرء الاخطار التي تهدد الامة العربية، وبتحرك عربي - فلسطيني نشط على كافة الاصعدة يعكس تفكيرا عربيا جديدا، وقبل لقاء بوش - غورباتشوف أواخر هذا الشهر من شأنه ان يدفع بالمسيرة السلمية الى نهايتها المظفرة على طريق الحرية والاستقلال للشعب الفلسطيني والتقدم والازدهار للشعوب العربية واحلال السلام الدائم في المنطقة. وبهذا فقط ايضا يعبر زعماء العرب عن مسؤوليتهم تجاه شعوبهم وشعوب العالم اجمع، ويكشفون عن مدى حضارتهم ويحافظون على حضارة من سبقوهم من قبلهم. هذا هو التحدي الكبير امام العرب فهل يواجهونه بشجاعة واقدام؟!!

□ جانب من التعزيزات الاسرائيلية بمناسبة «ليلة القدر» في القدس.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة بأسماء شهداء الشهر التاسع والعشرين للإنتفاضة

ما زالت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية المتواصلة في دولة فلسطين المحتلة منذ تسعة وعشرين شهرا، تترك أثرها على الأزمة السياسية في اسرائيل، وتحت تأثيرها تزداد اليوم الأصوات الدولية الداعية لعقد مؤتمر دولي للسلام يخرج المنطقة من أزمتها الدوامة. وخلال هذه الفترة قدم شعبنا الفلسطيني - وما يزال - عشرات الآلاف من خيرة أبنائه من شهداء وجرحى ومعتلقين في سبيل تحقيق الهدف السامي، الحرية والاستقلال.

وخلال الشهر الماضي - الشهر التاسع والعشرين للانتفاضة، سقط (١٣) شهيدا. وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة حتى أواخر نيسان ١٩٩٠ (٨٥٥) شهيدا.

وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر التاسع والعشرين للإنتفاضة.

الخميس ١٩٩٠/٣/٢٩

- محمد عبد الرحمن علي سلامة (٢٠ عاما) قرية كفر مالك/رام الله. اصيب بعيار ناري في رقبته خلال مصادمات وقعت في القرية.

الخميس ١٩٩٠/٤/٥

- مصطفى علي الجرو (١٦ عاما) مخيم الجلزون/رام الله. اصيب برصاصة مطاطية في رأسه بينما كان يسير مع شقيقه الاصغر وسط مدينة رام الله.

الجمعة ١٩٩٠/٤/٦

- محمود سليمان اربيع (١٧ عاما) خانيونس/قطاع غزة. اصيب بعيار ناري في الفخذ لدى وقوفه على مئذنة الجامع وسقط على سطح احدى غرف المسجد فأصيب بكسر في الجمجمة وجراح في مختلف انحاء الجسم وتوفي على الفور.

Digitized by Birzeit University Library

الأربعاء ١٩٩٠/٤/١١

- عامر عبد النبي عامر عمرو (١٦ عاما) بلدة دورا/الخليل. أصيب برصاصة قاتلة في قلبه أطلقها أحد المتعاونين مع الاحتلال.

الخميس ١٩٩٠/٤/١٢

- سارة حسن اللافي (٢٥ عاما) مخيم العروب/الخليل. صدمتها سيارة مستوطن من كريات أربع.

الثلاثاء ١٩٩٠/٤/١٧

- يوسف فؤاد عتال (٢٨ عاما) قرية حبلة/قلقيلية. استشهد نتيجة انفجار عبوة ناسفة، حيث كان الشهيد مطلوبا للسلطات منذ بداية الانتفاضة.

الأربعاء ١٩٩٠/٤/١٨

- جازي عبد ربه أبو مصطفى (٢٠ عاما) مخيم خانيونس/قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في بطنه خلال المواجهات التي شهدها المخيم.

الاثنين ١٩٩٠/٤/٢٣

- يوسف عطا زكي القيشاوي (١٣ عاما) مخيم الشاطيء/قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في رأسه مساء أمس.

- موسى محمد العلامي (١٤ عاما) بلدة بيت أمر/الخليل. اصيب بعيار ناري في رأسه اثناء المواجهات التي شهدتها البلدة اول أمس.

الخميس ١٩٩٠/٤/٢٦

- عوض الله ابراهيم المبحوح (٢٥ عاما) مخيم جباليا/ قطاع غزة. اصيب برصاصة قاتلة في القلب.

- خالد على موسى الأسود (٢٧ عاما) مخيم جباليا/قطاع غزة. اصيب بعيار ناري في الحوض.

- محمد على ابراهيم سمعان (٢٦ عاما) مخيم جباليا/ قطاع غزة.

- ماهر محمد علي الشلبي (١٧ عاما) بلدة قباطيه/ جنين. اصيب برصاصة في حوضه.

وأسرة تحرير مجلة «الكاتب» اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

دور النقابات
ومتغيرات العصر الراهن

جورج حزبون

كثرت
في الاونة الأخيرة
الأحاديث عن المتغيرات العالمية
ورياح التغيير، وتركز الاهتمام بما يجري
في بلدان شرق أوروبا وفي الاتحاد السوفييتي،
لعل هذا التركيز حدث بفعل ان الاتحاد السوفييتي
هو أول من أطلق سياسة التفكير الجديد ولفت الانتباه
الى المتغيرات الحاصلة في العالم، والتي أحدث تراكمها الكثيف
وضعا جديدا واستراتيجيا كونيا يستدعي التعامل معه
برؤية جديدة وتفكير جديد مبني على قاعدة
ديمقراطية، وافساح المجال رحبا امام البشرية
للانطلاق نحو إرساء سلم عالمي، وإبداع
وتطور لضمان تقدمها وصيانة حقها
في الأمن
والحرية.

والبعض وجد في ذلك التغير هزيمة لفكرة أو منهج، والبعض الآخر وجد فيه نجاحا لجهة على حساب الأخرى، وكثرت الأبحاث والمداولات وأحيانا الدفاع وحينا الهجوم، كل هذا في غياب النظرة الموضوعية الشمولية الكونية، فالمتغيرات لا تجري في بلدان شرق أوروبا بمعزل عن ما يجري في العالم الذي يستعد لاستقبال القرن القادم باصطفاف جديد للقوى وبمعايير جديدة، وفي هذا السياق فانه من المفيد أن نتطلع إلى ما يجري في أوروبا الغربية التي تستعد لإعلان الوحدة عام ١٩٩٢ لتشكل قاعدة اقتصادية هائلة تعمل على مواجهة الاقتصاد الأميركي، ومواجهة حالات الركود الإقتصادي المتكرر

Digitized by Birzeit University Library

في بلدانها، وهذا يجري دون مراعاة لمصلحة الجماهير الأوروبية وخاصة فئات العمال في بلدانها. وفي مداولات مؤتمر العمال الفرنسيين حول الوحدة الأوروبية دافع المندوبون عن الوحدة وعارضوا بشدة بنودها، حيث أن اتفاق الوحدة يتعرض إلى إعادة توزيع الإنتاج في مختلف بلدان الوحدة، فمثلا فرنسا ستكون بلدا سياحيا بالدرجة الأولى وهذا حسب المؤتمر يلحق ضررا فادحا بالعمال الفرنسيين ويزيد من البطالة وانعدام فرص العمل ويجري التركيز على قطاع الخدمات فيها فقط حسب تلك الوحدة.

فقضية الوحدة الأوروبية موضوعة تناقش على كافة المستويات في أوروبا بما فيها بالتأكيد النقابات العمالية، إلا أن الإتحاد الأوروبي للنقابات لم يلتق بعد لبحث هذا الموضوع الهام والمفصلي، ربما حرصا على عدم حدوث انقسامات أو خلافات حادة بسبب إختلاف وجهات النظر حول وضع العمال والنقابات في أوروبا الموحدة، بل إن هناك لقاءات واتفاقات تعقد بين الشركات الأوروبية يجري خلالها تحديد حقوق العمال، وتوافق عليها بعض الإتحادات النقابية وتعارضها الأخرى، وتطالب أوساط في الحركة النقابية الأوروبية بميثاق إجتماعي أوروبي حال قيام السوق الأوروبية الموحدة يضمن حقوق ومكتسبات العمال ولعله من الضروري الإشارة الى أنه لا يوجد في أي من بلدان أوروبا الغربية تشريع يقضي باحترام جميع البنود الواردة في الاتفاقات الجماعية التي تعقدها النقابات مع الشركات في بلدانها، واذا أخذ بالاعتبار دور الشركات فوق قومية (المتعددة الجنسية) وعملية تدويل الإنتاج الجارية في العالم، فانه بات من الواضح مدى الظلم الواقع على الحركات النقابية والعمالية، ليس في العالم الثالث فحسب، بل في أوروبا الغربية، ومدى أهمية النضال من أجل الديمقراطية في هذه البلدان، التي تزعق أجهزتها الإعلامية للمطالبة بالديمقراطية وحقوق الانسان في بلدان شرق ووسط أوروبا والإتحاد السوفياتي، حيث ثبت بالدليل القاطع مدى صدق قوة الدفع في تلك البلدان، باتجاه إرساء ممارسة ونهج ديمقراطي واحترام ارادة الجماهير والكشف عن العيوب والقصورات، مهما كانت قاسية وصعبة هذه العملية، إلا أنها تؤكد أن بلدان معاهدة وارسو إستطاعت أن تستوعب المتغيرات الحاصلة في العالم، وتفرض سياسة تفكير جديد بدءا بذاتها وتعترف بعثراتها وتفسح المجال رحبا أمام صيغ متجددة للحكم وفق معايير العدالة الاجتماعية والقيم الديمقراطية، وهذه هي سمة العصر، ولا تستطيع بلدان حلف الأطلسي الاختباء خلف أحداث شرق أوروبا مستغلة الوضع لتفرض مزيدا من الاضطهاد على شعبها وعمالها. وهذا البرلمان البريطاني يوافق مؤخرا على مشروع قانون يمنع بموجبه الاضرابات التضامنية!! أو اضرابات تنظم لمساندة عمال آخرين تعرضوا للاضطهاد!! وفي نفس الوقت يدعي لنفسه الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الانسان عند الآخرين.

وبالتأكيد فان الحركة النقابية في ظل هذه المتغيرات، مطالبة بتقديم البديل في وجه كشف الشركات المتعددة الجنسية عن انيابها، واستعداد البلدان الغربية والغنية للتراجع عن مكتسبات وحقوق العمال الاقتصادية والاجتماعية في بلدانها، ومستغلة أحداث شرق أوروبا، كحصان طروادة للنكوص عن إلتزاماتها ونزع قوة الالهام التي قدمتها طويلا الاشتراكية ومعسكرها، باعتبار التراجعات الحاصلة هناك، تثبت أن قضية الوحدة العمالية ونضالها في سبيل إقامة نظام إقتصادي أكثر عدالة فشلت بالتجربة التاريخية، وانه لم يعد أمام العمال إلا الامتثال لطاغوت الشركات فوق القومية والقبول بما تمنحه لهم، خاصة وان التطورات الجارية في التكنيك

Digitized by Birzeit University Library

الحديث تضيق فرص العمل، وهناك في بلدان غرب أوروبا، أكثر من ثلاثين مليون عاطل عن العمل، والرقم في تصاعد والنقابات لا تستطيع توفير فرص عمل وبذلك يدفع العمال للعزوف عن الالتحاق بالنقابات وكأن الحركة النقابية مرحلة تاريخية تجاوزتها الحياة المعاصرة.

ان الوقائع الراهنة تبرز ان وحدة الحركة النقابية حتمية وضرورة، وتزداد أهمية في المرحلة التاريخية الراهنة، ولكنها تتطلب أن تتكيف هذه الحركة مع هذه المتغيرات وتشخص أهدافها البعيدة والقريبة مع طبيعة هذه المتغيرات، وهنا تزداد اليوم أهمية النقابات المهنية لمواجهة تنامي دور الشركات فوق القومية وجشعها ويستلزم الأمر النهوض بدور النقابات الوطنية وبالضرورة الحركة النقابية العمالية العالمية، وفق معايير جديدة وبناء جديد يسمح بالتلاؤم مع وقائع العصر، وعقد التسعينات باعتباره بوابة الولوج الى القرن الحادي والعشرين.

ومن هناك يكتسب المؤتمر الثاني عشر للنقابات العالمي المنوي عقده هذا العام أهميته، ويوفر المنبر الفكري الذي قدمته صحيفة هذا الاتحاد لبلورة تطورات جدية لبرنامج وحدة نقابية وفق معايير ديمقراطية واسعة للتصدي للهجمة الارتدادية من قبل رأس المال وتعبيره الحديث (الشركات فوق القومية).

ونجد أن الخطوة الأولى تبدأ من خلال تحرر الحركات النقابية الوطنية من كونها ملحق لانظمة الحكم في بلدانها، وانطلاقها نحو تشخيص مهامها بدقة، ودورها في قضايا المديونية والبطالة والعلاقات الوطنية مع الشركات فوق القومية، وإلزامها بشروط عمل متقدمة حسب ظروفها وحاجاتها الوطنية، ومنها أيضا تدريب الكوادر وبالطبع هناك خصائص محلية كثيرة ومتعددة، تشترط القيام بها، الحاجة الى انهاض الحركة النقابية وإرسائها على أرضية النهج الديمقراطي والثوري والخروج من دائرة البيروقراطية والالحاقية للنظم التي جعلت من النقابات مجرد مؤسسات في العديد من البلدان للأنظمة، وخاصة بلدان العالم الثالث الذي يتعرض بالاساس الى نهب منظم من طواغيت رأس المال.

وهكذا يبدو جليا، أن النظر إلى مهمة النقابات التاريخية باعتبارها قد استنزفت، نظرة عدمية وإلى رؤية دور الإتحاد العالمي للنقابات على أنه قد انتهى، هي نظرة عدوانية وفي أحسن الحالات قصيرة النظر ومهزومة. بل إن المهمة التاريخية للحركة النقابية قد دخلت مرحلة متقدمة وتستدعي بالفعل وضع برنامج نضالي ثوري يبدأ من المرحلة المحلية والوطنية وصولا إلى موقف برنامجي عالمي، وفي هذا السياق فان الأخص لقضية الديمقراطية والتقدم وحقوق الانسان تفرض بل وتحتم ان ينتهي الفصل التعسفي للحركة النقابية حسب ما إقتضته سياسة الحرب الباردة وضرورة الدخول في حوارات نقابية تحت يافطة مصلحة العمال والنقابات بعد أن وصل الحوار برأس المال الى وضع برنامجه وتوحيد نهجه لمواجهة حقوق العمال ومكتسباتها، وتستطيع النقابات بحق أن تجد حلولا فعليه لازمة البطالة العالمية وان تساهم في الدفع باتجاه وضع نظام إقتصادي جديد وتدافع عن مصالح وخيرات الشعوب وقضية الديمقراطية والسلم العالمي.

ومن المهم هنا أن يتم النظر إلى واقع المتغيرات الجارية في بلدان أوروبا الشرقية، على أنها ليست تعبيرا عن واقع مأزوم معزول في حدود الزمان والمكان، بقدر ما هو ديمقراطي وواقعي ان نرى ذلك من خلال أن البشرية تتجه وبقوة نحو رفض العسكرة وإنهاك الشعوب في سباق التسلح

Digitized by Birzeit University Library

والحرص على حق العيش بحرية وكرامة وعدالة، وان عقد التسعينات لا مكان فيه لغير الديمقراطية ليس فقط في شرق أوروبا، بل في العالم، وان التاريخ سوف يسجل باجلال، شجاعة الذين فرضوا سياسة التفكير الجديد والعلنية وانهم بذلك شقوا أمام البشرية طريقا غير معبد، تتطلب منهم تقديم التضحية من خلال المبادرة باقتحامه، وإن رأس المال لم ينتصر أبدا فهذا الارتداد في البلدان الغنية على حقوق العمال وازدياد البطالة وانخفاض مستوى المعيشة وعشرات الالاف بدون مأوى، تعبير عن شراسة ولا ديمقراطية رأس المال الذي تتفاقم أزمته، والتي يحاول حلها من خلال التركيز على ما يجري لدى الآخرين، وانه يملك فقط المجتمع المثالي والعادل.

دور النقابات في الارض المحتلة

وفيما يتعلق بالارض المحتلة، فان واقع الاحتلال جعل المطالبة بانهائه قاسما مشتركا لكافة الفئات الاجتماعية لجماهير شعبنا والنقابات العمالية في المقدمة، وأصبحت قضية التضامن مع النقابات تتصدرها مسألة إنهاء الاحتلال والتعرض لانتهاكاته لحقوق الانسان وكرامته، وغني عن القول، أن الحركة النقابية في الوطن المحتل، كانت أولى الهيئات الجماهيرية التي تعرضت لبطش المحتلين ولا زالت متصدرة للقائمة، ولكن هذا لا يعني أن الحركة النقابية لا تواجه مشاكل عمالية كثيرة، إلا أن واقع رؤيتها لتواصل وتطور مهمتها النقابية يتطلب إنهاء الاحتلال جعل منها ليس فقط عرضة للبطش بل أخذت سلطات الاحتلال ونقابة العمال العامة في إسرائيل (هستدروت) تتهمها بأنها تعمل في السياسة فقط، وأن المواجهة معها بسبب هذا الدور، وكأن المطلوب من النقابات، إعلان عزلتها عن شعبها! بل ان الموقف السياسي للإتحاد العام للنقابات العمالية في الأرض المحتلة، بقي دائما الأكثر واقعية، فهو يطالب بالوطن المستقل وانهاء الصراع من خلال مؤتمر دولي يحقق شعار دولتين لشعبين واقرارا بان م.ت.ف. هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

والحركة النقابية الفلسطينية ذات تاريخ كفاحي طويل منذ تشكلت في مطلع العشرينات، وتواصل أداؤها خلال فترة الحكم الأردني للضفة الغربية وتعرضت للعديد من العثرات، كانت أبرزها الانشقاق الذي وقع في الاتحاد العام للنقابات عام ١٩٨١ وأدى الى تعددية مربكة وأحيانا إلى تخلف عن مواجهة مسؤوليات نقابية.

لقد جاءت وحدة الاتحاد العام لنقابات العمال بالأرض المحتلة معبرة عن مصلحة الجماهير العمالية وباعتبارها تشمل أوسع قطاع جماهيري فقد فرضت صيغة إتفاق الوحدة الخيار الديمقراطي حيث أكد أن الهيئة القيادية الراهنة هي مؤقتة وتعمل على وضع نظام جديد وتهيء لاجراء انتخابات نسبية ترسي منهجا جديدا في الحياة النقابية.

ان الصعوبات الجدية التي يواجهها عمال الأرض المحتلة في غاية التعقيد، فهناك حوالي ٣٥٪ من القوة العاملة تعمل في داخل إسرائيل وتتعرض الى ظروف عمل مضنية إذ هم مجبرون على المغادرة يوميا من مواقع سكنهم مهما بعدت المسافة والى دفع الضرائب المترتبة حسب القوانين المحلية دون أن يتاح لهم الاستفادة من أية فوائد توفرها بدلات هذه الضرائب، وتقتطع

Digitized by Birzeit University Library

الهستدروت ١٪ من رواتبهم دون أن يكونوا أعضاء عندها ولا تسمح السلطات للنقابات في الأرض المحتلة بتمثيل هؤلاء العمال. وحسب تقديرات منظمة العمل الدولية (م.ع.د) فان حجم المقتطعات الضرائبية من أجور العمال العرب من المناطق المحتلة بلغت (٣,٥) مليار دولار، يطالب الاتحاد العام (م.ع.د) باستردادها لصالح إقامة نظام تأمين صحي وإجتماعي للعمال في الوطن المحتل.

وفي الأرض المحتلة لا تعترف السلطات الا بقانون العمل الأردني الصادر عام ١٩٦٥ الذي جرى تطويره في الأرض المحتلة ٣ مرات منذ الاحتلال، ويطالب عمال الأردن بادخال تغيرات جذرية عليه، وهذا يوضح مدى تخلف هذا القانون وعجزه، وتتجه النقابات إلى عقد اتفاقات جماعية لتلافي عجز القانون الساري، وبدورها فان سلطات الاحتلال لا تعترف بشرعية هذه الاتفاقات، وحيث أنه لا توجد محاكم عمل، فان تفاقم أي نزاع عمالي يجري التعامل معه وفق قانون العمل الأردني لعام ٦٥ فقط.

وقد فرضت الانتفاضة وضعا إجتماعيا جديدا، بل أحدثت صياغة جديدة للمجتمع سمتها العامة المشاركة ووحدة المصير، وتعمق التمسك بالاستقلال، مما ألزم المؤسسات الاجتماعية والنقابية تلمس صيغة عمل ترسي قاعدة مادية للاستقلال وفق مفهوم ديمقراطي واسع. ومع بروز نزاعات عمالية عديدة بفعل الانهيار بقيمة الدينار الأردني كونه وحدة نقدية رسمية للأجور وعدم الاستقرار لقيمة الشيكل الاسرائيلي، أصبحت الحركة النقابية مطالبة بأخذ دورها كاملا، والتقدم ببرنامج إقتصادي وإجتماعي لتجاوز المرحلة السابقة، وإقتحام المرحلة الجديدة بوحدة إرادة ووحدة قاعدة عريضة. وهذا ما توفره فرصة الوحدة النقابية حسب صيغة الاتفاق المرحلي الداعي الى وضع نظام جديد والتحضير لدمج النقابات واجراء إنتخابات عامة تخرج الحركة النقابية من دائرة الصراع الذاتي إلى واقع النضال المشترك وتوسيع عضوية النقابات، والاستفادة من التضامن والمساندة العالمية للحركة النقابية، لتحقيق مهامها والتحرك نحو تكوين قاعدة عمالية إجتماعية، بافق واسع يسمح بالتقدم نحو إقامة تعاونيات إنتاجية صغيرة، وإقامة نظام تأمين إجتماعي وتقاعدي وإتفاقات عمل يمكن الارتقاء بها إلى حدود قانون عمل فلسطيني.

إن الوحدة النقابية في الأرض المحتلة خطوة أولية لتنشيط دور النقابات وتوسيع قاعدتها وتوفير كل الطاقات لخدمة الجماهير العمالية بالدفاع عن حقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وحتى تتمكن من إستكمال مهمتها، فان دورها في إطار المعادلة النقابية العالمية بالاستفادة من ثقلها وتضامنها يشكل حجر الزاوية في تواصل ونجاح مهمتها، ومن هنا جاء إهتمامنا بالمتغيرات العالمية الراهنة والحوار النقابي العالمي الداعي إلى ضرورة تطوير اداء النقابات، ورؤية مهامها على ضوء الواقع الراهن وطبيعة المتغيرات في العالم لانهاض الحركة النقابية، وأخراجها من دائرة الجمود إلى حيز الديناميكية.

Digitized by Birzeit University Library

ليس دفاعا
ولا هجوما على أحد

سعيد ذيب

عندما قرأت ما كتبه السيد حاتم ابو ديه في مقالته المنشورة في مجلة الكاتب العدد ١٢٠ عن مقالة أسعد الأسعد المنشورة في الكاتب العدد ١١٧، عدت لقراءة مقال أسعد مرة ثانية لاتأكد أن السيد حاتم يقصد بالضبط المقال المعنون بـ"سقوط الأباطرة"، والذي وان لم يشتمل على الكثير مما وجب اشتماله عليه، الا انه كان كلمة جريئة افسحت المجال امام اتساع النقاش وتفرعه، ومحاولة الوصول الى اجوبة شافية ومقنعة للتساؤلات المحرجة التي وردت ليس فقط من الآخرين بل من أعماقنا نحن، تلك الاسئلة التي جعلت كل المخلصين في انتمائهم الى شعبهم اولا وللبشرية ثانيا، يقضون اياما بلياليها وهم يناقشون قضايا نظرية وعملية، من أجل الوصول الى منطلقات نظرية جديدة قادرة على الاجابة على كافة المسائل الناشئة في مجال الفكر والمجتمع.

ان ما طرحه السيد أسعد في مقالته المذكورة، تجاوزه النقاش في هذا الوقت، لأن الحديث عن دكتاتورية البروليتاريا، كالحديث عن صحة وجود الغول والعنقاء أو عدم وجودهما رغم أن هناك من يقسم اغلظ الأيمان أنه رآهما، لذلك فان المهم هو الخوض في المسائل الناشئة واتخاذ موقف منها استنادا الى اسس جديدة في التفكير.

من المؤسف أن هناك الكثيرين ممن لم يستطيعوا فهم مغزى المرحلة الحالية ومتطلباتها، بقدر ما يدعو هؤلاء للسخرية في بعض الاحيان فانهم يدعون للرثاء في احايين كثيرة، لأن عقليتهم تشكلت عبر سنوات طويلة من مفاهيم انعكست بشكل خاطيء عن واقع قسوة وغير طبيعي، لذلك فلا بأس من اعطائهم فرصة لفهم واستيعاب التغيرات والحاجة اليها باعتبارها ضرورة موضوعية، مع أن الطموح هو مساهمة جماعية جادة في صياغة المنطلقات النظرية للمرحلة المقبلة.

Digitized by Birzeit University Library

ان ما يميز النقاشات الساخنة في هذه الاثناء هو المشاركة الكثيفة والواسعة من مستويات مختلفة، هذه المشاركة التي لم تكن في يوم من الأيام مشاركة ايجابية، فقد تم التغني بالماركسية - اللينينية وقدرتها على حل المشكلات التي تواجه البشرية، واعتقد أنه لا يحق لنا، نحن الذين اكتشفنا على استحياء، عجز الماركسية - اللينينية قبل سقوط الأباطرة، أقول، لا يحق لنا أن نحرم الآخرين متعة التغني بالماركسية - اللينينية ومحاولة اثبات صحتها، الا أننا سنعمل كل ما في وسعنا لمناقشتهم بشكل موضوعي، لاننا نتحمل مسئولية اخلاقية نحو الذين تم تضليلهم بصحة الماركسية - اللينينية اعتمادا على تضخيم منجزات الاشتراكية، ودون قراءتهم لها، وان حدث ذلك في بعض الأحيان فبشكل مشوه ومسطح.

ان الحديث عن صحة النظرية وخطأ التطبيق قد تردد بشكل ببغائي في أكثر من موقع وبشكل يثير الاشمئزاز في كثير من الأحيان، خاصة اذا كان من يردد ذلك لا يدرك حقيقة النظرية، أو أنه عرفها وما زال يصر على معرفتها ورؤيتها بعين من علمه اياها، حين افرغ اعماقه وذهنه من مفاهيم كثيرة كان يجب ان تشكل اجساما مضادة للمفاهيم الجديدة والتي اصبحت بسرعة فائقة لدى الغالبية مفاهيم اعماق يصعب التخلص منها بسرعة ويسر.

اننا نتحدث بكل بساطة ووضوح، اننا صدمنا وتأثرنا كثيرا من انهيار انظمة الحكم الاشتراكية، وعشنا فترة ليست بسيطة، في أزمة خانقة، ولكننا لم نقف مكتوفي الأيدي، ننتظر ان يجود علينا الاخرون أو من هم فوقنا، بافكار توقظنا من حالة الهستيريا التي عاشها البعض، ولم نندب حظنا إننا اكتشفنا أن ما تعلمناه ودافعنا عنه سنوات طويلة ما هو الا كذبة كاصحاب المنطلق الذي اختصر المسألة كلها في بضع كلمات: الخطأ في التطبيق وليس في النظرية، فهو منطلق العاجزين عن تفسير الواقع واعطاء اجوبة حقيقية، أو على الأقل الاعتراف امام الذات وامام الآخرين ان لا جواب لديهم وان القديم الذي حفظناه لا يجيب على الجديد في أكثر من مجال.

لذا انطلقت الطاقات الابداعية لدى الكثيرين، الذين حاولوا البحث عن تصورات ومنطلقات جديدة، وطرحت في البداية الكثير من القضايا بشكل فجول، لاننا كنا، كلنا أو بعضنا، ستالينيين في أعماقنا، فالستالينية ليست صفة مميزة للقائد فقط بل وللقاعدة التي تعايشت مع نهج القيادة الستاليني، وكبتت كل محاولة للتفكير المستقل بعيدا عن الضغط النفسي والفكري للماركسية - اللينينية، هذا الضغط الذي لم نشعر به ونحسه لاننا ولدنا وعشنا معه تماما كما قال البعض انه أصبح مثل عمود الضغط الجوي الواقع علينا.

من المفارقات العجيبة ان هناك من يعتقد ان بامكانه الحفاظ على الشكل القديم سواء في مجال التنظيم أو المشرب الايديولوجي، وفي نفس الوقت الموافقة على التغيير والاصلاح، تماما كما فعل المختار في مسرحية غوار المشهورة، اذ لا يعقل أن يكون شخص ما عدوا للستالينية والاخطاء التي تراكمت سنوات عديدة ويتحمل مسئولية في بعض جوانبها، وفي نفس الوقت يضع حدودا للتغيير والاصلاح، وان يقول بان التغيير يجب أن يكون هنا وهناك فقط، وفي هذا الموضوع او ذاك دون غيره، لانه لا يحق لمن دافع سنوات طويلة عن اخطاء قاتلة في بعض الأحيان، ان يضع حدودا للعقل الذي انفلت من مقاييس المتوارث والمألوف في التفكير.

هناك من يحاول كسب الوقت فقط، بادعائه انه مع التغيير ولكن بحدود، وهو الذي دافع قبل

Digitized by Birzeit University Library

اشهر قليلة عن "التعويذة" التي تحمل الحل والجواب لكل شيء، واتهم كل من فاض لديه الكيل ووقف يصرخ بكل ما اوتي من قوة، كفى! اتهم بشتى التهم والشتائم التي حفظت عن ظهر قلب من كتاب لينين «مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية»، او الشتائم المستعارة من ادبيات احزاب شقيقة!! وفي كثير من الأحيان حاول محترفو التشويه دبلجة الكثير من القضايا ضد أصحاب العقول الذين قالوا: ماركس ولينين عباقرة ولكن يوسف واسماعيل الذين يعيشون بين ظهرانينا هم أيضا عباقرة، وعومل هؤلاء كأنهم خارجون على القانون ويستحقون ان تلحق بهم فرقة مطاردة لتأتي بهم أحياءا كانوا أم اموات على طريقة افلام رعاة البقر القديمة.

لا يمكن فصل مفهوم ما عن الواقع الذي يعمل فيه، فهناك الكثير من المسائل التي يتم التعامل معها في كوبر مثلا كما يتم في موسكو، وحتى نتخلص من تلك الصنمية البغيضة حقا، يجب علينا أن نتعامل مع كل مفهوم انطلاقا من فهمنا الخاص له، هناك مسألة مهمة ويجب التنبه لها في هذا الوقت بالذات وهي مسألة الديمقراطية، فالبعض يعتبرها حق كل انسان في قول ما يريد، دون تدخل من أي كان، وهذا الفهم يقصد منه التعتيم على الملامح المضيئة لدى الكثيرين، واعتقد ان احدى تجليات الديمقراطية الحقيقية هو ليس فقط اعطاء الحرية لقول كل شيء فقط بل واسماع كل شخص الحقيقة ولا شيء الا الحقيقة، وحتى يمتلك كل انسان القدرة على تمييز الحقيقة دون غيرها لا بد من تطوير قدراته على التفكير المستقل، وهي الملكة التي اغتيلت لدى الكثيرين طوال السنوات الماضية جراء الأوامر الادارية بهذا الشكل أو ذاك.

وحتى لا اتهم بانني وضعت عنوان المقالة بشكل استعراضي، اعود لأقول ان مقالة السيد اسعد المذكورة لم تكن الا تصويرا للواقع الذي حدث واستخلاصا للعبر والنتائج دون الحاجة الى اسلوب التحليل، فدكتاتورية البروليتاريا التي هاجمها، اجمع الكثيرون على أنها اسواء ما تضمنته اللينينية التي يدافع عنها السيد حاتم، اما الاشتراكية العلمية التي يجزم السيد حاتم على أنها لم تفلس، قد افلست فعلا، وهذا ليس حكما جزافيا، ويمكن لُ يكون مثار نقاش موسع، وهذا ما تفعله حسب اعتقادي، مجلة الكاتب، اما حديث السيد حاتم عن عدم سماعه الا بوجود تيارين فلسفيين لتفسير العالم هما:- الفلسفة الماركسية - اللينينية والفلسفة المثالية بمختلف تياراتها، فانا متأكد ان هناك الملايين التي تربت على ما سمعت ولا تريد في يوم من الأيام، وربما لانها لا تستطيع، أن توجد فلسفة جديدة او تساهم في صياغة منطلقات نظرية جديدة ودون ربطها باسم معين لأن مسألة الاسم كانت جزءا من الوثنية العصرية التي نأمل التخلص منها. أما حديثه عن دفاع السيد أسعد عن النظريات التوفيقية التي هزمت منذ امد بعيد! وهذا الحكم للسيد حاتم، الا أنني وبعد قراءة مقال السيد اسعد لم اجد هذا الموضوع مطلقا، لذا فانني اود أن أتحدث في هذا الموضوع عن موقف شخصي، حيث أن هذا الحكم الذي استخدمه السيد حاتم هو اعادة استخدام واستعمال واستعارة لحكم جاهز تجاه كافة النظريات التي لم تنسجم مع الماركسية، فهو لم يكلف نفسه حسب ما يبدو استعراض هذه النظريات ولو بشكل سريع لاثبات ان هذه النظريات قد هزمت منذ أمد طويل، وسأكتفي هنا بالحديث عن مقال واحد وهو نظرية الدولة لدى لينين، فالدولة عنده اداة بيد طبقة لاستغلال واضطهاد طبقة اخرى، في حين اثبت التطور اللاحق للبشرية ان الدولة يمكن ان تنفصل عن الطبقات وتصبح اداة لتحقيق العدل والمساواة بين كافة الطبقات، بعد وضع اسس معقولة ومقبولة لدى جميع الطبقات، لتسيير المصالح بين حلفي شمال

Digitized by Birzeit University Library

الاطلسي ووارسو وهما احلاف طبقية حسب الفهم الماركسي - اللينيني. ان الصيغة التوفيقية تهزم الصيغة اللينينية على أرض الواقع، لذا لست أدري كيف اطلق السيد حاتم موقفه المتسرع تجاه النظريات التوفيقية، مما يؤكد ان هناك الكثيرين ممن يحاكمون كل جديد بقانون قديم.

ما يمكن قوله باختصار ان النظريات التوفيقية حول مسائل معينة، هوجمت في السابق لانها كانت تختلف مع الرؤية الماركسية - اللينينية، وكنا نهاجمها باعتبارها كذلك، أما وقد بدأنا في قراءة الماركسية - اللينينية مرة اخرى، فيجب علينا ان لا نطلق احكاما ليس لها ما يبررها، وعلينا ان نقرأ كل النظريات واهمها نظريات الفلاسفة العرب والمسلمون لنتمكن من صياغة اسس جديدة لتفكيرنا تكون قادرة على الاجابة عن كافة التساؤلات التي تدور في أذهاننا.

اسرائيل تطور مدفعا أقوى أربع مرات من المدافع العادية!

حيفا- مكتب «الاتحاد» - في وقت يجري فيه تصعيد الحملة المعادية للعراق على خلفية امتلاكه أسلحة غير تقليدية،يكشف النقاب عن ان الصناعات العسكرية الإسرائيلية تدأب منذ سنوات على تطوير مدفع غير تقليدي من حيث سرعة قذائفه وأنها ستبدأ المرحلة الثانية من تطوير صاروخ «حيتس» في إطار المشروع الامريكي «حرب النجوم».!

فقد اعلن مدير مشروع «حرب النجوم» جورج مونيهان، في محاضرة ألقاها في واشنطن حول موضوع التعاون بين الصناعات العسكرية الأمريكية والإسرائيلية ان علماء في مركز الأبحاث الذري في إسرائيل يدأبون منذ ثماني سنوات على تطوير مدفع غير تقليدي تبلغ سرعة قذائفه اربعة أضعاف المدافع المعمول بها في جيوش العالم! ويستند المشروع على صناعة مدفع «ألكترو- ترمي» يتم فيه إنتاج بلازما بواسطة ضغط وطاقة حرارية عاليين على أن تحقن البلازما في ماسورة المدفع خلف القذيفة الأمر الذي يؤدي إلى دفعها بقوة هائلة. ويحاول الباحثون أن يتوصلوا إلى سرعة ستة كيلو مترات في الثانية للقذيفة.والتغلب على مشكلة تخزين الطاقة المطلوبة.

وذكرت المجلة الأسبوعية الأمريكية «ديفنز نيوز» أن مسؤولين إسرائيليين وأمريكيين يتباحثون حول المرحلة الثانية من تطوير صاروخ «حيتس» الذي تنفذه الصناعات العسكرية الاسرائيلية لصالح مشروع «حرب النجوم». وذكرت المجلة ان المرحلة الثانية من المشروع ستكلف مبلغ ١٩٠ مليون دولار وتبدأ مع بداية العام ١٩٩١.

Digitized by Birzeit University Library

فيزياء للفلاسفة والشعراء

نبيل قسيس*

هذا ملخص محاضرة كنت قد اعددتها لألقيها في برنامج المحاضرات العامة في جامعة بيرزيت في مطلع العام الدراسي ٨٨/٨٧ الذي حال اغلاق الجامعة دون استمراره. الهدف من المحاضرة هو تعريف ذوي الاختصاصات "البعيدة" عن العلوم الطبيعية والرياضيات التطبيقية، وبالتحديد الفلاسفة والشعراء، بالفيزياء من زاوية المفاهيم الفلسفية والجمالية المألوفة لديهم

مقدمة

أستهل حديثي بالتذكير بأن الفيزياء قد تطورت في أوائل عهدها كفرع من الفلسفة الطبيعية منذ ذلك الحين. ولذلك فان للفلاسفة مواقف من المفاهيم الفيزيائية كما ان للفيزيائيين مواقف من المفاهيم الفلسفية. فالفيزياء والفلسفة انطلقتا من نفس المنطلق نحو نفس الهدف الا وهو الوصول الى "المعرفة" و "الحقيقة". وسار هذان الحقلان معا لفترة ثم بدأا بالابتعاد عن بعضهما البعض نتيجة اختلاف الاجابات التي يقدمانها - او يرضى بها منظروهما - عن نفس السؤال والنماذج التي بنوا عليها اجاباتهم. فعن السؤال الاساسي: "لماذا؟" تجيء الاجابات متباينة بطريقة تعكس تباينا في الطموح المعرفي لدى الفئتين او - لكي اكون اكثر انصافا لكليهما - تباينا في تعريفهما للمعرفة. لنأخذ مثلا الاجابة عن السؤال لماذا اذا وضعت هذا الجسم (القلم الذي اكتب به) على الطاولة (التي اكتب عليها) لا

* الدكتور الاستاذ نبيل قسيس full proff ، في دائرة الفيزياء بجامعة بيرزيت، وقد شغل حتى فترة قريبة منصب نائب رئيس الجامعة للشؤون الاكاديمية.

Digitized by Birzeit University Library

يسقط خلالها ولكن اذا وضعته في ماء أو هواء او رمل فانه يسقط خلاله؟ فالفيلسوف يصل بنا في معرض اجابته الى بديهية قد تكون التسليم بأن الاجسام الصلبة لا تسقط من خلال الاجسام الصلبة. الفيزيائي في المقابل يقبل بهذه الاجابة على مضض لأنه يتفق مع الفيلسوف حول الظاهرة ولكنه يتردد في اختزال الاجابة الى بديهية بهذه السرعة وهو يريد اولا ان يعرف ما الذي يجعل الجسم الصلب صلبا وهو يحاول ثانياوربما ينجح في اجراء تجربة يمرر فيها جسم صلب من خلال جسم صلب آخر. ومثل آخر: لماذا اذا حركت رجلي بطريقة معينة فانني امشي؟ قد يجد البعض تفسيرا لهذه الظاهرة في الوظيفة الفسيولوجية للرجلين والبعض الآخر - الفلاسفة - في نسبية الحركة، فانك اذا حركت رجلك وبقيت الارض ثابتة من تحتك فانك تكون قد نقلت رجلك نسبة للأرض الثابتة وهذا امر مسلم به ويمكن ان نستخدمه لتعريف الانتقال أو المشي. اما الفيزيائي فيرى انك اذا قمت بنفس الحركة ورجلك الاخرى في الهواء فانك لا تنتقل، وكذلك الامر اذا كانت رجلك الاخرى اثناء هذه الحركة على ارض ملساء. ويأتي الجواب: الاحتكاك هو المسؤول عن ظاهرة المشي! فما هو الاحتكاك؟ انه قوة! فما مصدرها؟ انه قوة بين جزيئات الجسمين المتلامسين! فما أصلها؟ ان اصلها القوة الكهربائية! فما هي الكهرباء وما الذي يحملها؟ هي خاصة بعض الجسيمات! ولماذا بعض الجسيمات وليس البعض الآخر؟ وماذا عن تركيب هذه الجسيمات؟ الخ الخ .... وما ان يصل الفيزيائي الى اجابة ترضيه ولو مرحليا الا ويكون قد ابتعد كثيرا عن واقع محيطه فأصبح غريبا عليه في تفكيره ونظرته للامور. الفيزيائي يعقد الامور من وجهة نظر الشعراء. ولكن في خضم محاولات الفيزيائي للوصول الى اطار يفسر الظواهر ويوحد المفاهيم والنظريات، بدأت تبرز نماذج او اطر ذات نواح جمالية او ابعاد فلسفية جمالية يستطيع فهمها وادرك كنهها غير الفيزيائيين ايضا من الاشخاص المهتمين بالمعنى الشكل والنسق. وبوصولنا الى بوادر نظرية شاملة للفيزياء مبنية على نواح جمالية أشعر ان الفيزياء قد اصبحت من جديد قريبة الى فهم الفلاسفة والشعراء ومن هنا جاءت فكرة محاضرتي هذه.

ويحضرني في هذه المناسبة ان اذكر ان الشاعر الألماني يوهان فولفجانج فون غوته Goethe(١٧٤٩ - ١٨٣٢) قد كتب عددا من المقالات العلمية الطويلة بما فيها مقالة يحلل فيها الضوء واللون تحت عنوان "حول علم الألوان" نشرها عام ١٨١٠ وطرح فيها عدم صحة ما جاء في كتاب "البصريات" لنيوتن (١٧٠٤). قال غوته أن الضوء لا يمكن ان يتكون من الوان مختلفة فالضوء نقي (هكذا!)، وان ما يحصل هو ان الضوء يظهر بالوان مختلفة عندما يتفاعل مع الأوساط المختلفة بما في ذلك الظلام. ومع ان غوته جعل من نفسه اضحوكة امام العلماء لأنه سمح لنفسه ان يدع الصوفية تتغلب على حسن ادراكه الا ان احد الفيزيائيين في بريطانيا استطاع مؤخرا (١٩٨٧) ان يجري احدى التجارب الرئيسية التي اقترحها غوته لاثبات نظريته، وان يلاحظ تماما ما تنبأ به غوته. يبقى ان اقول ان غوته لم يدحض نيوتن فنظريته كانت خاطئة الا انه على ما يبدو عثر على ظاهرة فسيولوجية تتعلق بالرؤيا قبل أكثر من ثمانين عاما من اكتشاف عالمين المانيين لهذه الظاهرة وتفسيرهما لها علميا، وهي الظاهرة التي تفسر نتيجة التجربة التي كتب عنها غوته. العبرة من هذا هي ان الفيزيائيين يأخذون كل شيء على محمل الجد ان عاجلا اما آجلا طالما كان اساسه التجربة، ولذا فحتى الشعراء يستطيعون اغناء الفيزياء.

الفيزياء وموقعها من الفلسفة

Digitized by Birzeit University Library

بعد هذه المقدمة انتقل الى تعريف الفيزياء كمدخل لتحديد موقعها وطرائقها بالنسبة للحقول الاخرى، ويتفق معظم الفيزيائيين فيما بينهم، على ما يبدو، على أن الفيزياء هو العلم الذي يهتم بالتفاعل ما بين الطاقة والمادة. ان هذا التعريف للفيزياء مع انه دقيق من ناحية علمية الا انه مثال للأسباب التي جعلت الفيزياء والفيزيائيين يظهرون وكأنهم في منأى عن واقع محيطهم غرباء عليه في تفكيرهم وربما في نظرتهم للامور. [فتعريف الفيزياء بهذه الطريقة امام جمهور من غير المتخصصين لهو كمن يسمى نبتة معروفة مألوفة لدينا كالبابونج باسمها العلمي اللاتيني Anthemis tomentosa لدى العطار مما لا يولد الا السخط والرفض والشعور بالبعد والاغتراب] ما ارمي اليه هو انه بالامكان تعريف الفيزياء بطريقة يفهمها الجميع ويقربها من احاسيسهم فيدركون ان ما نتعاطاه نحن معشر الفيزيائيين يمت لعالمهم وليس لعالم آخر. من هذا المنطلق اقول ان الفيزياء هو العلم الذي يهتم باعطاء الاجابة النهائية عن اسئلة: «لماذا؟» و «كيف؟» وذلك بهدف الوصول الى المعرفة. انني مقتنع اننا اذا نظرنا الى الفيزياء من هذا المنطلق، اي منطلق تفسير الاشياء، فسنجد ارضية مشتركة مع جميع العلوم الاخرى وبعدها يصبح النظر الى الامور من زاوية الفيزياء او غيرها من العلوم - ربما، أو على الارجح، ما عدا علم النفس - مسألة اختيار الطريق الأكثر عملية. ولعل المتابع لسردي هذا يستقرىء من انه باستطاعة الفيزياء الاجابة عن جميع الاسئلة والتعامل مع جميع المسائل. ولا اريد ان اوافق او ان اختلف مع هذا الاستقراء الان بل ابقى مع السؤالين الأصليين: لماذا وكيف.

لنأخذ اي حال او اي حدث ونحاول فهمه. ان نحاول فهم الحال او الحدث هو ان نحاول الاجابة عن السؤالين «لماذا؟» و «كيف؟». «لماذا» تعني: لماذا هذا الحال بالذات من بين جميع الأحوال الممكنة التي استطيع تصورها او حتى تلك التي لم اكن ادري بوجودها او اعرف انها ممكنة؟ اما «كيف» فهي مرتبطة ارتباط وثيقا «بلماذا» وهي تتعلق بالحدث او تغير الحال بدلا من الحال نفسه، اي انها تهدف الى فهم الانتقال من حال الى آخر. واذا قبلنا بالنموذج انه بين كل حالين هناك حال ثالث وسيط امكننا تحليل «الكيف» الى عدد لا حصر له من «اللماذات»، اما اذا رأينا اننا بتحليلنا هذا سنصل في النهاية وبعد عدد محصور من الخطوات الى حالين لا ثالث بينهما فنكون بذلك قد رضينا بدرجة من عدم اليقين فلا «كيف؟» ولا «لماذا؟» ولكن «هكذا!» ووجب علينا عندها قبول عدم اليقين هذا او اعادة النظر في النموذج الاصلي الذي ادى بنا الى هذا الوضع. فعدم اليقين هذا ناتج عن نظرتنا الى الاحداث كسلسلة واحدة متصلة عنصرها او حلقتها هي الحال او الحدث والحدث هو الحال - اعتمادا على كيف ننظر الى الحلقة او العنصر - وهي حلقة غير قابلة للتحليل اكثر من ذلك ويكتنف داخلها عدم يقين نابع من قناعة تكونت لدينا بسبب

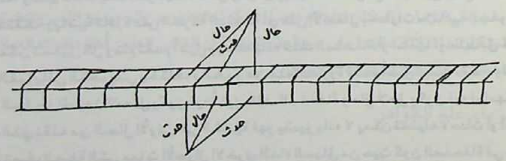

(كل عنصر يمكن اعتباره حال بين حدثين او حدث بين حالين)

Digitized by Birzeit University Library

حواسنا وادراكنا ان اي حدث يجب ان يكون بالامكان تحليله الى احداث اولية وهكذا الى ما لا نهاية فاذا ما وصلنا الى ما يمكن تحليله اكثر قلنا اننا نجهد ما يدور هناك على نطاق اضيق واصبحت الاحداث تشغل حيزا مجهول المحتوى. (وينطبق هذا ايضا على «الاحوال» بالطبع.)

وقد انطلق فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد بيريمنيدس Perimenides و زينو zeno of Elea من منطلق امكانية تحليل الحدث الى ما لا نهاية ومن هنا طرح زينو تعارضاته الظاهرية المشهورة " Zeno's Paradoxes لكي يثبت مقولة بير يمنيدس بعدم امكانية التغير. فالنسبة لزينو اي تغيير يتطلب عددا لا حصر له من الخطوات وهذا لا يمكن تحقيقه في اي زمن نهائي او فترة زمنية محصورة ولذا فالتغيير غير ممكن. وان حجة زينو كانت قوية لدرجة انه بالرغم من قناعته هو ومن بعده بعدم صحتها لتعارضها مع الواقع العلمي، الا ان احدا لم يستطع دحضها حتى القرن التاسع عشر عندما طور جورج كانتور Cantor حساب اللانهائيات وبين ان العدد اللانهائي من الخطوات يمكن ان يؤدي الى مجموع نهائي. والواقع ان زينو قد عثر على شيء لم يدرك حتى هو كنهه وعمق اثره ولو انه نظر الى الامور من وجهة نظر الفيزيائي لامكن اعطاء الفيزياء دفعة الى الامام لا اجرؤ الان على تقدير اهميتها وبعد اثرها.

لنأخذ تعارض زينو الظاهري المسمى «أخيل والسلحفاة». هنا تسير السلحفاة ببطء وبسرعة تساوي عشر سرعة أخيل مثلا. وفي بدء السباق بينهما تعطى السلحفاة سبقا مقداره ١٠٠ وحدة مسافة مثلا. ثم يبدأ السباق وما ان يصل أخيل الى المكان الذي انطلقت منه السلحفاة تكون هذه قد قطعت عشر وحدات مسافة إضافية وعندما يصل أخيل الى هذا المكان تكون السلحفاة قد قطعت

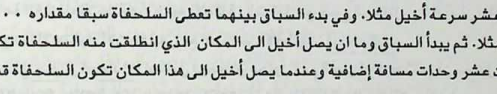

(أخيل والسلحفاة)

وحدة مسافة اخرى ثم عشر وحدة ثم جزء بالمئة من الوحدة وهكذا الى مالانهاية بحيث يحتاج اخيل السريع الى عدد لا نهائي من الخطوات ليتخطى السلحفاة البطيئة فلا يسبقها ابدا. الواقع الفيزيائي يتعارض بالطبع مع هذه النتيجة وسبب هذا التعارض هو الاستنتاج الخاطىء ان العدد اللانهائي من الخطوات يؤدي الى مجموع غير نهائي وقد بين كانتور كيف يمكن الخروج من هذه المعضلة. ولكن هناك بعدا آخر لهذا المثل وهو ان زينو قد تعامل مع قدم أخيل (ومع السلحفاة ايضا) كنقطة رياضية قادرة على الحركة المتصلة اي على الانتقال بخطوات متناهية الصغر وانه من الممكن تحليل كل وضع لقدم أخيل ووصفه بأنه خلف السلحفاة او امامها او متطابق معها. الواقع الفيزيائي التجريبي يختلف بالطبع عن هذه الصورة فقدم أخيل ليست نقطة، ولعلها بحجم السلحفاة، وهناك حال يكون فيه أخيل خلف السلحفاة وحال لاحق يكون فيه امامها، اما الحدث الذي نقله من الحال الأولى الى الثانية فهو يتميز بانه لا يمكن تحليله لأحداث او احوال ابسط تتصف الصفة التي ميزت الأحوال الاخرى اثناء السباق من حيث كون السلحفاة في موقع محدد: اما امام اخيل او خلفه. فالحدث بين الحالتين هو حال يكتنفه عدم يقين ولا يمكن وصفه

Digitized by Birzeit University Library

بأنه حال تطابق بين مكان أخيل ومكان السلحفاة، كما انه ليس بالامكان تقليل طول الخطوة الى مالانهاية بحيث يقل عدم اليقين المشار اليه لدرجة التلاشي.

اما في تعارض زينو المعروف «بتعارض السهم» فهو يرى ان السهم الطائر لا يمكن ان يكون متحركا في المكان الذي شغله. ومن ناحية اخرى لا يمكن ان يتحرك السهم في المكان الذي لا يشغله. ويستنتج زينو من ذلك ان السهم الطائر يجب ان يكون ساكنا. وينطلق زينو في هذا التعارض من منطلق امكانية تحديد مكان الجسم في جميع الاحوال فيتوصل الى نفي امكانية الحركة. ولم يدر في خلد زينو كما يبدو ان يتساءل حول جواز تحديد المكان والحركة في آن واحد. تعارض السهم كان يجب ان يؤدي الى هذا التساؤل من واقع النتيجة التجريبية التي تبين انتقال السهم الطائر من مكان انطلاقه الى مكان هبوطه. ولكن الحركة واشغال مكان محدد هما صفتان مسلم بهما يجب ان يتمتع بهما الجسم الفيزيائي من وجهة نظر زينو ولذا فهو في حيرة من امره. ان فيزياء نيوتن مبنية على هذا المفهوم، اي امكانية تحديد مكان الجسم وكمية حركته في آن واحد، اما الاطار الرياضي لاجراء الحسابات الرياضية ضمن هذا المفهوم فهو حساب اللانهائيات.

لقد كان من المتوقع - بادراك مؤخر لطبيعة الحال - انه في اللحظة التي يقوم بها الفيزيائي بتجربة أخيل والسلحفاة او تجربة السهم الطائر (مع الاستعاضة عن السلحفاة او السهم بجسيم «اولي» هو اقرب ما يكون الى النقطة الرياضية، وعن قدم أخيل بجهاز الكاشف) ان يتوصل الى نتائج تتعارض مع المفاهيم التي بنيت عليها تلك التعارضات. فنحن نعرف الآن ان مكان الجسم وكمية حركته لا يمكن تحديدهما في آن واحد وان هناك عدم يقين ملازم لتحديد مكان الجسم المتحرك. وبدون الدخول في تفاصيل التجارب الفيزيائية التي أدت الى اعادة النظر في هذه المفاهيم، تكفي الاشارة الى انها جاءت بعد حوالي ٢٥٠٠ سنة من طرح زينو لسؤاله. وقد توجت اعادة النظر هذه بنظرية «ثورية» هي الفيزياء الكمية والمبنية اساسا على مبدأ عدم اليقين.

يعتقد بعض الفيزيائيون ومنهم اينشتاين ان الفلاسفة قد أخروا تقدم العلوم، وبالتالي المعرفة، وذلك عندما «ابعدوا بعض المفاهيم من مجال المعرفة المبنية على الخبرة حيث يمكننا السيطرة عليها والتحكم بها، ورفعوها الى قمم البديهية او المسلم به (Apriori) حيث لا يمكن المساس بها» مما اضطر البشرية للانتظار الى حين ظهور القلة الافذاذ من الفيزيائيين الذي كان لديهم المزيج المناسب من الذكاء والمقدرة على العمل الدؤوب والشجاعة العلمية ليروا الواقع على حقيقته وينزلوا هذه المفاهيم من اولمبوس البديهيات المسلم بها الى ارض الواقع التجريبي ويضعوها في اطارها الصحيح حيث يمكن استخدامها بطريقة تخدم تقدم المعرفة الصحيحة وهي المعرفة المستقاة من التجربة. واذا كان اينشتاين قد انطلق في اتهامه للفلاسفة من مفهومي الزمان والمكان فالواقع انهما لم يكونا المفهومين الوحيدين اللذين تنطبق عليهما المقولة. وانها لدلالة عظيمة على صحة هذه المقولة أن التقدم العلمي أخذ خطواته العملاقة دائما عندما تحرر من احدى بديهيات الفلاسفة.

الفيزياء علم الظواهر

ان السوال «لماذا؟» (أو «كيف؟» فالحال هو الحدث والحدث هو الحال كما اسلفت) هو سؤال

Digitized by Birzeit University Library

مرتبط بالحال. ولكي يكون للسؤال معنى وهدف يجب ان يكون الحال مميزا والا لما سئل السؤال. اما الحال المميز فهو ما نشير اليه عادة كظاهرة ولذا فان الفيزياء هي العلم الخاص بفهم الظواهر الطبيعية. اما اذا كان الحال غير مميز اي اذا لم يكن ظاهرة، فالفيزياء لا تهتم به بأكثر من كونه «الوضع الطبيعي» الذي تتم المقارنة به لاستنتاج ان الظاهرة هي ظاهرة بالفعل. ففي غياب الظواهر هناك نسق وتكون الاحوال كلها متتطابقة ولا توجد وسيلة لتمييزها عن بعضها البعض.

ان حواسنا الطبيعية جعلت الزمان والمكان والاتجاه من الخصائص الأساسية لتمييز الأحوال. [وكما هو معروف لدى القارىء فان الحواس الطبيعية تنشأ وتتطور بما يتلائم مع البيئة الزمان - مكانية التي ينشأ فيها الكائن الحي. وقد استطاع الفيزيائيون وضع اسس التقنية اللازمة لتوسيع مدى الحواس الطبيعية وتقويتها عن طريق الاجهزة التي تختلف في درجة تعقيدها بحيث امكن سبر غور الذرة والمجرة على حد سواء.] فما لم تكن الحال ظاهرة، فليس هناك من وسيلة لتمييزها عن حال اخرى بمرور الزمن، بمعنى ان وصفنا لتلك الحال لا يختلف بمرور الزمن ولا يوجد طريقة - من وجهة نظر صاحب الحال - لتحديد طول الفترة التي انقضت او ما اذا كانت اي فترة قد انقضت. من هنا نقول ان الزمن متجانس ولو اجرينا تجربة اليوم لتحديد خواص الحال او اجريناها بعد اسبوع مثلا (تحت نفس الشروط) فسنحصل على نفس النتيجة. أي ان القوانين الفيزيائية لا تعتمد صراحة على الزمن. ونفس الشيء ينطبق على المكان، فمن وجهة نظر حشرة صغيرة ثنائية الابعاد على صفحة بيضاء كبيرة جدا بحيث لا ترى الحشرة حدودها تمثل الصفحة مكانا متجانسا. فلو نقلنا الحشرة اثناء نومها من مكان الى آخر لما استطاعت عند صحوها ان تجزم بانها قد انتقلت من المكان حيث كانت. وكذلك الامر بالنسبة للاتجاه. فلو تحركت الحشرة في اتجاة ما او في اتجاه آخر فان خبرتها ستكون نفسها. وبالطبع لو كان هناك على الصفحة علامة فسيكون بامكان الحشرة تحديد ما اذا كانت قد تحركت او غيرت اتجاه حركتها بالنسبة الى تلك العلامة. المكان المتجانس والمتكافيء الاتجاهات ليس فيه اشارات او علامات! نحن نتعامل هنا مع الفيزياء وهي على اسهل ما يمكن وعلى ابسط ما يمكن، ويمكن تخليصها بالقول بان الحال لا يعتمد صراحة لا على الزمان ولا على المكان ولا على الاتجاه وبالتالي فان الظواهر غائبة تماما. ويجب التذكير هنا اننا قد تعاملنا مع الحشرة وكأنها اكبر بكثير من الدقائق التي تتكون منها الصفحة والا لاستطاعت الحشرة ان تتحقق من انتقالها عند تعثرها بالفراغات بين الدقائق التي ستخدم حينئذ كعلامات فارقة. كذلك فاننا اسقطنا من اعتبارنا عدم اليقين في تحديد حال الجسم او الحشرة ضمن فترات زمنية او مسافات قصيرة جدا، وبذلك نكون في طرحنا قد لزمنا مجال الفيزياء الكلاسيكية. وان الفيزياء الكلاسيكية كافية لبحث وتفسير معظم الظواهر التي نراها او نخبرها في حياتنا اليومية ولذا فستبقى في اطارها في هذه المحاضرة مع الاشارة الى ان بعض الاستنتاجات التي نتوصل اليها ستبقى صحيحة ايضا ضمن اطار الفيزياء الكمية. الزمان والمكان متجانسان من وجهة نظر ظاهرة. وهنا تصبح الفيزياء اكثر تعقيدا ونحتاج الى علاقات بين الأثر (كسر النسق) والمؤثر (السبب في ذلك) وهو ما نسميه بمعادلات الحركة في الفيزياء والتي يمكن ان تكون معادلات بسيطة او معقدة من ناحية رياضية.

Digitized by Birzeit University Library

الفيزياء من وجهة نظر جمالية اذن هي الخروج على النسق. قوانينها نابعة من وجود نسق ومعادلات الحركة فيها هي التي تربط بين ذلك الخروج وسببه. فطالما هناك نسق فهناك شيء لا متغير محافظ عليه. فتجانس الزمان يعني ان الحال لا يتغير بتغير الزمان. وقد اصطلح على تسمية هذا الشيء بالطاقة وما قانون حفظ الطاقة الا العلاقة التي تعبر عن واقع الحال هذا. ونفس الشيء يسري على المكان، فعدم اعتماد الحال على المكان يعني ان هناك شيء يحافظ على قيمته واتجاهه عند الانتقال من مكان الى آخر، وهذا الشيء يعبر عنه الفيزيائيون بما يسمونه كهية الحركة وما قانون حفظ كمية الحركة سوى التعبير الرياضي عن هذا الواقع. وكذلك هو الامر مع عدم الاعتماد على الاتجاه ومع عدم الاعتماد على متغيرات اخرى كثيرة اقل الفة تم اكتشافها اثناء دراسة الجسيمات الدقيقة، بحيث اصبح البحث عن النسق عماد الفيزياء واصبح فهم الظواهر الطبيعية مرتبط بتحديد النسق الذي تشكل هذه الظاهرة كسر أو خرق له(Symmetry Breaking) ومن ثم وضع معادلة الحركة وحلها لكي نستطيع التنبؤ بالأحوال المستقبلية للنظام الفيزيائي المعني.

مما تقدم يبدو اننا سنستطيع فهم الفيزياء فقط عندما نتوصل الى النسق الكامل الذي يوحد كل المفاهيم، أي عندما نتوصل الى الصورة الجمالية الكاملة - بدون اجحاف بحق الفلاسفة والشعراء في ان يكون لكل منهم فهمه الخاص لهذه العبارة. والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو: ما هو النسق الكامل؟ وهل هو مادة الفلسفة ام الشعر ام الفيزياء؟ يبدو لي ان ابسط نموذج للنسق الكامل هو الغياب الكلي للأشياء، واذكر هنا ان الغياب الكلي للأشياء - من وجهة نظر النظرية النسبية - لا يترك فراغا كاملا. فالفراغ - أي الزمان والمكان - هو شيء من «الاشياء» وغياب كل شيء يعني غيابه ايضا. في هذا النموذج يصبح مجرد وجود «الاشياء» هو كسر للنسق أو تجزئة للنسق الكامل لنَسق ادنى درجة. ولا شك ان للفلاسفة والشعراء منطلقات اخرى مختلفة لتحديد الصورة الجمالية الكاملة. ولا استبعد امكانية اسهام غير الفيزيائيين في التوصل الى تلك الصورة. ولكن كل جهد من هذا القبيل سيكون محكوما بمبدأ الوجودالانساني Anthropic principleالذي يضع قيودا على تصوراتنا والاسئلة التي نعتقد ان الاجابة عليها ستؤدي الى الحقيقة. فبناء على هذا المبدأ فان الوجود الانساني قائم بنتيجة الشروط الطبيعية المواتية في الكون او جزء الكون الذي نعيش فيه ونحن نرى ان الكون او جزء الكون هذا كما نراه لأننا موجودون، ولو كانت الشروط على غير ما هي، لما كان الكون على غير ما نراه، لما كنا ولما اثرنا هذه الاسئلة. فهل نستطيع التحرر من قيود، المبدأ؟

× × ×

كنت ارغب في القاء هذه المحاضرة في الحرم الجامعي لكي استدرج ردود فعل الفلاسفة والشعراء في نقاش مباشر حول هذا الموضوع الذي كثيرا ما اجده ممتعا، ويقيني ان بعض الفيزيائيين ايضا كانوا سيجدون فيما جاء في ملخص المحاضرة مادة للنقاش وطرح وجهات نظر اخرى.لجميع هؤلاء اعتذر اذا جاءت بعض المفاهيم غير واضحة تماما او اذا جاء استخدام بعضها في سياق غير مألوف مما قد يثير لديهم اسئلة حول تعريفها. ان ما اطرحه في محاضرتي هذه يعكس وجهة نظري الشخصية التي وان تأثرت بانجازات الآخرين او اخذت باجتهاداتهم، الا انني اتحمل مسؤوليتها وحدي.

Digitized by Birzeit University Library

الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها – وحتى العام ١٩٥٨

سعد عباس عبيد

فيما يلي فصول من رسالة الماجستير للاستاذ سعد عباس محمد عبيد، وهي بعنوان "الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها وحتى العام ١٩٥٨"، ونظرا لأهمية الموضوع، سنقوم بنشر موضوعاتها على حلقات، هادفين بذلك، الى اطلاع قرائنا على جوانب هامة، من تجارب الحزب الشيوعي العراقي الغنية.

الحلقة السادسة والاخيرة

دور الحزب وصحافته السرية ضد الاحلاف العسكرية

كتبت "القاعدة" في عددها الصادر في حزيران ١٩٥٤ مقالا افتتاحيا تحت عنوان "في سبيل حكومة ترفض الاحلاف العسكرية وتطلق حريات الشعب" أوضح فيه سبب التجاء الطغمة الحاكمة الى كل وسائل الارهاب وخنق الحريات ومطاردة مرشحي الجبهة واعاقة ترشيحهم بغية ايصال الاكثرية الرجعية الى البرلمان لتمرير مشاريع المستعمرين الجديدة وحدد المقال الهدف الرئيسي الذي وضعته اللجنة المركزية للحزب اساسا لاتحاد جميع القوى الوطنية "حكومة ترفض الاحلاف العسكرية وتطلق حريات الشعب"(٢٠٢)

Digitized by Birzeit University Library

واستطاع شعبنا بوحدة قواه الوطنية ان يفرض ارادته جزئيا في ممارسة حقوقه الديمقراطية في الانتخابات النقابية وهو يخوض معركته التحررية تحت شعارات وميثاق الجبهة النيابية الوطنية لايصال مرشحي الجبهة الى البرلمان فارتعب المستعمرون الانكلو اميركان والرجعية المحلية من التطور النامي السريع لقوى حركتنا الوطنية الذي انعكس في ازدياد تراص ونمو الجبهة الوطنية، وفي التأييد والمساندة الجماهيرية النشيطة لميثاق الجبهة ولجانها ومرشحيها الذين التزموا بهذا الميثاق وفي نزول جماهير غفيرة جديدة لم يسبق له مثيل في المعارك الانتخابية السابقة. فالجماهير الشعبية في جميع انحاء القطر تعقد الاجتماعات الكبرى وتسير في مواكب المظاهرات لتأمين حقها في انتخاب المرشحين الوطنيين وفي سبيل منع ارتباط بلادنا بمشروع الحلف التركي - الباكستاني وبأي مشروع عدواني وفسخ اتفاقية التسلح الاميركية وتحقيق ميثاق الجبهة الوطنية (٢٠٤).

واصدر الحزب الشيوعي البيانات والنداءات التي تفضح الامن المتبادل التي عقدتها حكومة الجمالي مع اميركا. " حيث لم تعرض الاتفاقية على مجلس الامة العراقي ليقول كلمته فيها ولم تنشر نصوصها على الشعب لتعرف اهدافها"(٢٠٥). كما فضحت تخطيط الحكومة ومحاولتها ربط العراق بمعاهدة تركيا - الباكستان ودعا الحزب الشيوعي الشعب بكافة فئاته وقومياته الى رص صفوفهم وتوحيد خطط كفاحهم في جبهة وطنية للوقوف بوجه هذه المحاولات الاجرامية. فقال في بيانه الصادر في ٢٢ شباط ١٩٥٤... ان بلادنا في خطر وان شعبنا امام كارثة، ولهذا ندعوا للقيام بحملة احتجاجات واستنكارات جماهيرية واسعة ضد محاولة الحكومة في فرضها هذه المعاهدة. ولنا كل الثقة بان شعبنا سيلبي نداء حزبه الشيوعي وينهض بوجه المستعمرين والفئة الحاكمة لاحباط هذه المحاولة الخائنة، كما وزع الحزب الشيوعي نداء في اذار ١٩٥٤ تحت عنوان " لتسقط معاهدة تركيا - الباكستان".

وبعد اتصالات واسعة قام بها الحزب الشيوعي مع ممثلي حزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي ومع كافة القوى الوطنية تم التوصل الى تشكيل جبهة وطنية يقتصر نشاطها على الانتخابات النيابية التي كانت على الابواب واتفقت الاطراف على برنامج موحد كميثاق للجبهة.

فنشرت جريدة القاعدة تحت عنوان "انتصار عظيم تحرزه قوى شعبنا الديمقراطية بعقد الجبهة الوطنية" جاء فيه (لقد ناضل الحزب الشيوعي العراقي على الدوام منذ عام ١٩٤٢ من أجل عقد الجبهة الوطنية الموحدة بين كافة الاحزاب والمنظمات الوطنية الديمقراطية دون ان يعتريه اليأس وبرغم كل العراقيل والصعوبات التي وضعت أمام مساعيه حتى استطاع ان يخرج ذلك الشعار من حيز الشعارات الدعائية الى الواقع العملي".(٢٠٦).

وجرت الانتخابات في يوم ١٩٥٤/٦/٩. وخير وصف لتلك الانتخابات كان في مقال نشرته جريدة "القاعدة" فقالت "لم تكن حوادث التزوير واراقة الدماء وحتى قتل الناخب وهو يرمي ورقة الاقتراع في صندوق الانتخابات ومنع المرشحين الوطنيين من زيارة مناطقهم الانتخابية وضرب حصار بوليسي على مدن بأكملها كالحي والسليمانية والنجف (٢٠٧).

ورغم كل ما مر ذكره نجح التجمع الوطني من ايصال عشرة مرشحين الى البرلمان... وكانت تجربة ناجحة لكل التجمع الوطني من اجل تحقيق اهدافه.. وتمرينا عمليا لتكوين جبهة الاتحاد الوطني فيما بعد..

Digitized by Birzeit University Library

لم تألف الطغمة الحاكمة في العراق وجود معارضة ديمقراطية في البرلمان فعطلت اجتماعاته أولا ثم أصدرت ارادة ملكية بحله، وكلف نوري السعيد بتشكيل الوزارة الجديدة في ٣/آب/ ١٩٥٤ وكان هذا الحل هو الشرط الاساسي الذي فرضه نوري السعيد لإخراج الحكم العميل من ورطته وهو الخبير في تصفية حريات الشعب وتدبير المؤامرات على مصير البلاد تحت ستار انتخابات جديدة باسم "إستفتاء الشعب" والغاء معاهدة ١٩٣٠ مع الاشادة بالحلف التركي الباكستاني. فكتبت جريدة"القاعدة" مقالا تفضح هذه الاكاذيب التي حاول الحكم إسدالها على مشاريعه المفرطة باستقلال البلاد قائلة:- إن الشعب العراقي ناضل منذ عشرات السنين من أجل تحطيم سلاسل معاهدة ١٩٣٠ ولكن نوري السعيد يريد من الغاء معاهدة ١٩٣٠ الابقاء على مفعولها، انه يريد ابقاء الجيوش والقواعد الاجنبية وتحميل العراق نفقاتها، يريد ابقاء السياسة العراقية في تبعية الاستعمار بادخال العراق في الحلف التركي الباكستاني وجعل العراق رأس جسر للحرب ويريد بما اسماه إستفتاء الشعب الذي مهد له بهجوم على الحركة الوطنية وعلى القوى التقدمية في البلاد تشكيل برلمان رجعي يوافق على هذه المشاريع...(٢٠٨).

وقد لجأت الطغمة الحاكمة الى سياسة المراسيم لتعطيل أكثر مواد الدستور العراقي. فأصدرت جملة من المراسيم لمحاربة الحركة الوطنية وطليعتها الحزب الشيوعي العراقي. وكان أهمها المرسوم ١٦،١٧،١٨،١٩،٢٤ لسنة ١٩٥٤.

وفي هذا الجو المشحون بأقسى ما ابتكرته الديكتاتورية من وسائل اضطهاد وخنق الحريات، اجرى نوري السعيد الانتخابات البرلمانية وبالرغم من مقاطعة القوى الوطنية لها... فانها انتهت بمأساة لم يشهد تاريخ البرلمان العراقي نظيرا لها..فقد فاز بالتزكية مئة وواحد وعشرون نائبا من أصل مائة وخمسة وثلاثون. أما الباقون وعددهم أربعة عشر نائبا، فقد فازوا بالانتخاب الصوري...(٢٠٩).

وعطلت الحكومة حتى هذا المجلس لتتفرغ الى ما خططته للدخول في الحلف التركي الباكستاني..واستعدادا لمقابلة عدنان مندريس الذي استقبلته جماهير بغداد بالبيض الفاسد ورمي القاذورات، وقد خاف الكثير من الساسة حضور مراسيم الاستقبال. ومزقت الجماهير الاعلام التركية رغم الارهاب واطلاق الرصاص الذي استشهد على أثره الرفيق كامل طه وجرح العديد كما سيق العشرات الى التوقيف والسجون ولم تقتصر المظاهرات على مدينة بغداد بل شملت الحلة والناصرية والكوت والحي والسليمانية(٢١٠).

وبعد بيان مطول القاه نوري السعيد في ١٩٥٥/١/١٤ أعلن قطع العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي. وفي حينه تقدم الحزب الشيوعي الى الاحزاب والقوى الوطنية بنداء نشرته "القاعدة" جاء فيه"ان المؤامرات الانكلو- اميركية وأعمال الوزارة السعيدية لا تحتاجان الى توضيح بقدر ما يحتاج الوضع السائد في الحركة الوطنية الى مبادرة جديدة للقيام بعمل مشترك وقوي لازاحة طغمة السعيد من الحكم(٢١١).

وكتبت "القاعدة" عدة مقالات لتعزيز ثقة الشعب والقوى الوطنية بقدرتها على تحدي الارهاب وتعبئة صفوفها واحراز النصر فكتبت تحت عنوان "عندما تنطلق قوى الشعب" في ذكرى وثبة كانون قائلة:

ان الوثبة التحررية في كانون لم تهب بسبب"وداعة القوانين السعيدية ولا لسبب "نعم

Digitized by Birzeit University Library

للحريات" لقد انطلقت بكل قوتها في وقت زج فيه المئات في السجون وشملت النقابات.

وكتبت "القاعدة" مقالا تحت عنوان "الارهاب لا يمنع الوحدة الوطنية" . وفي المقال الافتتاحي الذي كان بعنوان "أخطاء يجب أن لا تتكرر" حددت فيه أهم أخطاء الجبهة التي ألفت في ١٢ أيار ١٩٥٤. وفي منتصف ليلة ٢٤ شباط ١٩٥٥ وقع على الحلف التركي العراقي وخلال بضعة ساعات تمت موافقة البرلمان عليه وبذلك كتبت جريدة القاعدة: لقد تم رسميا عقد أكبر صفقة للخيانة وأخطر مؤامرة على العرب وعلى العراق وعلى السلم في الشرق الاوسط وقالت:"الانشقاق بين العرب هي تلك الثمرة الاولى من ثمار هذا الحلف...إن الحلف العراقي التركي موجه بصورة واضحة ضد الاتحاد السوفييتي وضد الشعوب الاسيوية المحبة للسلم وفي نفس الوقت موجه ضد الشعب الكردي الذي نهض ببسالة من أجل خلع منبر العبودية الاستعمارية والاقطاعية في تركيا والعراق وايران (٢١٢).في هذه الفترة واصلت "القاعدة" فضح الحلف الرجعي فكتبت مقالا افتتاحيا تحت عنوان "اسحبوا الايدي المدنسة من سوريا،(٢١٣) قائلا:"ان الشعب العراقي يرى في هذه المؤامرات التي تحاك ضد سوريا والدعايات الاستعمارية التي تذاع باستمرار من أجل سحب هذي الايدي المدنسة وفتح الطريق أمام الشعب السوري لبناء سياسته المستقلة التي تخدم قضية السلم وقضية تحررنا الوطني". لقد فضح الحزب الشيوعي العراقي هذه الاتفاقيات ونتائجها المباشرة والبعيدة في جريدة"القاعدة" فقال ما من شك ان معاهدة نيسان/ ١٩٥٥ التي اتت بدلا عن معاهدة ١٩٣٠ والتي تقضي بنودها صراحة تسخير ارض العراق لأغراض العدوان بفعل سيطرة الخبراء الاجانب. ان هذه المعاهدة أخضعت مرة أخرى سياسة العراق الخارجية والداخلية الى سياسة المستعمرين الانجليز. وفي مثل هذه الظروف العصيبة التي تمر على بلادنا طرح حزبنا الشيوعي العراقي الذي لا يعرف التراجع امام الصعوبات المنهاج الوطني الاني الذي يعبر عن مصالح الاغلبية الساحقة من المجتمع ويتفق مع تطورات الوضع الدولي والداخلي ومع المصالح الملحة العاجلة ويمد يد النضال الفعلي الى كل عراقي ينهض لتحقيق هذا المنهاج أو بعض بنوده او بند من بنوده.(٢١٤)

وفي حزيران ١٩٥٥ عقدت اللجنة المركزية اجتماعا موسعا شخصت جملة من الأخطاء اليسارية الانعزالية في سياسة الحزب مبعثها القيادة الفردية وخرق المبادىء الاساسية الحزبية المتمثلة بالمركزية الديمقراطية والضبط الحديدي. وانتخبت اللجنة المركزية في اجتماعها الشهيد البطل سلام عادل سكرتيرا لها(٢١٥).

نشرت جريدة القاعدة المذكرة المؤرخة في ١٨ تشرين الاول ١٩٥٥ الى الملك التي قدمها الحزب الديمقراطي والاستقلال وتنتهي المذكرة بالتأكيد، بان الوضع الراهن لا يجوز استمراره وان من الضروري المبادرة الى تغييره والتمهيد للعمل على اصلاح الوضع الداخلي وتدارك أخطاء السياسة الخارجية بحيث تؤمن للشعب حقه في الحياة الحرة وفرصه للرفاه الاقتصادي وفي التعليم وفي تحقيق أمانيه القومية(٢١٦).

واصلت الرجعية العراقية سيرها فتم تطوير الحلف التركي العراقي الى حلف المعاهدة المركزية(سنتو) والذي عرف باسم (حلف بغداد) بانضمام بريطانيا وايران وباكستان(٢١٧).

وتصدرت صدر جريدة "القاعدة" شعارات الحزب للمرحلة الانية: ناضلي يا جماهير شعبنا من أجل حكومة وطنية تتضامن مع الدول العربية في عدم الرضوخ لضغط الدول الاستعمارية وفي

Digitized by Birzeit University Library

شجب ميثاق بغداد والتكتلات الحربية العدوانيةالاخرى وتلفي المراسيم الفاشية وتطلق حقوق الشعب الدستورية وتحمي ثروتنا واقتصادنا الوطني من نهب الشركات الاستعمارية وتبذل جهدا صادقا لحل الازمة المعاشية لجماهير العمال والفلاحين والكسبة والحرفيين(٢١٨).

إتحاد الشعب بدل القاعدة

ان تصفية التيارات الانقسامية في حركتنا وتعزيز وحدة الحزب والتفاف العناصر المخلصة والخطوات الانشائية التي خطتها سياسة الحزب في الاونة الاخيرة. كل ذلك عزز الامكانيات الضرورية لقيام دراسة جماعية وعميقة للاوضاع المؤاتية التي تمر بها حركتنا التحررية ومن اجل استنباط وتطوير سياسة صائبة ثابتة لحزبنا في جميع المسائل والمهمات المطروحة على ضوء الاوضاع العالمية والعربية والوطنية المتطورة.

ان حزبنا الشيوعي يرغب في ان تكون وسيلة التعبير والنشر في الفترة الجديدة من حياته باسم جديد لذا فانه يرى التخلي عن اسم "القاعدة" واصدار حريدة الحزب باسم آخر وهو يدعو الرفاق في اختيار الاسم الجديد المناسب للمهمات النبيلة الملقاة على عاتق جريدة الحزب.(١٩ حزيران ١٩٥٦ - اللجنة المركزية).

وفي ٢٢ تموز ١٩٥٦ صدرت جريدة الحزب المركزية وعلى صفحاتها الاولى اتحاد الشعب بدل القاعدة تصدرتها الشعارات التالية: "ناضلي يا جماهير شعبنا في جبهة وطنية موحدة واسعة في سبيل الحقوق الدستورية وحماية اقتصادنا الوطني وثروتنا الوطنية وفي سبيل التحرر من نفوذ وسيطرة الاستعمار وشركائه وعملائه. من أجل التضامن القومي مع حركة التحرر العربية.

لماذا اتحاد الشعب: كتبت اتحاد الشعب مقالا تحت عنوان تغيير اسم القاعدة الى اتحاد الشعب جاء فيه :- بسبب الاوضاع الجديدة في حياة الحزب وسياسته ارتأت اللجنة المركزية تغيير اسم القاعدة الجريدة المركزية والناطقة بلسان الحزب واختيار اسم (اتحاد الشعب). الاكثر وضوحا وقبولا لدى الجماهير والمعبر عن المهمة الاساسية في كفاح الحزب وجريدته ضد الاستعمار والرجعية. نحن واثقون بان هذا التغيير لن يكون شكليا أو مصطنعا بل سيكون تأكيدا جديدا لعزمنا على الاستفادة القصوى من تجارب الحزب الغزيرة والاتعاظ بأخطاء الماضي والنضال الحازم في سبيل جبهة كفاحية واسعة ضد الاستعمار وعملائه وفي سبيل الانسحاب من ميثاق بغداد ومواكبة الركب العربي التحرري وفي سبيل عراق مستقل وحضارة عربية ديمقراطية جديدة.

الكونفرنس الحزبي الثاني أيلول ١٩٥٦

عقد الحزب في ايلول ١٩٥٦ الكونفرنس الحزبي الثاني على اساس وثيقة برنامجية بعنوان " في سبيل تحررنا الوطني والقومي" وكانت هذه الوثيقة تتضمن الخطوط العلمية التي يمكن اعتبارها اساسا لوحدة القوى الوطنية في الظروف الجديدة حيث شهدت حركة التحرر العربي نهوضا جديدا وبرزت الى الميدان دول عربية متحررة تناهض الامبريالية والصهيونية وقد شخص التقرير مهمة الساعة وهي اقامة حكومة وطنية ووضع امامها مهاما محددة(٢١٩).

Digitized by Birzeit University Library

وقد أفرد الكونفرنس بابا خاصا بعنوان " الجبهة الموحدة " وقد درس الكونفرنس الوضع السياسي الملموس وحدد أساليب النضال التي يمكن بواسطتها اسقاط السلطة كما يلي:-" من باب أولى أن يكون ذا طابع سلمي قائم في الاساس على تعبئة القوى الوطنية في جبهة واسعة والضغط بها على نحو مركز وبأشكال مختلفة مؤثرة بغية تبديل السياسة القائمة بسياسة وطنية عربية مستقلة ودفع البلاد في طريق التطور ولا يمنع أن يكون طابع هذا النضال سلميا ايضا. اذا ما اتخذ في ظرف معين شكل (وثبة شعبية) هي من مفاخر الشعب العراقي وتقاليده الثورية المجيدة (٢٢٠).

ويستدرك تقرير الكونفرنس ليوضح بان مسألة العنف بالنسبة لنا كما هي بالنسبة لجميع الحركات الثورية المماثلة - مسألة يقررها سلوك الخصم عندما لا يريد ان ينزل عند ارادة الشعب (٢٢١).

دور الحزب وصحافته في انتفاضة عام ١٩٥٦

في ٢٦ تشرين الاول عام ١٩٥٦ امتز العراق والعالم العربي على اثر الاعتداء الثلاثي على مصر فعمت العراق المظاهرات الصاخبة ونددت الجماهير فيها بالدول الاستعمارية واسرائيل وبسياسة الحكومة العراقية مطالبة اياها بالخروج من " حلف بغداد " والغاء كافة المعاهدات والاتفاقات المعقودة بين بريطانيا والعراق والولايات المتحدة. لقد شملت المظاهرات الصاخبة جميع المدن العراقية وقد استعملت السلطة العميلة الرصاص والغازات المسيلة للدموع ضد الشعب المنتفض فسقط على اثر ذلك العديد من الشهداء كان في مقدمتهم الرفيق عواد الصفار . لقد ضاعف الحزب طاقة عمله في النشر والدعاية والتحريض فاصدر عشرات الالوف من اعداد الجريدة والمنشورات التحريضية ونشرات الاخبار كما قام بجهد لايصال صوت شعبنا الى الصحف والاذاعات العربية بغية توسيع مدى النشر وضمان اوسع المؤازرة من جانب الشعوب الشقيقة(٢٢٢).

اضطرت حكومة السعيد الى اعلان الاحكام العرفية وغلق الكليات والمدارس مرتين متواليتين. وكتبت جريدة " اتحاد الشعب " تحت عنوان موكب العروبة الظافر يشق طريقه الى الامام قائلة " خطت مصر الشقيقة خطوة جريئة حازمة فاستعادت حقها السليب في قناة السويس..(٢٢٣) ووزع الحزب الشيوعي بيانا في ١٣ / آب تحت عنوان " الحزب الشيوعي العراقي يدعو الشعب العراقي الى الاضراب العام تضامنا مع الشعوب العربية لنصرة مصر. وحدد الحزب المهام الرئيسية التي تستوجبها المرحلة في جريدة اتحاد الشعب تحت عنوان " الاتحاد الوطني هو السبيل لاحباط مؤامرات الاستعمار وعملائه(٢٢٤). كما حددت جريدة اتحاد الشعب المهام الرئيسية التي يجب على العراق القيام بها لمساعدة مصر في معركتها ضد الاستعمار وعلى القوى الوطنية في العراق ان تناضل من اجل تحقيقها ومن جملتها استعمال النفط كسلاح في المعركة فكتبت مقالا حول بيان الحكومة وموقفنا من مصر تحت عنوان "(غدر ونفاق "(٢٢٥).

وكان ابرز مثل على استعداد الجماهير لتطوير اساليب كفاحها في تلك الانتفاضة هو العصيان المسلح في قضاء الحي، فكتبت جريدة اتحاد الشعب تحت عنوان " انتفاضة الحي نموذج لبطولات

Digitized by Birzeit University Library

شعب صمم على الانتصار" (٢٢٦) فعلى الرغم من فشل انتفاضة تشرين في تحقيق اهدافها والاساليب الوحشية التي قمعت بها ، فقد ألهب الانتصار الذي حققته مصر على العدوان الثلاثي حماس الجماهير الشعبية ودفعها الى رص الصفوف والعمل النشيط لتصفية السيطرة الاستعمارية والمصالح الاجنبية وكان للدور الكبير الذي لعبه الاتحاد السوفييتي في دعم العرب في نضالهم ولا سيما انذاره التاريخي للمعتدين واستعداده للدفاع عن الشعب المصري قد زاد لدرجة عظمى من تعريف الجماهير العربية على حلفائها الطبيعيين وعزز ثقتها بالنصر (٢٢٧)

" اننا حقا على ابواب نصر قريب .. فعندما تبدو استار الظلام وهي ترتعش امام مواكب النور الزاحفة مع الفجر فلا بد للشمس ان تطلع لتبدد بسياط أشعتها الباهرة ظلمات الليل البهيم". هكذا كتبت اتحاد الشعب بعد انتفاضة تشرين ١٩٥٦. فقد لخص الحزب الشيوعي شأنه بعد كل انتفاضة، التجربة للحركة الوطنية ولعموم الشعب ووضع امامها- والاحداث ما تزال طرية في الاذهان- النواقص والثغرات التي استغلها العدو لضرب الانتفاضة وكان أول عمل قام به الحزب الشيوعي هو رفع المعنويات لدى بعض القوى الوطنية وبعض الاوساط الشعبية الذين شملهم القنوط بعد فشل انتفاضة تشرين واساليب البطش التي قمعت بها، فكتبت " اتحاد الشعب " الى أي حد تستطيع سياسة الاستعمار والعدوان والغدر والخيانة ان تدوم وتبقى؟ (٢٢٨). وجاء في اتحاد الشعب مقالا افتتاحيا بعنوان " مشروع ايزنهاور لن يجد مصيرا أفضل من مصير حلف بغداد.

جبهة الاتحاد الوطني

توجت الجهود التي بذلها الحزب بقيادة الشهيد البطل الرفيق سلام عادل بتأليف جبهة الاتحاد الوطني اوائل عام ١٩٥٧ وكانت اللجنة العليا تتألف من ممثلي جميع الاحزاب والقوى المعارضة لنظام الحكم العميل وهم : ممثلو الحزب الوطني الديمقراطي، البعث العربي، الاستقلال، الشيوعي حيث اشترك حزبنا في هذه اللجنة بعدة ممثلين.

أعلنت اللجنة العليا لجبهة الاتحاد الوطني بيانها للجماهير حول الجبهة في ١٩ آذار ١٩٥٧ وقد أدرجت في البيان اهداف الجبهة التي أجمعت عليها جميع الاحزاب السياسية وهي:

١- تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي.

٢- الخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع البلدان العربية المتحررة.

٣- مقاومة التدخل الاستعماري بشتى اشكاله ومصادره وانتهاج سياسة عربية مستقلة اساسها الحياد الايجابي.

٤- اطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية.

٥- الغاء الادارة العرفية واطلاق سراح السجناء السياسيين واعادة المدرسين والموظفين والمستخدمين والطلاب المفصولين لاسباب سياسية.

اضافة الى اللجنة العليا، شكلت لجنة تنظيم مركزية مؤلفة من الاحزاب والمنظمات الجماهيرية وكانت هي الهيئة المنفذة لقرارات اللجنة العليا، وكانت لهذه اللجنة لجان عملية عديدة ومهنية تمتد على نطاق القطر (٢٢٩).

Digitized by Birzeit University Library

وقد ارتبط الحزب(باتفاق تعاون ثنائي) مع الحزب الديمقراطي الكردستاني بسبب رفض الاحزاب البرجوازية العربية اشراكه في الجبهة واقامت الجبهة ايضا اوثق العلاقات مع منظمة الضباط الاحرار، وبعد تشكيل جبهة الاتحاد الوطني ناضل الحزب في سبيل تحويلها الى حركة جماهيرية واسعة فجاء في اتحاد الشعب : بديهي ان قوة ومنعة الجبهة الوطنية تأتي بالدرجة الاولى من مساندة الجماهير الشعبية لها ومن قدرتها هي نفسها على تنظيم هذه الجماهير وتنسيق نضالاتها وقيادتها قيادة صحيحة. كما عمل الحزب على توحيد المنظمات الوطنية داخل الجيش حتى تشكلت منظمة الضباط الاحرار التي كان لها برنامجها (٢٣٠).

دور الحزب في التهيئة والاعداد لثورة ١٤ تموز

" هذا الوضع في العراق لن يدوم ولا يمكن ان يدوم طويلا.."
هذا ما بدأت به جريدة اتحاد الشعب مقالها تحت عنوان " الحكم الاسود ..اقتربت نهايته! " وقالت " ان العرب في شتى ديارهم يشعرون بهذا، ويتوقعونه كبار رجال السياسة والصحافة مؤخرا خرجوا بمثل هذا الاستنتاج ايضا...(٢٣١).

ولم يخلو اي عدد من جريدة اتحاد الشعب دون ان تؤكد على اقتراب ثورة الشعب وعصفها بالنظام الرجعي العميل ولكن دون ان تغفل اساليب الحكومة في التمويه وتخدير يقظة الشعب فكتبت تحت عنوان " نظرة عاجلة في قانون العمل الجديد..." (٢٣٢)

كما فضح الحزب زيف سياسة الاعمار ومشاريع الاعمار التي طبل لها الاستعمار مستغلا جميع وسائل الاعلام المتوفرة له وخاصة في اسبوع الاعمار لسنة ١٩٥٨ في نيسان. فأصدر ملحقا خاصا لجريدة اتحاد الشعب تحت عنوان " الاعمار في ظل الاستعمار " مستهلا العدد بالشعارات التالية " فلتسقط سياسة التبذير والنهب والفساد"، " الموت للذين يحكمون على اقتصادنا الوطني بالخراب ويدفعون الجماهير الى هاوية البؤس والعبودية والحرمان"، " ان دموع الامهات وصراخ الاطفال وانين الجياع وهمهمات التذمر لا بد ان تنطلق في صيحة غضب واحدة لازاحة كابوس الاستعمار عن صدور الشعب". ونشرت الجريدة شرطا وافيا مدعوما بالاحصائيات الرسمية والارقام عن حقيقة الاوضاع الاقتصادية ووضع الجماهير المعاشي.

وبناء على تطور الاحداث السريع واستعداد جميع فئات الشعب للاطاحة بنظام الحكم العميل التي اصبحت قضية حياة او موت بالنسبة له اصدر الحزب الشيوعي العراقي " توجيه عام " الى كافة منظمات الحزب التي كانت تحت الانذار لمجابهة التطورات السريعة وذلك في ١٢ / ٧ / ١٩٥٨. هذا نصه :

" نظرا للاوضاع السياسية المتأزمة، الداخلية والعربية ووجود احتمالات تطورها بين اونة واخرى . وبغية ضمان وحدة النشاط السياسي لمنظماتنا الحزبية في الظروف الطارئة او المعقدة نرى من الضروري التأكيد في الوقت الحاضر على ان شعاراتنا الاساسية هي:

١- الخروج من ميثاق بغداد والغاء الاتفاقية الثنائية مع بريطانيا والوقوف ضد مبدأ ايزنهاور.

٢- اطلاق الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب (حرية التنظيم الحزبي والنقابي وحرية النشر والاجتماع..) واعلان العفو العام عن المحكومين السياسيين واطلاق سراحهم، والغاء

Digitized by Birzeit University Library

المراسيم والقوانين التي تستهدف ضرب الحركة الوطنية.

٣- اتخاذ التدابير الفعالة لحماية ثرواتنا الوطنية واقتصادنا الوطني والعمل على حل المشاكل المعاشية لجماهير الشعب.

٤- قيام حكومة تنتهج سياسة وطنية عربية مستقلة تدعم نضال الشعب اللبناني وسائر الشعوب العربية وتخدم السلم وتحول الاتحاد العربي الى اتحاد حقيقي بين العراق والاردن يضمن مصالح شعبنا ويخدم النضال ضد الاستعمار والصهيونية ومن اجل الوحدة العربية واقامة اتحاد فدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة.

ونرى من المناسب التأكيد على :-

١- ضرورة تجنب ابراز شعارات مبهمة او متطرفة او تلك التي تمجد هذا الزعيم او ذاك من قادة الحركة الوطنية او العربية على حساب طمس شعاراتنا الاساسية. والتقليل من شأن نضال الجماهير الشعبية والجبهة الوطنية.

٢- ضرورة ابداء اليقظة السياسية العالية تجاه مختلف المناورات والمؤامرات وتجاه نشاط عملاء الاستعمار والعمل بحزم وبامانة تامة لسياسة الحزب واعتبار واجبنا الاساسي في كل الظروف هو تعبئة اوسع الجماهير الشعبية ولفها حول الشعارات الصائبة في اللحظة المعينة وحول الشعارات الكبرى لحركتنا الوطنية الديمقراطية".

كان الحزب على علم بأن تفجير الثورة كان وشيكا فان قيادة الضباط الاحرار استفسرت منه بواسطة رسولها المناضل رشيد مطلق الذي لعب دور جندي مجهول في الثورة عما اذا كان مستعدا لانزال الجماهير الى الشارع فابدى الحزب كامل استعداده واتصل رشيد مطلق بالقيادة عن طريق الهاتف قائلا:" العمالة حاضرين!". وعلى اثر ذلك مباشرة اصدر الحزب التوجيه انف الذكر لتهيئة كوادره ومنظماته التي انطلقت الى الشارع في صبيحة ١٤ تموز ٥٨ كالاعصار (٢٣٣).

وفي يوم ١٢ تموز ١٩٥٨ استدعى نوري السعيد السفير الاميركي، وكان في غاية القلق يسأله ماذا قررت حكومته ان تفعل في لبنان ولم تكن لدى السفير انباء جديدة من حكومته وفي اليوم التالي اصدر نوري السعيد اوامره الى احدى فرق الجيش بالتوجه الى الاردن بقصد نقلها جوا الى بيروت واذا بهذه القطعات تعاجل الوزارة بالثورة واذا بالجماهير العراقية التي كانت في اعلى مزاج ثوري في الريف والمدينة، شمالا وجنوبا، عربا واكرادا تكتسح قذارات النظام القديم وتزيح عن سماء العراق الصافية المشرقة غيوم الاستعباد.

اذ في صبيحة ١٤ تموز انطلقت الجماهير الكادحة بقيادة الحزب الشيوعي تصنع تاريخها وتحقق اهدافها وهي منظمة ومعبأة في منظمات ديمقراطية ومهنية. واستطاع الحزب الشيوعي ان يؤلف اكبر جيش سياسي جماهيري منظم في تاريخ العراق، احبط المؤامرات المتتالية على الثورة وفرض على السلطة البرجوازية المترددة سياسة حازمة تجاه الامبريالية، فتم الانسحاب من حلف بغداد والغاء الاتفاقية الثنائية مع كل من بريطانيا واميركا وتحرير العملة العراقية من قيود الكتلة الاسترلينية وتأميم (٩٩,٥٪) من اراضي العراق التي كان يغطيها امتياز شركات النفط الاحتكارية، وأعادت العلاقات الديبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي وعقدت معه ومع سائر الدول الاشتراكية اتفاقيات الصداقة والتعاون الاقتصادي والفني، واتبعت سياسة التعاضد والتضامن مع الدول العربية المتحررة واسندت الثورة الجزائرية ماديا ومعنويا، كما اسندت قضية

Digitized by Birzeit University Library

الشعب الفلسطيني وثورة الشعب العماني.

وحفزت ثورة ١٤ تموز التطور الاقتصادي بالاستناد الى المساعدات النزيهة مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية وخطت أول خطوة في سبيل بناء صناعة وزراعة وطنيتين متطورتين وسنت قانون الاصلاح الزراعي - الذي رغم نواقصه الكبيرة - وجه ضربة قوية للاقطاع وقوض سلطته في الريف كما شرع قانون الاحوال الشخصية اول قانون ينظم علاقات الاسرة العراقية ويحررها من بعض قيود القرون الوسطى ونص الدستور المؤقت على (شراكة) الشعب الكردي للشعب العربي في الوطن (٢٣٤).

ضمن الانتصارات التي حققها شعبنا في اعياد تموز استطاع الحزب الشيوعي العراقي اصدار صحافته العلنية، جريدته المركزية "اتحاد الشعب" في ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٩، بعد ان قدمت الجماهير عريضة وقع عليها ٢٠٦ آلاف مواطن (٢٣٥) تضامنا مع طلب اجازتها. وقد تمكن الحزب ان يوصل رأيه وسياسته منذ الايام الاولى للثورة وحتى صدور اتحاد الشعب بواسطة عدد من الصحف الوطنية قبل الثورة وبعدها منها: الزمان، البلاد، صوت الاحرار، الرأي العام، الحضارة الانسانية وصوت الشعب. واصدر الحزب نوادي " الحرية" جريدة يومية سياسية عادت للصدور علنا باللغة الكردية في أربيل بعد ثورة تموز لصاحبها ورئيس تحريرها الشهيد نافع يونس وكانت لسان حال الحزب الشيوعي العراقي / فرع كردستان العراق. منحت الامتياز في ٤ نيسان ١٩٥٩ واحتجبت فترة طويلة حتى الغي امتيازها في ٦ آب ١٩٦١. الا ان هذا الوضع لم يدم طويلا حيث نشطت القوى الرجعية والاقطاعية، واستطاعت الهيمنة على مقاليد السلطة، وتوجيه سياسة البلد، وبدأت حربها ضد الحزب الشيوعي وصحافته العلنية.

كيف اغلقت اتحاد الشعب:

اقامت الشركات الاحتكارية دعوى قانونية ضد اتحاد الشعب بزعم انها نشرت خبرا يمس الشركات في ٢٨ حزيران ١٩٥٩، ولما لم تجد ان المحاكمة ستؤدي الى اغلاق الجريدة، راحت تبحث عن وسيلة اخرى فلجأت الى استعداء قيادة السلطة البرجوازية ضد الجريدة حيث " اشترطت وقف صدور "اتحاد الشعب" بالمفاوضات"(٢٣٦). ثم اصدر مجلس الوزراء قرارا بتعطيل الجريدة في ١٩٦٠/١١/٢٨ لمدة عشرة اشهر (٢٣٧) وقبل ان تنتهي مدتها القانونية الغي امتيازها كليا في ٢٧ آب ١٩٦١.

وهكذا فان السلطة البرجوازية اتاحت حرية الصحافة وابداء الرأي لجميع القوى بما فيها القوى الرجعية ودعمتها ماليا ومعنويا. وبمبادرة من الصحفيين الثوريين سمحت بتأسيس نقابة الصحفيين، ولكنها لم تستطع تحمل صحيفة شيوعية واحدة تنطق بلسان الكادحين وترسم الطريق الثوري لمقارعة الاستعمار وشركاته الاحتكارية وتعبىء الجماهير الشعبية من اجل تحقيق اهدافها فلجأت من اجل اسكاتها الى كل اساليب العهد المباد وقوانينه في محاربتها حتى تسنى لها ذلك فحرمت الطبقة العاملة من حق النشر العلني. بعدها اصدر الحزب جريدة "طريق الشعب" بدلا عن اتحاد الشعب سرية حتى خريف ١٩٧٣ حيث عادت للصدور مرة اخرى بشكل علني في اواسط ايلول ١٩٧٣.

Digitized by Birzeit University Library

والى جانب طريق الشعب اصدر الحزب - الفكر الجديد - جريدة عربية كردية اسبوعية في نيسان ١٩٧٢ ومجلة الثقافة الجديدة في نيسان ١٩٦٩، وفي اواسط ١٩٧٩ عادت "طريق الشعب" الى السرية بعد الهجمة الفاشية التي شنها النظام الديكتاتوري العفلقي على حزبنا والقوى الديمقراطية العراقية.. ولا تزال صحافة الحزب السرية تواصل صدورها بانتظام لتعزيز نضال حزبنا الشيوعي العراقي في معركة شعبنا البطولية ضد الفاشية وفي سبيل تعبئة قطاعات واسعة من ابناء شعبنا العراقي في التصدي لكل العقائد والافكار البالية والرجعية والشوفينية التي يروج لها النظام الديكتاتوري.

الهوامش

٢٠٧- القاعدة ١٠/٦/١٩٥٤

٢٠٨- " عدد٨ ١٩٥٤

٢٠٩- تاريخ الوزارات/مصدر سابق

٢١٠- نفس المصدر

٢١١- القاعدة/ اواسط كانون الثاني ١٩٥٥

٢١٢- " / اواسط شباط ١٩٥٥

٢١٣- " / اواسط نيسان ١٩٥٥

٢١٤- " / اواخر ايار ١٩٥٥

٢١٥- د. سعاد خيري / مصدر سابق

٢١٦- القاعدة / تشرين ثاني ١٩٥٥

٢١٧- د. سعاد خيري / مصدر سابق ٢٦٢

٢١٨- القاعدة / العدد ١١،السنة١٢، كانون اول ١٩٥٥

٢١٩- سعاد خيري / مصدر سابق ص ٢٧١

٢٢٠- في سبيل تحررنا الوطني والقومي ص ١٦

٢٢١- نفس المصدر

٢٢٢- سعاد خيري / مصدر سابق ص ٢٨٩

٢٢٣-اتحاد الشعب ايلول ١٩٥٦

٢٢٤، ٢٢٥- نفس المصدر

٢٢٦- اتحاد الشعب / اواسط شباط ١٩٥٧

٢٢٧- سعاد خيري ، ثورة ١٤ تموز ص٨٠

٢٢٨- اتحاد الشعب / العدد الاول ١٩٥٧

٢٢٩- " " / اواسط نيسان ١٩٥٧

٢٣٠- راجع كراس في سبيل صيانة مكاسب الثورة وتعزيز جمهوريتنا العراقية / منشورات الحزب الشيوعي العراقي ١٩٥٨

١٣١- اتحاد الشعب / اواخر ايار ١٩٥٨

٢٣٢- نفس المصدر

٢٣٣- سعاد خيري / مصدر سابق ص ٣٥٤

٢٣٤- الثقافة الجديدة عدد ١٣٤ تموز ١٩٨٣

٢٣٥- مجلة الفكر الجديد ٣٠ تموز ١٩٧٧

٢٣٦- الثقافة الجديدة تموز ١٩٨٠

٢٣٧- سعاد خيري / ١٤ تموز / مصدر سابق ص ٢٠٢

Digitized by Birzeit University Library

واشنطون : عالمان في مدينة واحدة

البؤس والعنصرية في معقل السلطة الأميركية

فلورانس بوجيه

ملاحظة:

يكشف هذا التحقيق الصحفي
عن مدى وعمق الهوة بين المواطنين الأميركيين
وعن مدى العنصرية الحاقدة تجاه المواطنين السود.
ونحن اذ ننشره لأهميته، الا أننا
لا نتفق مطلقا مع الدعاية والمفهوم البرجوازيين حول ان
" بوسع الفرد أن يحقق ما يصبو اليه من غنى وثراء، وأن سبب الفقر
بالنسبة للسود يعود الى لون بشرتهم ".

المحرر

ان الهوة التي تفصل بين الفقراء والأغنياء لا تتسع فحسب بين الأمم والشعوب. ففي كل بلد، وخاصة في المناطق السكنية الكبيرة، نجد عالمين متجابهين ومتعاديين رغم قربهما الشديد من بعضهما البعض.

فمدينة واشنطن، حيث توجد مقار أعلى الهيئات السياسية والعسكرية للولايات المتحدة الامريكية، تسكنها أغلبية من السود. وقد ألحقت الريجانية بالسود في واشنطن أضرارا بالغة شأنهم في ذلك شأن معظم السود في شتى أرجاء البلاد. ويتبين ذلك بوضوح من دراسة أجراها مؤخرا المجلس الوطني للبحوث(١)، مثلما يتجلى في هذا التحقيق الصحفي الذي أجرته فلورانس بوجيه عن تلك العاصمة المزهوة بنفسها التي ينهشها سرطان العنصرية وعدم المساواة.

مهما قيل في وصف مدينة واشنطن، فان الأمر المؤكد هو أنها لا تمت بصلة للصورة التي يتخيل بها الناس عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية. فقليلة هي العواصم الأخرى التي

Digitized by Birzeit University Library

تماثل واشنطن في قلة تمثيلها للبلد الذي يفترض فيها أنها رمز له، فواشنطن عاصمة سوداء لبلد أبيض.

ان واشنطن، بوضعها الغريب الذي يجعلها أكبر قليلا من أن تكون مجرد مدينة، وأقل كثيرا من أن تشكل ولاية كاملة (منطقة كولومبيا)، تبلغ نسبة السود بين سكانها نحو سبعين في المائة، الأمر الذي يغير على الفور، شئنا أم لم نشأ، معطيات المشكلة ويحول (بل ربما يشوه) معادلة "الأغنياء/ الفقراء" الى معادلة "البيض/ السود".

ومن الغريب أن يتفق جميع سكان واشنطن على القول بأنها "مكان يطيب فيه العيش" "مدينة نظيفة لا تعاني من الاكتظاظ السكاني ولم تفقد وجهها الانساني". فهي باختصار نقيض لنيويورك .. ومع ذلك فان الأحياء السكنية الراقية في شمال غربي المدينة، كحي "جورجتاون" أو "شيف شيز" اللذين يلتئمان بشكل طبيعي مع ضواحي الاثرياء مثل ضاحية "بيتسدا" في ولاية ميريلاند القريبة أو ضاحية "ماكلين" في ولاية فيرجينيا، لا يربطها أي وجه للشبه بأحياء السود البائسة في الجنوب الشرقي كحي "أناكوستيا"، الذي لا يصل اليه المترو. وهو حي يتحدث عنه سكان أحياء البيض بفزع اذ تقع فيه معظم أعمال العنف التي كانت سببا في اطلاق أسم "عاصمة الجريمة" على واشنطن(١).

لن تجد في أحياء البيض سوى بيوت رحبة مبنية بالقرميد الأحمر أو الخشب، على غرار مساكن الجنوب القديمة، ويفصلها عن بعضها البعض مساحات كبيرة مغطاة بالانجيل، تحيط بها أشجار وارفة بل وحمامات للسباحة في كثير من الأحيان. ولكل راشد هناك، بل لكل مراهق أحيانا سيارته الخاصة. والمجمعات التجارية كثيرة وفاخرة. والمدارس راقية المستوى يتخرج منها معظم الطلاب الذين يلتحقون بالجامعات المرموقة مثل جامعة جورج واشنطن أو جامعة جورجتاون (التي يتعين على الآباء ان يدخروا مصروفاتها الباهظة ابتداء من ولادة الطفل). ولكل أسرة تأمين صحي خاص باهظ التكاليف ولكن لا غنى عنه نظرا لعدم وجود نظام عام للرعاية الصحية العامة، ومن حسن الحظ ان المنشأة التي يعمل فيها الأب أو الأم تتكفل بجانب من نفقات هذا التأمين الخاص. كما تشترك الأسر في مركز كنيدي مما يعطيها الحق في حضور عدد من الحفلات الموسيقية وعروض الرقص او الأوبرا في كل عام. كما تحمل كل أسرة بطاقة عضوية معهد سميثسونيان الذي يحتفظ ببعض من أندر المجموعات الفنية في العالم. كذلك تشارك كل أسرة في نادي رياضي حيث تلتقي بالاصدقاء في أيام الآحاد. انه باختصار أسلوب للحياة كثيرا ما يتسم بالنمطية، ويتيح للمرء، اذا شاء، ألا يخرج أبدا من عالم معقم على نحو ما.

وهكذا فانه يمكن للمحامي او المصرفي أو الموظف الكبير الا يرى شيئا مما يدور حوله في الحياة اليومية، وهو يقطع المسافة فيما بين كراجه الخاص الملحق بالمنزل الذي يملكه وبين موقف السيارات الواقع أسفل البناية التي يوجد بها مكتبه المكيف الهواء والواقف بشارع "ك"، أو بطريق ماساشوسيتس أو كونكتيكوت. أقصى ما هنالك أنه قد يصاب أحيانا بصدمة لدى دخوله أحد المطاعم الكبيرة بوسط واشنطن، حين يجد نفسه أمام الباب الخارجي مضطرا للالتفاف حول جسد شبه عار مسجى على الأرض وقد طوى ذراعه كأنه جماد لا حياة فيه. وغالبا ما يكون هذا واحدا من آلاف المشردين السود الذين يثيرون القلق والذين لا يفتأون يتزايدون عددا، وتزيد نسبة الشباب بينهم والذين يشاهدون حفاة الأقدام وزائغي الابصار في الميادين وبالقرب من الميادين العامة. وفي كل

Digitized by Birzeit University Library

مساء يتجمع هؤلاء المنبوذون في أماكن مختلفة من العاصمة حول العربات التي توزع الحساء الشعبي، أمام مقر منظمة الدول الامريكية مثلا، أو في ميدان "لافاييت" المواجه للبيت الابيض مباشرة. وفي أيام حفلات الاستقبال الكبرى لا يكاد المرء يصدق عينيه حين يرى ثياب السهرة الطويلة والمطرزة لا يفصلها سوى متر واحد عن الاسمال الرثة ...

وحين يعود المحامي أو الموظف الكبير الى منزله في جورجتاون، أو في شيفي شيز، لا تعود تربطه ببقية سكان العاصمة، كسكان اناكوستيا على سبيل المثال، سوى وسيلة واحدة هي التليفزيون الذي يعرض عليه كل مساء نفس المشاهد التي يزيد من تأثيرها المفزع انها التقطت في ظلام الليل .. مشاهد الحملات التي يشنها البوليس، والسود الذين يقتادون بفظاظة الى سيارات الشرطة .. وهكذا يتجاور عالمان دون أن يعرف احدهما الآخر: عالم ينهشه الخوف ولا يكف عن تحصين نفسه يوما بعد يوم، وعالم يعيش حياة الاستسلام او الاحباط، ولا يجد مخرجا سوى تدمير الذات ..

الا أن هذه الصورة المأساوية تنقلب في بعض الاحيان فجأة وبصورة بعيدة تماما عن التوقع. فهل يمكن لأحد أن يتصور أن هذه السيدة الطويلة والنحيلة القد .. هذه السيدة الشقراء ذات العينين الزرقاوين التي تناهز الخمسين من عمرها، والتي تقود بانتظام منذ أعوام سيارة لتوزيع الحساء الشعبي تتبع أحدى الهيئات الخاصة للتكافل الاجتماعي، ليست سوى السيدة سوزان بيكر زوجة وزير الخارجية الامريكي؟ وفي منزلها بجورجتاون، في غرفة الاستقبال، المتأنقة كصاحبتها، تبدي السيدة سوزان بيكر اسفها لعدم قدرتها على ان تعيش العناء اليومي الذي يعيشه هؤلاء المحرومون فتقول: " انني أفعل ما في طاقة انسان في مثل ظروفي، فلكل دوره. ان الانسان، مثل النبات، يزدهر في المكان الذي غرس فيه ..". الا أن جهود جميع المؤسسات الخيرية، ومهما كان من فعاليتها أو مما تستحقه من ثناء، تبدو هزلة بالقياس الى ضخامة المشكلة وما تنذر به هذه المشكلة.

ان عاصمة الولايات المتحدة الامريكية، بخضرتها، وهوائها الطلق و "املالها" - كما يقول البعض - تخفي وراء مظهرها هذا الذي يجعلها شبيهة بمدن الاقاليم، واقعا شبيها بالواقع الذي يعيشه العالم الثالث: اذ يبلغ معدل وفيات الاطفال فيها رقما مذهلا هو عشرون في المائة(٢) الا ان الدهشة تزول حين نعرف ان طفلا من كل ثلاثة من الاطفال الذين تقل أعمارهم عن ستة أعوام، يعيش دون حد الفقر في واشنطن .. فنصف الاطفال السود في الولايات المتحدة يعيشون اليوم في عوز مطلق. وهو رقم يبدو طبيعيا تماما حين نعلم ان السود يشكلون ثلاثين في المائة من مجموع الفقراء في الولايات المتحدة البالغ عددهم ٣٢,٥ مليون، وفقا لاحصاء أجراه في العام الماضي مكتب التعداد الرسمي، هذا بينما لا يمثل السود سوى ١٢ في المائة من السكان.

وثمة مؤشرات كثيرة توحي بأن المجتمع الامريكي يزداد هشاشة مع اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء. فوفقا لدراسة اجراها الكونجرس(٣) مؤخرا، انخفض متوسط دخل الفئات الاكثر حرمانا بنسبة ١٠,٨ في المائة فيما بين عام ١٩٧٣ وعام ١٩٨٧، بينما زاد متوسط دخل الفئات الأكثر ثراء بنسبة ٢٤,١ في المائة. وتزيد الهوة عن ذلك بكثير بالنسبة للاسر التي تعول اطفالا: فقد انخفض دخل أكثر هذه الأسر فقرا بنسبة ٢٢ في المائة على حين زاد دخل الأسر الأكثر ثراء بنسبة ٢٤,٧ في المائة.

ان التدني المستمر في القدرة الشرائية للأسر

Digitized by Birzeit University Library

ذات الدخول المنخفضة نتيجة لثبات الحد الأدنى لأجر الساعة عند مستواه الذي حدد منذ ثمانية سنوات، وهو ٣,٢٥ دولار، وفقدانه لأكثر من ربع قيمته، والاستقطاعات الكبيرة في كل البرامج الاجتماعية خلال سنوات حكم ريجان (بصرف النظر عن تلك التي تزعم ادارة بوش اجراءها)، والانخفاض المستمر في اعانات البطالة، والسياسة الضريبية التي انتهجت منذ بداية الثمانينيات وأدت الى الاضرار بالفقراء دون أن تمس الأغنياء: تلك هي بعض العوامل المتضافرة التي تفسر هذا التفاوت المتزايد وتزيد من حدة انقسام المجتمع الامريكي الى قطبين على طرفي النقيض: العائلات التي يعولها شخص واحد، غالبا ما يكون امرأة، وهي في معظم الأحيان عائلات سوداء(٤)، والعائلات ذات البنية التقليدية والتي تتمتع بمزيد الحصول على دخل مزدوج.

وعلى مر السنين يزداد التباعد بين "الذين يملكون" و "الذين لا يملكون"، مع نوع من الخطأ في توزيع "أوراق اللعب". "ان المشكلة ليست بين الفقراء والأغنياء فالفقراء لا ينقمون على الاغنياء نجاحهم، بل على العكس ينظر الفقراء الى الأغنياء، كتجسيد لاحلامهم، وكمثل يتطلعون الى بلوغه" هكذا تقول فيرونيكا ماز، الباحثة الاجتماعية البيضاء التي "تشعر بأنها تنتمي الى السود"، وهي من خيرة المتخصصين في دراسة الفقر في الولايات المتحدة الامريكية، وتعمل في هذا المجال منذ أكثر من عشرين عاما. "ان الفقير هنا يحس أنه مسؤول عن فشله، ذلك أن الامريكيين ما زالوا يؤمنون بأن "بوسع الفرد ان يحقق ما يصبو اليه طالما توفرت لدية الارادة .." واذا كان هذا الفقير أسودا فان الأمر ينتهي به الى الاعتقاد بأن لون بشرته هو السبب في فشله طالما ان البيض ينجحون ويملكون زمام السلطة والمال. ومن هنا فالعداء ليس بين الفقراء والأغنياء بل بين السود والبيض".

وكما لا يحدث في أي مكان آخر، يمضي الوقت في الولايات المتحدة الامريكية بسرعة مذهلة، فلا يتمهل ولا ينتظر من يخشى فوات الأوان. "اذا كنت تتحدث اللغة الانجليزية التي يتحدثها السود، فثق انك لن تعثر على عمل. فهي لغة أقرب ما تكون الى لغة محلية يستعصي على الآخرين فهمها. وبالنسبة للسود الذين يتمكنون من اجراء عملية الانتقال بين اللغتين تسير الأمور على ما يرام تقريبا، أما الآخرون فلا يلبثون ان يجدوا أنفسهم مستبعدين من السباق، وهذا أمر يبدأ منذ طفولتهم، حين يلتحقون بالمدرسة". قائل هذا الكلام هو جوردان سميث الذي عمل مدرسا في أحد احياء الفقراء قبل أن يصبح مصورا فوتوغرافيا ذائع الصيت، والذي يحتفظ من عمله الأول بذكريات مثيرة بقدر ما هي محبطة، يمكنه ان يتحدث عنها ساعات وساعات: المدرسة التي كان عدد تلاميذها يصل الى ألف وثمانمائة تلميذ، بينما هي لا تتسع لأكثر من ستمائة، وعنف الاطفال والكبار، وقلة الامكانات المتوافرة له، والبيروقراطية التي تحول دون الاستمرار في اجراء تجارب تربوية هامة، والاطفال الذين لا يجيدون القراءة قبل التاسعة، وذلك أفضل الاحوال وبالنسبة لبعض التلاميذ فقط، ثم يفقدون هذه القدرة في الصف الرابع، وما أن يصلوا الى الصف السابع حتى يعجزوا تماما عن قراءة سطر واحد .. وفضلا عن ذلك يعاني كل منهم وطأة هذا القيد الذي يشعرون به منذ البداية والذي كان جوردان يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يحررهم منه. "كنت أرغم تلاميذي على ان يتكلموا اللغة الانجليزية كما يتكلمها البيض وعلى ان يكتبوا بها، فكانوا يقولون لي: "انك عنصري"، وكنت أرد عليهم "لست عنصريا، كل ما في الأمر ان هذا هو سبيلكم الوحيد للنجاح في مجتمعنا هذا ..". وبعد عشر سنوات من استقالة جوردان من عمله كمدرس بعد ان تملكه شعور رهيب بالفشل،

Digitized by Birzeit University Library

يلاحظ اليوم بمرارة أنه لم يحدث أي تغير، وأن نظام التعليم في المدارس العامة الامريكية يظل بوجه عام نظاما فاشلا جدا لا يكاد المرء يتصور سبب فشله. وهو يتهم الادارات الامريكية المتعاقبة بأنها لم تشأ ابدا ان تتحمل مسؤولية هذه المشكلة.

فهل يعلم أحد أنه في الجامعة - العامة - لمنطقة كولومبيا اقتضى الأمر في العام الماضي انشاء تسعة عشر فصلا لتعليم الطلبة اتقان القراءة؟ ويقول الدكتور ليو وبيكت، الاستاذ ورئيس القسم بالجامعة: "ان عددا كبيرا من طلابي، تتراوح نسبتهم بين ٣٠ و ٤٠ في المائة يجدون صعوبات كبيرة في القراءة لدى التحاقهم بالسنة الأولى في الجامعة. فهم يقرأون بصعوبة المكتوب في شهادة اتمام الدراسة التي استخرجوها من مدارسهم، بل انهم يواجهون مشكلة في العودة الى منازلهم، اذ يصعب عليهم قراءة اسماء الجهات المكتوبة على سيارات النقل العام".

والطالب الذي يمثل النموذج الغالب، لا يتراوح عمره لدى التحاقه بجامعة منطقة كولومبيا بين ستة عشر وثمانية عشر عاما بل بين اثنين وعشرين وستة وعشرين عاما في المتوسط. ويكون اسودا بطبيعة الحال، ومن أصل اسباني في بعض الاحيان، ونادرا ما يكون من أصل أبيض (بين خمسة وعشرة في المائة فقط). ولكي ينال شهادة اتمام دراسته الجامعية (التي لن تلقى بأي حال تقديرا كبيرا) لن يقضي أربع سنوات دراسية فحسب بل ما بين ست وعشر سنوات، وهو ما يرجع في المقام الأول الى انه نادرا ما تتوافر له الظروف العائلية اللازمة لمذاكرة دروسه، كما أنه يعمل في جزء من اليوم أو طوال اليوم، في مطعم للوجبات السريعة او في احد مكاتب المنطقة. وينطبق ذلك على "الطلبة كما ينطبق على الطالبات"، اذ ان معظم طلبة جامعة منطقة كولومبيا من النساء وليس من الرجال كما قد يتبادر الى الذهن. فثمة اسباب اجتماعية وثقافية شتى تجعل الفتاة السوداء تسعى جاهدة الى التخلص من وضعها المضني اكثر من الفتى الأسود الذي غالبا ما يظل في آخر الصفوف وقد سيطر عليه شعور عميق ومتأصل بأنه "مواطن من الدرجة الثانية"، كما انه يقتنع بأن العمل الذي لا يتقاضى عنه اجرا مجزيا لا يستحق عناء مزاولته، وأنه لا فائدة بأي حال من الكفاح من أجل الحياة في مجتمع ليس مجتمعا للسود.

"لقد تغير كل شيء خلال العشر أو الخمس عشر سنة الأخيرة. وفقد الرجال السود شخصيتهم وكرامتهم". ان قائلة هذا الكلام هي نفسها سوداء، وهي تشرف على دار للمسنين، وتناهز "اولى وليم" الاربعين وهي أم لأربعة ابناء، وتتمتع بوجه جميل وبمظهر متأنق، وتضيف: "فيما مضى كانت أسرنا تعيش متحدة ومترابطة وكان هذا هو اساس الثقافة السوداء. الا ان ذلك كله قد انتهى اليوم. فما كان من الممكن ان يوافق اهلي على ان ارزق بطفل دون زواج. أما اليوم فمن المباح تماما أن تذهب الفتاة السوداء حيثما شاءت مع من تشاء، وان تكون حاملا وهي في الثالثة عشر من عمرها وان ترفض العمل، مفضلة تقاضي الاعانات العامة".

ان عددا كبيرا من النساء السود، يتحدثن بهذه اللهجة الصارمة والمحافظة في بعض الاحيان وتكافحن من أجل "العودة الى القيم". ولا شك ان شبح المخدرات يفسر جزئيا هذه الظاهرة الملاحظة في مجتمع البيض ايضا، كما يفسرها تيار التدين الذي يبدو واضحا، ويعبر عن نفسه في كافة المجالات، وبصورة تثير الحيرة في بعض الأحيان.. وتقول أولى وليم: " ان الرجال السود لا يطيقون حياتهم، وافتقارهم الى الكفاءة، ودخولهم التي لا تفتأ تنخفض، وعدم وجود احتمالات تبشرهم بمستقبل أفضل، مما يدفع بهم الى تعاطي المخدرات لكي يهربوا

Digitized by Birzeit University Library

من كل ذلك. ولعلكم تصدقوني حين أقول ان هذه الحجج ليست واهية. المخدرات؟ انها ليست مشكلة فقر، بل مشكلة مجتمع".

وقد أسهمت المخدرات اسهاما كبيرا خلال السنوات القليلة الماضية في استكمال زعزعة اسس الثقافة السوداء، وفي المقام الأول البنية الاسرية. فغالبا ما يكون باعة المخدرات في واشنطن صبية لم يتجاوز اعمارهم الخمسة عشر ولا يتعاطون المخدرات بالضرورة. فهم يمارسون الاتجار فيها مثلما يمكن ان يزاولوا اي نشاط تجاري، ويجدون في ذلك مبعثا حقيقيا للفخر، اذ يتمكنون من اعالة جميع افراد اسرتهم بما يربحون من هذا الاتجار. هذا فضلا عن انهم يزودون اهلهم بالمخدرات في بعض الاحيان، مما يمكنهم من أن يمارسوا عليهم تسلطا وسطوة مؤكدين.

ويحمل عدد كبير من ابناء مجتمع السود اعجابا بلا حدود لهذا الجيل من الصبية الذين لم تتجاوز أعمارهم خمسة عشر عاما، والذين يقال عنهم رغم ذلك انهم جيل "ضائع". "انهم لا يخافون شيئا، لا الكتاب المقدس ولا القوانين. وهم مستعدون لانتهاك كل شيء في سبيل كسب المال". هكذا تقول جراسي رولينج، وهي سوداء اسست منذ عشر سنوات لجنة لمكافحة التفكك الاسري في مجتمع السود. وتضيف "انهم لا يبالون بالموت، ويقولون ان الانسان سيموت حتما ذات يوم! والى ان يأتي هذا اليوم يعملون على ان يعيشوا حياتهم "في اقرب وقت" و "بأحسن طريقة ممكنة". ويتطلعون الى اقتناء افضل السيارات واجمل الثياب. ولا يحملون احتراما يذكر للكبار، اذ يعتقدون انهم خدعوهم، ولا يجدي في شيء ان يحاول المرء اعادتهم الى جادة الصواب، أو الى المدراسة أو الى العمل: فهذا يعني في نظرهم اعادتهم الى القفص الذي يحبسهم الأهل بداخله، ذلك القفص الذي هربوا منه والذي يثير رعبهم".

ويتزايد حماس جراسي رولينج وانفعالها مع استطرادها في الحديث، وبدون وعي منها نجدها هي نفسها تكشف عن اعجابها بهذا الجيل، اذ تقول: "نجد الصبي منهم يعول أسرته، وهو بعد في الخامسة عشر من عمره. فالآباء، الذين لا يحمل لهم هؤلاء الابناء اي تقدير او اعتبار، اما في السجن او في الشارع، يدمنون الخمر او يتعاطون المخدرات. وهؤلاء الصبية هم اصحاب الكلمة في منازلهم، لدرجة انك غالبا ما تجد نساء في الخامسة والثلاثين او في الاربعين يخرجن معهم، لأنهم في نظرهن "اكثر رجولة" من الآخرين".

أما عن اولى وليم نفسها، فهي تصمد في مواجهة كل هذه الصعوبات وتقول: "أنا الأم، وفي المنزل احتفظ بمكانتي كأم. حتى حين تأتي ابنتي البالغة من العمر خمسة وعشرين عاما لزيارتي فهي لا تجرؤ على أن تردّ عليّ حين أخاطبها، كما تمتثل تماما لمبادئي". ومنذ ان توفي شقيق اولى وليم نتيجة لتناوله جرعة زائدة من المخدرات، وهي تشن، حتى في الحي الذي تقيم فيه، حربا بلا هوادة على المهربين، وتضاعف من جهودها للحيلولة دون انتقال هذا الداء الى ابنائها، ولكنها دفعت ثمنا باهظا لشجاعتها. فقد أصيب ابنها البالغ من العمر ثمانية عشر عاما، برصاصة في ظهره احدثت جرحا خطيرا، "حتى يكون ذلك درسا لأمه التي تكثر من الكلام". اما ابنها الثاني، وهو طفل في الثامنة، فقد اوسعوه لكما لنفس الاسباب. ومع ذلك فان الأم الشابة ليست مستعدة للاستسلام، بل على العكس، فهي تستخلص من محنها محصلة ايجابية وترويها ببساطة يجعل من يسمعها لا يجد كلاما يقوله. "لم يكن ابني الكبير بريئا تماما"، بل كان مشاغبا جدا لا يكف عن الصخب. الا ان اصابته قد غيرته، وخلقت منه انسانا جديدا، فمنذ ذلك الحين استرد ايمانه

Digitized by Birzeit University Library

بالله، حتى انني اكاد لا اتعرف عليه. لقد افادته هذه الرصاصة، اذ انقذت حياته، أعني حياته الحقيقية ..".

ومهما كان من سماحة اولى وليم، فانها تتحدث عن البيض، شأنها شأن جميع ابناء مجتمعها تقريبا، بلهجة حادة تفيض شكوى واتهاما ومرارة. فتقول: "ان الأغنياء، وليس الفقراء هم الذين يدخلون المخدرات الى البلاد، ولم تبدأ السلطات في التصدي لهذه الظاهرة سوى مؤخرا، وبعد أن تركت جيلا بأكمله ليذهب ضحية لها . فلم تتحرك السلطات الا بعد مصرع رجل شرطة ابيض بينما كانت واشنطن تشهد كل اسبوع، أو حتى كل مساء مصرع طفلين أو ثلاثة يدفعون ثمن تسوية الحسابات بين التجار".

وتبدي جراسي رولينج رأيا اكثر عنفا، الا ان كلامها الذي لا يخلو من الموارية منتشر وشائع. فهي تقول بلهجة ملؤها التأكيد: "ان الآخرين يستخدمون السود كحيوانات التجارب، ثم لا يلبثون ان يقعوا في نفس الشرك ويعجزون تماما عن السيطرة على الاحداث". اما كاتي هيوز، الصحفية السوداء والتي تشرف على احدى المحطات الاذاعية في مجتمع السود فهي تتحدث صراحة عن "ابادة الزنوج الامريكيين". وهذا اتهام يثير غثيان البيض واشمئزازهم، وما ان يلتقطوا انفاسهم حتى يقولون: "هذا كلام احمق وغير معقول" انها "البارانويا".

اما جوردان المصور الفوتوغرافي الشهير فهو يعرف كافة انواع المخدرات. فمنذ خمس أو ثماني سنوات كان يتعاطى الكوكايين بين الحين والآخر. وهو يقول اليوم مغالبا ابتسامته: "كان الكوكايين هو اكثر المخدرات شيوعا بين ابناء الطبقة المتوسطة البيضاء. فالصحفيون والمحامون، على سبيل المثال كانوا يتعاطونه بانتظام. ولكنهم كفوا اليوم بعد أن ارتفع ثمنه واتضحت لهم آثاره المدمرة. ومن حسن الحظ ان اسعاره قد ارتفعت هذا الارتفاع الفاحش، فجميع الذين أعرفهم ممن كانوا يتعاطونه توقفوا، بعد ان قطعوا شوطا في الادمان وفقدوا اموالا كثيرة، حين ادركوا انه سيقودهم الى حتفهم .." واليوم يكتفي مؤلاء جميعا بتعاطي الماريجوانا التي لا يعتبرها احد منهم من المخدرات. وذلك على الرغم من ان دراسات عديدة اجريت في مدارس واشنطن تؤكد ان ثلاثة ارباع التلاميذ الذين يتعاطون في الوقت الحالي مخدرا متماسك القوام مثل الكراك (وهو احد مشتقات الكوكايين ويباع بسعر منخفض نسبيا الا ان آثاره مدمرة. وقد اطلق عليه هذا الاسم بسبب الطقطقة التي يحدثها عند تدخينه) أو الـ "بي. سي.بي" (الفنسيكلدين،وهو من المواد التي تحدث هلوسات ولا تقل آثارها المدمرة عن الكراك. ولا يلبث من يتعاطاه، أن يدمنه، كما أنه قد يتسبب في اصابة من يكف عن تعاطيه بخيالات مفزعة تصور له عمليات قتل بشعة، وذلك لفترة تمتد الى عشر سنوات بعد توقفه عن التعاطي)، وأن ثلاثة أرباع الذين يتعاطون هذه المخدرات بدأوا أولا بتعاطي الماريجوانا.

"... ان رمز أمريكا اليوم هو مسلسل "ديناستي" ومسلسل "دالاس" وكل هذه العائلات الموسرة التي يفرط التليفزيون في عرض تفاصيل حياتها. وبالنسبة للفقير الذي يتابع هذه المشاهد، تبدو الحياة ميئوسا منها. فهو يدرك أنه لن يتمكن ابدا من سد الهوة والانتقال الى الجانب الآخر. وهذا يفسر الى حد كبير، في اعتقادي، أسباب تعاطي المخدرات في الوقت الراهن في الولايات المتحدة. اذ تمثل المخدرات بالنسبة لعدد كبير من الناس الشيء الوحيد الذي يستحق التعرض في سبيله لكافة المخاطر .. للمجازفة بالحياة والتعرض للموت أو السجن - لأن الشخص يتصور نفسه بعد ثانية أو دقيقة على الأكثر وكأنه دونالاند ترامب نفسه"(٥). ان

Digitized by Birzeit University Library

قائل هذا الكلام هو فرانك سميث وهو أحد الأعضاء التسعة في المجلس البلدي. وكان فرانك سميث هو الذي اقترح منذ بضعة أشهر فرض حظر التجول اثناء الليل في واشنطن على من هم دون السابعة عشرة. وقد أحدث هذا الأمر دويا في أوروبا أكثر مما أحدثه في الولايات المتحدة حيث قررت خمس مدن ومقاطعة واحدة (بالتيمور وفيلادلفيا ولوس انجلوس وشيكاغو وديترويت ومقاطعة جورج كاونتي في ولاية ميريلاند) تنفيذ هذا الاجراء الجريء وان كان لا يطبق الا في حالات استثنائية، ويتم اللجوء اليه دائما كوسيلة للسيطرة على الجماهير في ايام حفلات موسيقى الروك على سبيل المثال او المباريات الرياضية. ويضيف فرانك سميث "ان معظم الاطفال يجدون أنفسهم بصورة متزايدة فريسة للوحدة في هذه المدينة. وهم يحاولون التصرف على أي نحو كان، سواء كانوا يعيشون مع أهليهم أو بمفردهم. كما أن الأهل أنفسهم بحاجة الى من يمد لهم يد العون. لقد أيد تسعون في المائة من الآباء اقتراحي، ولا شك أنه لا يمكن لقانون أن يحل محل الأب أو الأم ولكن يمكنه على الأقل أن يحد من الخسائر".

أما عن التليفزيون، فان كل مواطن أمريكي راشد يشاهد برامجه - أو يكتفي بتشغيله دون متابعة ما يعرضه - لفترة تقدر في المتوسط بسبع ساعات وثلث الساعة يوميا(٦).

وهو حين يدير مفتاح هذا الجهاز لا يتطلع الى متابعة البرامج الثقافية أو الاخبارية بل يبحث عن المسلسلات والتحقيقات البوليسية وبرامج المسابقات. ومن الشائع أن نجد لدى الأسرة الواحدة أربعة أو ستة اجهزة تليفزيون (يشاهد أفراد الأسرة اثنين أو ثلاثة منها في وقت واحد). ويصدق ذلك ايضا على العائلات الفقيرة التي يعوزها الكثير من الضروريات. ولا تمل فيرونيكا ماز، الباحثة الاجتماعية، من التنبيه الى مخاطر هذا الوضع. "أتحداك ان تجدي كتابا واحدا، أو حتى صحيفة واحدة، لدى أسرة فقيرة .. ولكنك ستجدين حتما في كل منزل جهازا للتليفزيون يعمل طيلة النهار بل واثناء الليل ايضا في كثير من الاحيان. فالتليفزيون هو الذي يلقن أبناء هذا الجيل القيم وقواعد السلوك. لقد أصبح دور التليفزيون في المنزل يفوق دور الأم، وهو أقدر منها على التأثير .. فسطوته على مشاهديه هائلة وهو يتحمل نصيبا كبيرا من المسؤولية عن العنف الذي نعاني منه اليوم. الا أن قله قليلة من الناس هي التي تدرك ذلك. فالابناء يأخذون كل ما يسمعونه أو يشاهدونه على الشاشة الصغيرة مهما كان عنيفا أو منافيا للأخلاق كأمر مسلم به. فهم يشاهدونه داخل البيت، مما يضفي عليه احتراما ومهابة في أنظارهم. ولا يلبث الشباب ان يتحلل من الضوابط ويعجز عن التمييز بين الخير والشر والحقيقة والخيال. فحين يحمل أحد هؤلاء الشبان سلاحا فانه يستخدمه وكأنه لعبة". وكانت فيرونيكا ماز تلمح بذلك الى احدى المآسي التي وقعت منذ بضعة أشهر في الحي الشرقي من واشنطن. فقد اطلق صبي في الرابعة عشرة من عمره عيارا ناريا على صديقة له في الثانية عشرة من عمرها، وكانت الفتاة قد اكتشفت انها حملت منه، وجاءت اليه لتطلب مبلغا من المال لاجراء عملية اجهاض ..

"لا تذهبي الى أنا كوستيا حيث احياء الزنوج والمساكن وأوكار تعاطي المخدرات. فالذهاب الى هناك مجازفة خطيرة يخامرك عند الاقدام عليها شعور بانك تمارسين الالعاب الخطيرة التي حذرتك أمك من ممارستها في طفولتك ... هذا ما يقوله لي بيل ريجاردي، وهو مؤسس ومدير مجلة مالية واسعةالانتشار تحمل اسمه، ويقع مكتبه في مبنى فخم يطل على نهر البوتومك الذي تتلألأ صفحته تحت الأضواء.

Digitized by Birzeit University Library

وتبدو من شباك المكتب جزيرة تيودور روزفلت بمروجها الخضراء، وميناء اليخوت الصغير في واشنطن، ومركز كينيدي. يطالعك المشهد وكأنه لوحة متناغمة من الأخضر والأبيض. ويرنو بيل ريجاردي الى هذا المشهد ويقول: لقد وقعت في غرام هذا المكان .. وكان هذا هو الذي دفعني الى اختياره لافتتاح مكتبي فيه ..".

على بعد بضعة كيلومترات ينساب نهر البوتوماك، أو بالأحرى رافده المسمى أناكوستيا، في خط متعرج قبل أن يتسع عند مشارف مدينة الكساندريا ليبدو أشبه بالبحيرة. ان واشنطن تطالع من يطل عليها من اناكوستيا بوجه أبهى بكثير من ذلك الذي يراه من يشاهدها من مكتب بيل ريجاردي الفخم في جورجتاون. لكن صاحب المكتب لا يعرف ذلك. فحي أنا كوستيا يمتد فوق هضبة مرتفعة تبدو منها المدينة من بعيد، بمبنى الكابيتول (مقر الكونجرس) ونصب واشنطن التذكاري، وكأنها ترقد تحت أقدام أناكوستيا. ويقول السود أنه سيأتي يوم تصبح فيه واشنطن مدينة للبيض وتغدو اناكوستيا - المفترى عليها اليوم - جورجتاون الجديدة. ويعلق البيض ضاحكين: "انها بانوراما الزنوج". لكن هذا ليس بالشيء المؤكد، فيوما بعد يوم تغير المدينة جلدها وتزال منها شوارع ومباني ومنازل يطرد سكانها وكأنهم متطفلون غرباء. ويجري كل ذلك ببطء واناة لكن دون هوادة. فواشنطن، شأنها شأن باريس، تطرد فقراءها مستخدمة سلاحا لا يخيب، هو الايجار الباهظ للمساكن. وعاما بعد عام يُقصى الفقراء أكثر فأكثر بعيدا عن المدينة.

حي أناكوستيا يختلف عن هارلم. وهو لا يمت بصلة للصورة الشائعة عن احياء الزنوج التي تغص بالسكان وبالعنف. فهذا الحي أشبه بضاحية يتجاور فيها، كما هو الحال في كل أحياء واشنطن، اليسر والبؤس. تتعاقب البيوت الصغيرة الرثة المظهر حيث تتكدس اسر كثيرة في الطابق الواحد .. والمساكن الشعبية الكئيبة بطوابقها الثلاثة والأربعة وغرفها الضيقة. تصادفك في هذا الحي مساحات مغطاة بالخضرة ومنتزهات، لكنك لن تلبث ان تجد نفسك فجأة امام أرض مغطاة بالحشائش المهملة تتوسطها بنايات مهجورة، مكسورة النوافذ وموصدة الأبواب، تنتظر من يقوم بترميمها.

ويخترق الحي طريقان رئيسيان يحملان اسمين محملين بالرموز: طريق مارتن لوثر كنج وطريق جود - هوب (الرجاء الصالح). يعج الطريقان بأعداد غفيرة من العاطلين، يجرون أقدامهم بتثاقل وسط الضجيج الصاخب المنبعث من أجهزة الترانزستور وراديوهات السيارات، وبأرتال من السيارات منها الرث المتهالك ومنها أيضا الفاخر الذي يوحي بالثراء الفاحش .. ويستلفت نظرك كثرة البدناء من كافة الاعمار الذين يزيد عددهم عنه في وسط المدينة .. ليس هناك من سكان اناكوستيا من يموت جوعا .. لكن المؤكد ان بعضهم يموت نتيجة لسوء التغذية.

يواصل بيل ريجاردي الحديث في مكتبه المطل على ميناء اليخوت بجورجتاون، فيقول: ان واشنطن مثل بيروت .. فهنا ايضا يوجد خط أخضر هو الشارع رقم ١٥ الذي ينبغي للمرء أن يتحاشى اجتيازه .. طالما بقيت في غرب هذا الشارع فأنت في أكثر الأماكن أمنا في الولايات المتحدة .. بل ربما في العالم كله. أما اذا غامرت واتجهت الى الناحية الأخرى ..".

وفي مكان مرتفع من أنا كوستيا، نلتقي بماري ويليامز في مكتبها الصغير المزدحم دائما بالزوار انها اخصائية اجتماعية زنجية تناهز الاربعين وتعمل مع احدى المنظمات الخيرية الكاثوليكية. تقول ماري بسخط "ان الذين يعيشون على الجانب الآخر يتصورون اننامختلفون عنهم تماما. ولكننا هنا ايضا

Digitized by Birzeit University Library

عندنا فقراء وأغنياء .. وهنا ايضا نذهب الى المدرسة او الكنيسة .. ونهمل .. وندلي بأصواتنا في الانتخابات وننشط في المجتمع المحلي. بل انني أقول لك أنني أحس هنا بأمان أكثر مما أحس به في الكابيتول. فهناك، في الاحياء البيضاء، لا يراني أحد. يمكن أن يحدث لي أي شيء دون أن يخف لنجدتي أحد .. ذلك أنهم لا يحسون بوجودي .. انني احس أكثر امانا في اناكوستيا. فهنا - أكثر من اي مكان آخر - يوجد اناس محترمون ومهذبون وملتزمون بالقانون وجديرون بالثقة".

بعد بضع شوارع، نلتقي بجيم بيلامي، الذي يعمل هو الآخر في احدى المنظمات الخيرية، فيدافع بنفس الاعتزاز الجريح عن اناكوستيا، لكنه يداري بصعوبة احساسا بالملالة. يتحدث مبتسما، لكن بصوت خفيض ومتعب، عن السكان الذين يشعرون بالمهانة امام سمعة حيهم البشعة .. عن ايجارات المساكن الباهظة حتى في هذه الجهة على الجانب الآخر من النهر، عن العدد الغفير من المتشردين .. عن معدل وفيات الاطفال الذي يرتفع هنا ليبلغ ٢٣٪، وعن الاطفال الكثيرين الذين يهجرون المدارس قبل اتمام الدراسة. عن نسبة البطالة التي تبلغ ٤٠٪ بين الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والرابعة والعشرين .. عن عدم وجود المترو .. عن الحافلات المكتظة بالركاب .. وغير المكيفة .. "وهذا شيء مألوف وطبيعي حين يتعلق الأمر بأناكوستيا".

ان كل المشكلات هنا مضاعفة لكنها تهون جميعا - في نظر جيم بيلامي - اذا قورنت بمشكلة المخدرات "ان الاطفال يقولون لرئيس الشرطة عند القبض عليهم انهم سيستمرون في بيع المخدرات مهما حدث". أما عن اوكار "الكراك"، حيث يصنع هذا المخدر ويستهلك ويباع، فانها ما أن تزال ويطرد مستأجروها حتى تظهر في شارع مجاور وتجر معها "زبائنها الكثيرين".

الزبائن؟ يرد جيم بيلامي بابتسامته الحزينة "من كل الأنواع. أناس مثلي ومثلك .. يأتون من كل مكان .. من وسط المدينة .. من ماريلاند ومن فيرجينيا .. من كل الفئات الاجتماعية من البيض والسود. ان هذا يحدث - كما تعرفين - في كل مكان. الفارق الوحيد بين اناكوستيا ووسط المدينة في هذا المجال هو أن كل شيء يجري هنا على المكشوف ..".

في مواجهة جزيرة روزفلت يستطرد بيل ريجاردي قائلا: "العمدة ماريون باري؟ انه أفاق ومحتال .. كل الناس ستقول لك ذلك .. لكن السود يدافعون عنه لأنه منهم .. ولا أعرف ماذا كنت سافعل لو أنني كنت مثلهم .. أسود .. بلا أمل، أنتمي لهذه الطبقة الدنيا وتنحصر أحلامي في الحصول على عمل في أحد مطاعم ماكدونالد .. أعتقد أنني كنت سأقدم عندئذ على أي شيء شاعرا بأنني ليس لدي ما أفقده". يقول: هذا متمهلا بعض الشيء، وبنبرات تنم عن الثقة والاعتداد بالنفس، شأنه حين كان يتحدث منذ قليل عن الخط الفاصل، لكن حديثه ينم مع ذلك عن الصدق: "ان الخطيئة التي وقع فيها هذا البلد .. هو أنه أوشك ان يفقد طبقته الوسطى. فنحن بسبيلنا الى ان نصبح مثل بعض بلدان امريكا اللاتينية: ثراء فاحش من ناحية وفقر مدقع من الناحية الأخرى. وستكون لذلك عواقب وخيمة .. انني اتوقع سلسلة من التمردات في كل المدن الكبرى لكن اصدقائي لا يشاركوني - فيما أعتقد - في هذا الشعور بالقلق. ان معظم الناس، كما تعرفين، لا يتصورون المشكلة ولا يتخيلون ان الفقراء يعيشون مثل هذه الحياة".

في هذه الاثناء كانت الصحفية الزنجية كاتي هيوز، التي نصبت من نفسها متحدثة باسم الفقراء (والتي يقول البعض أنها تتطلع الى

Digitized by Birzeit University Library

خلافة العمدة في منصبه ذات يوم) تصرخ بصوت يتهدج بالغضب في استوديو محطة الاذاعة التي تعمل بها في شمال شرقي العاصمة: "الواقع انهم يتصورون المشكلة ولكن من خلال التليفزيون! ان وسائل الاعلام الأمريكية هي التي تتحكم الآن في الرأي العام. فهي تقرر كل شيء، وتحدد ما هو المهم وما هو غير المهم، وتقدم الامريكيين السود في صورة شائهة .. في أبشع صورة ممكنة. ان أخطر داء يتعين على السود مواجهته في الولايات المتحدة ليس هو المخدرات ولا الخمور .. بل العنصرية!".

وعلى الجانب الآخر الأخضر، في حي "آدمز مورجان" البديع، يسخر المصور الفوتوغرافي جوردان سميث، باستخفاف مفتعل، من السجون الامريكية المكتظة بنزلائها والتي "لا تغير في السجين سوى ميوله الجنسية السوية". "هناك نوعان من السجون أسوأهما هي سجون الولايات. ومن هنا يتعين على السجين ان يسعى لنقله الى سجن من سجون الحكومة الاتحادية، وهو ما ينجح فيه البيض دائما. فلديهم المحامون القادرون على تدبير ذلك! "العدالة؟ انها مجال آخر تتجلى فيه بوضوح الهوة التي تفصل بين الأغنياء والفقراء: فالفقراء، الذين يجهلون دائما حقوقهم، يزج بهم في أسوأ السجون وتنتدب بهم المحاكم محامين للدفاع عنهم، وتحكم عليهم بأقصى العقوبات .. ولا يمكن بطبيعة الحال الأفراج عنهم افراجا مؤقتا اذ لا يملكون المال اللازم لدفع الكفالات. فهل يمكن لجون هنكلي، هذا الابيض الذي يناهز الثالثة والثلاثين والذي حاول اغتيال الرئيس ريجان في مارس/ آذار ١٩٨١، ان يتخيل اليوم، وهو في غرفته بمستشفى سانت اليزابيث للامراض النفسية الواقع على قمة مرتفعات أناكوستيا، مدى ما يثير من ضغائن وان يتصور أنه أصبح يمثل اليوم - عن خطأ أو صواب - رمزا في نظر سكان أناكوستيا؟ رمزا لعدالة تكيل بمكيالين، عدالة تزيل عن الناس غلالة الوهم فتجعلهم يقولون "البيض والأغنياء لهم المستشفيات النفسية والعلاج .. أما السود والفقراء فمقضي عليهم بالسجن الدائم والاستسلام لليأس ..".

هل يمكن لأحد يعيش بعيدا عن الولايات المتحدة ان يتخيل مدى ضخامة مشكلة "الحوامل المراهقات" (Teenager Pregnancies)؟ مشكلة الطفلات اللواتي يلدن اطفالا آخرين. لقد تفشت هذه الظاهرة خلال السنوات القليلة الماضية في اوساط الفقراء في واشنطن الى حد اضطرت معه البلديةالى افتتاح دور للحضانة في ثلاث من المدارس الثانوية في المنطقة. ويتطلع السكان بصبر نافذ الى افتتاح المزيد منها، ذلك ان الطلب يفوق كثيرا العرض في الوقت الحالي. ان صورة المراهقةالحامل تكاد تتكرر في كل الحالات: فهي سوداء، أو من أصل اسباني في حالات أقل، ابنة لشابة حملت هي الأخرى في سن مبكرة ودون زواج. وعادة ما يكون الأب الصغير صبيا في نفس العمر من اسرة مماثلة: أسرة بلا رجل، تعولها في الغالب الجدة التي غالبا ما يزيد عمرها عن الثلاثين، وترعى ابنين أو ثلاثة وليس سبعة أو ثمانية كما قد يتبادر الى الذهن، تعيش هذه الأسرة بلا دخل سوى الاعانات العامة الهزيلة. "انني ألاحظ تزايدا مطردا في عدد المراهقات الحوامل" هذا ما تقوله كونستانس ريدكس، ممرضة الاطفال بمدرسة كاردوزو الواقعة في الجزء "غير المأمون" في الشمال الغربي، والذي يعد وكرا للبؤس والمخدرات ..

في الاحياء الموسرة الواقعة غربي الشارع رقم ١٥ نسمع كل التفسيرات الممكنة لهذه الظاهرة: "تأثير الثقافة الزنجية" .. "حب الاطفال" .. "الخوف من الاجهاض". ولكن ربما كان أقرب التفسيرات الى الصواب هو ذلك الذي

Digitized by Birzeit University Library

تقدمه مليام هاريسون، الاخصائية الاجتماعية السوداء التي تناهز الثلاثين والمولعة بعملها في دار الحضانة الملحقة بمدرسة هارت في أقصى انحاء اناكوستيا، "حيث يصادف المرء من يوقفه في عرض الطريق كي يعرض عليه بضاعته من المخدرات". ان هؤلاء المراهقات لا يشعرن بأي اعتزاز بالنفس او بأية قيمة ذاتية. فكثيرات منهن قد درجن منذ نعومة أظفارهن على سماع امهاتهن يعرضن فيهن طيلة النهار: "أغربي عن وجهي" .. "ان وجودك كعدمه" .. "أنت لا تساوين شيئا". وحين لا يكون لديك شعور بقيمتك الذاتية فانك تفقدين الرغبة في العناية بنفسك أو في الدراسة او في العلاج او في التفكير في تناول حبوب منع الحمل. فانت لا تفكرين ابدا في الغد، اذ يكفيك قسوة ما تعانينه وأنت تعيشين حياتك يوما بيوم ..".

واليوم في مدرستي كاردوزو وهارت تترك نحو ثلاثين مراهقة، تتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والسادسة عشرة، أطفالهن كل صباح في دار الحضانة الواقعة اسفل المبنى قبل الذهاب الى فصولهن. تقول ماريا، الاسبانية الأصل والتي كانت من طالبات مدرسة كاردوزو - وهي الآن عاملة تليفون في جمعية دينية - انها مدينة لأمها ذات الشخصية غير العادية، ولمدرستها بالفضل في اجتياز محنتها. وهي تروي، بابتسامة عذبة، عن سنواتها الدراسية الأخيرة: "كانت أياما شاقة كنت أذهب الى المدرسة حاملة طفلي على يدي وكتب على اليد الأخرى. وكانت الكتب تسقط مني والطفل يبكي . لقد عشت أياما صعبة لا يمكن تخيلها ولكنني استطعت في النهاية أن أنال شهادتي".

ان داري الحضانة لا تزالان، بعد ثلاثة سنوات من افتتاحهما، نظيفتين ومشرقتين، فوجوه الاطفال تنطق بالعافية وبالعناية، اما الامهات الصغيرات فغالبا ما تبدو عليهن علامات الارهاق والتوتر .. ويقوم بعضهن باطعام أطفالهن وقد بدا عليهن الشرود الكامل.

"تقول ميليام هاريسون" اننا نبذل كل ما في طاقتنا كي تتمكن الامهات الصغيرات من مواصلة الدراسة، حين يحصلن على شهادات اتمام الدراسة أبكي من الفرح .. فهذا هو أعظم جزاء أناله. لأن اتمام الدراسة سيحفزهم على تحمل المسؤولية والعثور على عمل، وبذلك نكون قد كسرنا قيد الفقر واوقفنا الشقاء الذي كن يتوارثنه جيلا بعد جيل. لكن أصعب الأمور هو أن نغرس فيهن الثقة بالنفس وان نقنعهن بأنهم قادرات على تغيير مصيرهن".

في المنازل الأنيقة في شيفي شيز وجورج تاون، يستشيط البعض غضبا وسخطا حين يسمعون أنه توجد الآن دور للحضانة في عدة مدارس بالمنطقة. يصيح روبير، وهو موظف كبير متزوج وأب لطفلتين: "انها الطامة الكبرى! فبعد ان شجعوا الامهات على التبطل ها هم يشجعون الفتيات الصغيرات على الانجاب!".

ترد ميليام هاريسون بصوتها الرقيق الهادىء، وكأنها سمعت هذه الملاحظة: "لا .. نحن لا نشجعهن، بل ان العكس هو الصحيح. ان جميع الذين يوجهون الينا الانتقادات يدفنون رؤوسهم في الرمال. فلو أننا تخلينا عن كل هؤلاء المراهقات لأنقطعن عن الدراسة ولأعتمدت أعداد متزايدة منهن على الاعانات العامة ولأنجبن خمسة أو ستة أطفال آخرين، ليهمن على وجوههن بعد سنوات قليلة في شوارع المدينة. فاذا لم نقدم لهن المساعدة اليوم فاننا سوف ندفع الثمن حتما في الغد .. وسندفعه أضعافا مضاعفة ..".

(١) يرجع ٦٠٪ من حوادث القتل في واشنطن الى العمليات الانتقامية المتبادلة بين مهربي المخدرات.

Digitized by Birzeit University Library

(٢) من المنتظر ان يرتفع هذا الرقم في القريب العاجل نظرا لازدياد عدد الأطفال الذين يولدون لأمهات يتعاطين المخدرات و (أو) مصابات بالايدز، وفي فرنسا يقل معدل وفيات الاطفال عن ١٠٪.

(٣) Background Material and data on program within. the Jurisdiction of the committee on the ways and Means.

مارس / آذار ١٩٨٩.

(٤) يعيش حوالي ٢٥٪ من جميع أطفال الولايات المتحدة اليوم في اسرة تعولها امرأة وحيدة. ويبلغ هذا الرقم ضعف الرقم المسجل في السبعينيات (المصدر: مكتب التعداد).

(٥) برنار تابي الامريكي.

(٦) المصدر: National telecommunication information administration, U S Government.

عن صحيفة "لوموند ديبلوماتيك".
أيلول - تشرين أول / ١٩٨٩.

أطفال بيت ساحور خلال مسيرتهم بمناسبة عيد « أحد الشعانين ».
(تصوير: «نوره - خاصة بمكتب «الاتحاد في القدس)

Digitized by Birzeit University Library

من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة

د. محمد شحادة

" ان أول ما يكتبه الإنسان، أو ما يجب أن يكتبه، هو عن حياته الخاصة، عن تجربته..."

حنا مينه

الحلقة الثالثة والأخيرة

الاستلاب

يعاني شعر الأرض المحتلة معاناة حادة من استلاب الشاعر، فهو مغترب وغريب في أرضه، حائر، ضائع، في الوقت الذي عبر فيه عن التصاقه بالارض وعشقه لها. وحب الموت فيها. يتوفر هذا الاستلاب من تسلل الأحاسيس الوجودية والدينيه والنزعات المتطرفة، فيفقد الشاعر طريقه، ويصرخ بحيرته:/أنا سيزيف/يا بطلا بلا نصر،بلا موت/غابة عمري موحشة/أدخلها في الليل وحيدا/فيكبل خطواتي الرعب/ويحاصرني شوك الدرب/وانادي في جوف الليل/يا عمري الضائع في سنوات الرعب./.(١٢٠) أو كقصيدة "صفحة من آلام عاشق" للشاعر عبد الناصر صالح:/يتخثر وجهي/في التاريخ،/وينزف جرحي،/لا يقدر أن يفهمني أحد منهم../../ضاقت أنفاس الأطفال../والشجر العاري/يحترق على نار الزمن الغادر/الام الليل تغني/فوق الافق المطعون،/بسهم الحزن../لكن يا ويلي،/لا أحد منهم،/يلتفت إلي/ودموعي تنهال كدمع الثكلى../../اتعبني المشي،/على أرصفة..المشوار/أرهقني الحزن،/وشرش فوق ثنايا قلبي،/وغرقت ببحر الأشرار../.(١٢١) اما توفيق الحاج فيقول في قصيدة "بطاقة اغتراب":/منحتني الغربة فرصة عيشي/في الوجه المظلم للدنيا/../أدمتني الغربة يوم اتيت/قطعة

Digitized by Birzeit University Library

صابون وحفنة زيت/وطحين الشفقة من "كندا"/..ورأيت الصرة تملؤها/فضلات الكاوبوي/../عرفت مرارة أن تبقى دوني أبواب/..مقفولة/يدخلها من يملك..وطنا/كبرت../ككل صغار الحي/درست الحرف كما درسوا/رسمت الحلم كما رسموا/ورديا..عطريا..اخضر/لكن ما كان يعذبني/هو رسم الغربة في بلدي/مطبوع في وجه الدفتر../.(١٢٢).

وفي قصيدة "أردنية فلسطينية في انجلترا" تتحدث الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان عن الاغتراب، عن غربة الفلسطيني المعذب وشعوره بالعبث واللا جدوى، تقول:/تسأل عن سحابة؟/مرت على جبيني/وظللت عيني بالكابة/وأنت يا جار الرضى من فتح الجراح؟/ذكرتني/اني من الأرض التي تمزقت/اني من القوم الذين/من الجذور اقتلعوا، من الجذور/وأصبحوا على مدارج الرياح/مبعثرين ها هنا وها هناك/لا ينتمون/الى وطن!!/....(١٢٣).

ويقول الشاعر وليد الهليس في قصيدة "قصيدتان عن حب قديم":/يهاجر نحوك كان المطر/وكانت كل جهاتك تبتل/فأجففها بقميصي./والماء الى سرتك يفيض/وينضج في فخذيك القمح/فلماذا أحمل خيمة هذا الأفق المثقوبة/والوطن - المنفى/وأضيع؟/.....(١٢٤).

التشبث بالوطن والتغني بأمجاده

وقد رأى الشاعر في الأرض نبضا حيا يجري في جسده مع الدم ويعمق احساسه بالانتماء الى االوطن - الأم، والقدرة على مواجهة الغزاة، فتقول فدوى طوقان في ذلك:/كان قومي يزرعون الأرض/ يحيون يحبون الحياة/يأكلون الخبز والزيت بحب وفرح/كانت الأثمار والأزهار في كل الفصول/تفرس الأرض بأقواس قزح/أترى ترجع تعطي من هداياها..الفصول/لبلادي ولقومي/أترى ترجع تعطي/.(١٢٥) ودرج الشعراء على التغني بأمجاد الوطن وأشاروا إلى مواقع بعينها في صياغة جميلة، كما يقول الشاعر عبد اللطيف عقل في قصيدة "اعتذار عن سفر قصير جدا":/ساعلوني والشوق يذبح كالسيف/ عن ساحة المهد والموز، عن جبل النار/عن غلال البيادر/...(١٢٦).

وفي شعر الأرض المحتلة إشادة حماسية بالشخصيات والرموز الوطنية المكافحة من أجل حرية شعبها، وها هو الشاعر ماجد الدجاني يقول في بسام الشكعة، الرئيس المنتخب لبلدية نابلس، والذي تعرضت سيارته للتفجير على أيدي الصهاينة، فبترت ساقيه:/ويغضب فرعون..يرغي ويزبد..يصرخ/ لا بد من قتلكم..قطع أيديكم..قطع أرجلكم/من خلاف ولا بد من زجكم في غياهب السجن/ويفقد بسام اقدامه في خضم الضغينة/لكنه قام يعلن للسحب اقسم ان انتقم/رغم جراحي وحزني/تصير البراءة في وجنتيه سلاحا/ويصبح سطرا بأنشودة الحب..يصبح/مطلع كل القصائد، ووشما على ساعد البطم/ويصبح سوسنة الحقل يصبح تغريدة/الحب ما بين غصن وغصن./.(١٢٧).

أما الشاعر عبد اللطيف عقل فيرفض كل محاولات اغرائه بالرحيل عن الوطن، ويتشبث بحبات ترابه، الذي دمه هو نبضه، يقول في قصيدة "رسالة الى صديق قديم":/تزين لي الرحيل/كأن لا يكفيك من رحلوا/وتغريني بأني/أن أتيت اليك/مثل البدر اكتمل./فشكرا يا صديق طفولتي/اختلفت بنا السبل./أنا نبض التراب دمي،/فكيف أخون نبض دمي وأرتحل.؟!./.(١٢٨)

Digitized by Birzeit University Library

ويقول الشاعر محمد شحادة في قصيدة "سوف أبقى" مؤكدا اصراره على التشبث بالوطن وعدم الرحيل عنه، رغم كل اجراءات القمع:/قيدوني/والى زنزانة الموت خذوني/سوف أبقى/../انصبوا من خشب الزيتون/اعواد مشانق/واشنقوني/اشعلوا من دم أطفالي حرائق/واحرقوني/سوف أبقى/../لو قطعتم لي يدا تنبت أخرى/أو فقأتم لي عينا/تبق في وجهي نيشانا وفخرا/لو كسرتم كل اقلامي/وجففتم مدادي/صفت من عظمي أقلاما/ومن دمي حبرا/...(١٢٩).

السخرية المرة

يقول الشاعر توفيق الحاج وهو يسخر بمرارة من مواقف الأنظمة العربية من القضية الفلسطينية، من قصيدة "سطور على جدار المرارة" وقصيدة "الفجر والوجوه المهترئة":/.../ماذا عن نخوة مولانا هذا المتسكع/فوق جماجم إخوتنا/وصلتنا الأكفان../فشكرا للعطف النجدي القادم/ليتم مراسيم الدفن/في هذا الليل المتأخر/مرحى../مرحى/.../ثم يقول:/.../يا سادة الهزل الرفيع من المحيط الى الخليج/من يأتني منكم وانتم/جرح قهر../فوق قهري/يفقأ الصبر انتظارا/من يأتني منكم وانتم/ تحلمون../وتحلمون../وتحلمون أن تخلفوا رهط أمية/ ويحل جهلكم ..القضية/بابتهالات وقمه/...(١٣٠).

العمل التطوعي

تشابكت أيادي شباب وشابات الضفة الغربية وقطاع غزة، منذ اواخر السبعينات، في تظاهرة تضامنية كبرى، مجسدة في الواقع العملي ظاهرة جديدة في حياة الشعب الفلسطيني، ظاهرة التضامن والوحدة، وكانت ولادة لجان العمل التطوعي، التي راحت تقوم بخدمة الشعب في عرض الضفة وطولها. وقد وجدت الظاهرة انعكاسا لها في أشعار الأرض المحتلة، وها هو راجح السلفيتي في قصيدة "تحية للجنة العليا للعمل التطوعي .." يقول:/يا ريح هبي واحملي/ أجمل تحايا شاملة/منا للجنة العمل/وكل الزنود العاملة/حيوا القوى المتطوعة/في المصنع وفي المزرعة/ وحيوا الأفكار المبدعة/تسهم في حل المشكلة/انتوا اللي طوعتوا الصخور/وانتوا اللي مديتوا الجسور/وانتوا اللي عمرتوا القصور/وعشتوا بكواخ مهلهلة/...(١٣١).

المخيمات

مئات الآلاف من ابناء الشعب الفلسطيني، يعيشون بعد النكبة الأولى في عام ١٩٤٨، وبعد هزيمة الخامس من حزيران، اثر موجة النزوح الثانية، في عشرات مخيمات الصفيح والزنك، في ظروف قاهرة، من الصعب أن يطيقها إلا من يعاني من سلب الدار والوطن والحديقة، وتتوزع هذه المخيمات عدا عن أرض الشتات، في اماكن متعددة في الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد انعكست ظاهرة المخيمات على شعر الأرض المحتلة. وهذا الشاعر سميح فرح يصدر ديوانا كاملا عن المخيم، يقول في قصائده:/.../يا أيها المخيم البركان، يا أيها المخيم الزلزال/ يا أيها المخيم الوريد/تصب في الساحات والصحاري العواصم/ويجحدون نعمة الملائكة/حديقة - مخيم/وساحة

Digitized by Birzeit University Library

من القلوب والدروب والأكف/والحجارة المباركة../مخيم/نوافذ صغيرة/رشيقة/طليقة../مخيم/مداخل مغلقة/وأرجل مشققة/وأسقف معلقة/عمادها طفولة عملاقة/مخيم - معلم../ومدرسة/نشيد صبحها تظاهرة/سياجها تفاؤل../يخلع المخيم القصائد القصيرة/ضفيرة../ضفيرة/ ظهيرة../ظهيرة/مخيم قميصه الممزق/قراءة فصيحة في لحمه المحرق الجريء/في عمره المديد/ايقاع عنفه/وصوته القريب والبعيد/وحجم نشوة الممات/وكم يغار أو يطير أو يسير كل يوم/وكم تنام عينه/وكم يثور كل يوم../مخيم قميصه قراءة مقدسة/فليقرأ القراء../مخيم يطارح الزمان عنفوانه../فلتشهدوا../لتفتح المخيم/ولتشهدوا/تعلم الخيم../تجهم المخيم../تفجر المخيم/يا أيها المخيم المعظم/هو أنت موعدي الذي اراه كل حين/في النوم والاشعار/وشعلة الميعاد../جاء المخيم/ذهب المخيم/طرب المخيم/غضب المخيم...كلنا نحن المخيم.(١٣٢).

ويقول الشاعر عبد اللطيف عقل في قصيدة "من القدس الى الخليج،رسالة عامة (صفحة ١):/على صخرة عند باب المخيم سجل حزنا/على ضعفه جرح الصخر،/..نما في المخيم شيئا،/وقارن بين الخيام،/ووزع الوانها والغسيل المعلق والطين/والزنك،ثم اشتهى البحر والسمك الحر/في البحر،/خبز الكرامة..../تدفأ بالحزن - هذا المخيم مثل الجليد-/وأورق في رأسه منطق الطفل، هذا كلام/رديء التفاصيل، كل القراءات حدباء/في حضرة المطر المر يفزع خد الصفيح،/...(١٣٣).

الحزبية

يقول ف.إ.لينين: "ان الأدب الحزبي هو الذي يخدم ملايين الكادحين، الذين هم نور البلاد، قوتها، ومستقبلها. انه الأدب الذي يجسد الكلمة الأخيرة للفكر الثوري للانسانية مع التجربة والعمل الحي للبروليتاريا الاشتراكية، ويقيم التأثير المتبادل بين تجربة الماضي...وتجربة الحاضر..".(١٣٤) وجد الشعر الحزبي مكانا له عند شعراء الأرض المحتلة، يقول الشاعر خليل توما في اشارة واضحة الى هويته الطبقية وانتمائه:/جيل يستيقظ في غرف التحقيق/يفيق، يفيق/وعصي الشرطة تصنع من شعبي حزبا/والكل رفيق../..من قصيدته "اغنيات الليالي الأخيرة"..(١٣٥) اما الشاعر راجح السلفيتي فيقول في قصيدة "أمزوجة":/حيي زنود العاملات والأفكار الثورية/قرينا كل النظريات/واخترنا الماركسية/انجلس وماركس لئنين/حطوا الأساس المتين/وطورها القائد لينين/ وحطم القيصرية/ولما استلموا اصحاب المال/اطلع ما عجبوش الحال/وقف وخطب في العمال/وأعلنها اشتراكية../..(١٣٦). ان الشاعر يعلن اختياره للنظرية وانتماءه لحزبها، ويصف بكلمات بسيطة وقليلة دور لينين في قيام اول دولة للعمال والفلاحين في العالم، الدولة الاشتراكية. وينقل الشاعر محمد شحاده انتماءه الحزبي دون غموض في موقف متفرد وواضح، يقول من قصيدة "نرفع افكارك نبراسا وشعما"، في تمجيد الحزب:/...من علمني أن أزرع هذا الوطن/بقلبي/غير الحزب/.../فيفا للحزب/فيفا../للعمال، الفلاحين/وللأطفال وللأبطال../فيفا../لشعوب الدنيا/تتحرر من ويلات العصر../..(١٣٧) ويقول أيضا في قصيدة مباشرة تحت عنوان "بطاقة حزبية":/:فلتسمع صوتي كل الدنيا/ولتدري كل الهيئات العليا/وليدر

Digitized by Birzeit University Library

الزعماء/..اني ابن الحزب/والحزب ابي أمي/وبطاقة حزبي احفظها/في عمق القلب/في اعماق الصدر.../....(١٣٨).

نسف المنازل

نسف البيوت، واحدة من الوسائل، التي اتبعتها سلطات الاحتلال، ضد المناضلين من ابناء الشعب الفلسطيني، وسائل القمع والظلم والاضطهاد القومي. تقول الشاعرة فدوى طوقان، تصف نسف احد المنازل، في قصيدة "حمزة" المناضل الفلسطيني، التي قامت السلطات المحتلة، بهدم بيته، كوسيلة لإحباطه، وعرقلة كفاحه ومنعه نهائيا، لكنه يبني ككل فلسطيني يتعرض بيته للهدم، يبني خيمة فوق ركام البيت ويعيش فيها، ولا يكف عن الكفاح، تقول:/حين ألقى حاكم البلدة أمره/"انسفوا الدار وشدوا/ابنه في غرفة التعذيب"../طوق الجند حواشي الدار/والأفعى تلوت/وأتمت ببراعة/اكتمال الدائرة../"اتركوا الدار"../..ساعة وارتفعت ثم هوت/غرف الدار الشهيدة/وانحنى فيها ركام الحجرات../..(١٣٩).

يوم المرأة العالمي

ظاهرة جديدة في حياة المجتمع والشعب الفلسطيني، برزت في السبعينات، حين أخذ المجتمع يحتفل في يوم المرأة بعيدها، يهنئها ويقدم لها التحية، ويتمنى لها مزيدا من النجاح في نضالاتها من أجل الحصول على كامل حقوقها، ثم كانت لجان المرأة التي كرست هذه الظاهرة. والشاعر الفلسطيني الذي يتفاعل مع الحدث ويسعى الى تجسيده من أجل التغيير، تغنى بهذه الظاهرة، وحبا المناسبة. يقول الشاعر راجع السلفيتي في قصيدة "تحية متواضعة للمرأة في عيدها العالمي":/حيا الله ثماني آذار/عيد المرأة بكوكبنا/جينا إلها صغار كبار/الشوق بيدفع مركبنا/لعيونا أخت الأحرار/مركب الصعب اركبنا/يلخلقت منا ثوار/وما في هول بيرعبنا../..مهما جرى ومهما صار/ومهما نقنا وقاسينا/بدنا نكمل هالمشوار/ونعمل اللي علينا/ربيتينا واحنا صغار/ودرب النور هديتينا/حضنك مدرسة الثوار/وانتي اللي علمتينا../.../بالجو ان لاحت اخطار/نادينا بتلاقينا/جحفل جرار/خاسر ياللي تعادينا/...(١٤٠).

التغني بالسلطة الوطنية والدولة الوطنية المستقلة

ومن دفتر الشعر الفلسطيني، قصيدة "على دلعونا للسلطة الوطنية"، تلك القصيدة الشعبية، التي تغنت بها جماهير الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، وفي كل بقاع الشتات، رددتها ولا زالت ترددها في مظاهراتها، واعراسها، القصيدة التي لحنها وغناها المطرب اليماني المعروف، أحمد قاسم، تقول كلمات القصيدة:/احنا بدمانا السلطة نفديها/اما بنستشهد إما بنبنيها/العامل والفلاح بناضل فيها/وغنوا لعيونا على دلعونا/...ويتغنى الشاعر بالوقفة الفلسطينية في هيئة الأمم المتحدة في تشرين الثاني، ١٩٧٤، وها هو يحيي الثورة الفلسطينية، ويطالب بتصعيد

Digitized by Birzeit University Library

النضال حتى اقامة الدولة الوطنية المستقلة، يقول:/حيوا تشرين وحيوا وقفتنا/وسجل يا تاريخ تحيى ثورتنا/واهتف يا عامل باسم دولتنا/وثبت في الأطلس اسم فلسطينا/../شعبك ي فلسطين عارف طريقه/وعارف عدوه وعارف صديقه/وشعار الدولة واجب تحقيقه/ودولتنا بصدر العدى سكينا/...(١٤١) ويقول الشاعر المتوكل طه في قصيدته "أتمنى":/ "....ولعلي يا صديقي أتمنى/أن أرى دولة شعبي/وأرى الرايات في كل مكان - كالصبايا/تتثنى./.(١٤٢).

التغني بالجبهة الوطنية

في آب عام ١٩٧٣، وبعد مرور ست سنوات على الاحتلال الاسرائيلي، بادر الشيوعيون الفلسطينيون، إلى اقامة جبهة وطنية عريضة، مستفيدين من الخبرة والتجربة التاريخية، لنجاعة مثل هذه الجبهة في النضال ضد الاحتلال، وفي سبيل احقاق الحقوق الوطنية. وهذا هو الشاعر محمد شحادة، يتغنى بالجبهة الوطنية، في قصيدته "على دلعونا للسلطة الوطنية"، يقول:/عنا في الضفة جبهة وطنية/وما وعظاما قوى ثورية/فيها فدائية وفيها شيوعية/وافعالهم معروفة في كل الكونا./..(١٤٣). اما الشاعر ماجد أبو عوش، فيقول من قصيدة "فجر جديد":/يا رفيق:-/بين حبات المطر/وقطرات الندى/على وجهك الثوري/يكون اللقاء/.../ونافورة دمي/يكون اللقاء/من صدور الكادحين/من أغاني الشعراء/.../من دمك المعمد في دمي/تولد جبهتنا القوية./.(١٤٤).

الظاهرة النوابية

كثيرون هم شعراء الأرض المحتلة، الذين افتتنوا بمفردة مظفر النواب في الشتيمة السياسية، ولعل أولهم الشاعر فوزي البكري الذي يفاخر بتقليده لمظفر النواب، وخاصة شتمه للأنظمة العربية المتهالكة على عروشها، وولائها للامبريالية. ويتأثر الشاعر البكري بمظفر في مفردة الشتيمة السياسية الى حد التطابق، كما انه استخدم العديد من مفرداته، ومن طرق تعامله وتشكيله لهذه المفرده، ها هو يقول:/كونوا لهبا/يا أكباد الشعب المقروحة/كونوا نارا/أما نحن/فلن نبكي/نخشى أن يغلبنا الدمع/فيطفىء فيكم هاتيك الحجرات. من قصيدة "بكائية بلا دموع".(١٤٥).

ويتأثر الشاعر عبد الناصر صالح بمظفر النواب حين يندد بأولئك الكانوا عربا، كما هي الحال عند مظفر النواب، حين يقول:/قصدت المسجد الاموي/لم أعثر على أحد من العرب/..ولعل الشاعر عبد الناصر صالح لا يقصد ما يقصده مظفر، بل يميز بين الشعوب العربية، وبين الأنظمة، يقول عبد الناصر صالح:/ومن كانوا عربا يا وطني/ما عادوا عربا/حزنك لا يحزنهم/الامك لا تؤلمهم/بل صاروا أعداء/من كانوا عربا/صاروا أعداء./.(١٤٦). اما الشاعر عبد اللطيف عقل فيقول:/منذ تدور في نهد الورق حليب الجذر/ومنذ تفرخ في رحم السنوات الوقت/وصارت في الأمكنة الأبعاد، جرى في ذرات/الأرض العرق الطيب واستمطر رب/الخصب/من الغيب الماء./.../علمني يا وقت الزيف الزيف وقل لي:/كيف انافق اتعبني وجع الصدق/.../خلصني من سمك القرش الوطني./من قصيدة "أحزان عاشق مات صغيرا".(١٤٧).

Digitized by Birzeit University Library

التحريض

الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة، شعر لا يخلو من التحريض، فهو يعيش واقعا هو فيه كالشعاع في جوف الليل الموحش، فكيف به لا يتمرد على الواقع، إنه ضد الراهن، ويدعو للثورة عليه، وها هو الشاعر فوزي البكري، شاعر الفقراء،يحرضهم على الثورة، على واقعهم بهدف تغييره، ولعله، يعني بالفقراء شعب الأرض المحتلة، ها هو يقول في قصيدة "صعلوك من القدس القديمة" وقصيدة "ممسة في أذن الكادحين" على التوالي:/يا فقراء الأرض المحتلة "شوفوا"/خلف ستارات المخمل والخز/كيف تكون "الهيصة" والهز../يا فقراء الأرض المحتلة/هذا زمن الكفر../يا فقراء الأرض المحتلة/تعالوا نتمرد/ما عدنا نملك شيئا/فعلام نخاف/لا فرش يحضننا في الليل/ولا يدفئنا في البرد لحاف/والخبز اذا صالحنا نبلعه "حاف"./كما يخاطب الكادحين بقوله:/سحقت عظامك واللحوم على مآدبهم طرية/ويكاد يقتلك الطوى، وهمو حياتهم هنية/../وسكنت كوخا واستراحوا في القصور اليلدزية/عرق الجبين تصبه، والمال للفئة الغنية.../وحذاؤك المثقوب أشرف من نفوسهم الدنية../ادعس على رأس الذين تحكموا في الأغلبية/من ثار ضد الظلم ساد ولم يعد في التابعية./(١٤٨).

الوعي الطبقي

يتراجع الوعي الطبقي امام الحس الوطني العام، عند الكثيرين من شعراء الأرض المحتلة، فهو يغيب حينا، ويتوهج حينا، ولكن السائد هو اهتزاز الوعي الطبقي وتناثره في الجملة الشعرية المضطربه. يقول ف.إ.لينين: "انني اعتبر، أن الفنان يمكن أن يستخلص لنفسه الكثير المفيد من أية فلسفة، لخدمة الطبقة العاملة وافادتها.."(١٤٩). وهذا هو الصراع الطبقي والوعي الطبقي، والتغني بالطبقة العاملة وعيدها عند الزجال الوطني المعروف، الشاعر راجح السلفيتي، يقول:/يا أول أيار آه/يا عيدنا آه ياللي/يا أول مسمار آه/ياللي آه/في نعش الرأسمال./(١٥٠) ومن قصيدة "الفجر والوجوه المهترئة" يقول الشاعر توفيق الحاج:/.../هذا قرنطل من بعيد يشير لي/ويقول في صمت الخلود...يقول لي/من يحمل الفجر اليك/ويفك اصفاد يديك/هو لحن طوفان على شفتي فلاح/وصانع/هو مولد البركان في عينيك/في شفتيك/في أشعار ضائع./.أما الشاعر ماجد أبو غوش، فيقول في قصيدة "لأجلك":/نأتي مع الصباح/نأتي مع الندى/نأتي مع الرياح/نأتي مع الشذى/نمضي لفجرنا العظيم، سلاحنا الأمل/نحن الكادحين/شعارنا العمل/.../المجد للإنسان/يهزم القدر/تقول الحكاية../ان العامل ملك زمام الأمر/ليس كما بالأمس؟!/إن العامل كسر القمقم/وحلق فوق الشمس!/.(١٥٢). ويقول في هذا السياق الشاعر عبد الناصر صالح من قصيدة "هل تملأين خارطة الوحدة الناقصة":/تعريف للعشق:/للعشق شكلان:/شكل قديم يحدده السادة الأغنياء/وشكل جديد يحدده الأخوة الفقراء.(١٥٣).

السجون

Digitized by Birzeit University Library

تجربة السجن، تجربة مر بها ابناء الأرض المحتلة، فالسلطات الإسرائيلية أقامت العديد من المعتقلات على الأرض المحتلة، بهدف ارهاب أبناء الشعب الفلسطيني، وخنق كفاحهم الوطني، وهي تزج بالألوف منهم في غياهب السجون والمعتقلات، ولقد مر شعراء الأرض المحتلة وكتابها بهذه التجربة، وسجلوا لهذه الظاهرة داخل السجون، والكثيرون منهم خرج نتاجهم خلف القضبان. يقول الشاعر عطا الله قطوش في قصيدة "السجين":/بحجم البرد..والدوامة الصفراء/اغنيتي/أنا بعض الزلازل../فاشهدوني/وقال:/لحمه في القيد/انتظروا جنوني/ولما تغلق الأبواب../تفتحها عيوني../وقال ستعشقوني/.../ولو كسروا على صدري الحديد..وشوهوني/ولو عرقت كرابيج بلحمي/في السجون/../فرائحة التراب ... العرس/ثوب القلب/قيدي الناعم الفضي/بركان السكون/سريري زعتر/والغرفة الظلماء .. تبعثني نبي الميجنا../والقمح/معجزة القرون./. (١٥٤). ويقول الشاعر خليل توما في قصيدة "ذكريات سجين قديم":/من ترى يقرع شباكي والشباك مغلق؟/والدجى يسخر مني/وينادي انت احمق/ونجوم الليل في كفيه تزهق/وانا نبض وفكر/يتلظى، يتحرق/صار رسف القيد في زندي/كالنهر تدفق/وأنا في القيد حر/رغم سجني أنا معتق/.../(١٥٥). أما الشاعر الشعبي راجح السلفيتي فيقول وهو يتحدث عن تجربته الخاصة،في قصيدة "حكاية زيارة" التي كتبها بعد انتهاء زيارة افراد عائلته له في السجن:/يا عندليب يا زغيرتي ابتدريش/لما قلتيلي يا بابا بدي إملبسه/../ترجيت أمرهم ما لبانيش/وجاوب بهزة راس وخلقه معبسه/زعلتي وكشرتي وما خبيتيش/وحاطت الدمعة في عينيكي الناعسة/../يا عقرب الساعات لا تمشيش/وتقطع علينا هالثواني المؤنسه/شو الفايده يالله خلاص صاح الشاويش../وطلعتي تقولي باي تنسانيش/وانا ارجعت عالبرش روحي متعسه (١٥٦)...وهذه كلمات عن السجن والسجان في قصيدة "وتقول جارتنا العجوز"للشاعر فوزي البكري:/لا بأس يا زمن العذاب/يا ساقي الظمآن أكواب السراب/فلتمتلىء كل السجون/وليرقص السجان منتشيا على نغم الأنين/وليطفىء الجلاد اعقاب السجائر/في وجنتين اسيلتين وفي جبين/...(١٥٧). ويتحدث الشاعر محمد شحادة عن تجربة السجون في قصيدة "في مكتب التحقيق":/في سجن الدامون/مكتب التحقيق زنزانة موت/وكلاب مسعورة/قهقهة الجلاد/آلات جنون المعمورة/لغط باللغة العبرية/في سجن الجفر/مكتب التحقيق زنزانة موت/../قهقهة الجلاد/لغط بالضاد/لغط باللغة العربية/في سجن الجفر/الات جنون غربية (١٥٨).

التحدي

إن شاعر الأرض المحتلة، يركب الصعب دائما.وربما بدت له الكلمة خلوا من القيمة، خلوا من المعنى،اذا لم تنطو على شيء من التحدي،ولا تحد حين يتوعد الأعداء وهو مطمئن في بيته. لم يحمل سلاحا ولم يخض معركة. لذلك فقد يؤثر ان يواجه قومه بكلمة التحدي، ولوكان في ذلك اذلال للنفس.انه يعاني عسف العدو كل يوم. ويراه كل يوم بأعينه. من هنا فان شعر المقاومة شعر غاضب،انه يعيد صياغة الوجدان العربي، بالهدم والبناء،ليكون أقدر على صراع الخصم وهزيمته .. وهكذا يقترن الغضب بالصمود، والاصرار على التغيير بالحرص على الذاتيه وفهم النكبة وسبر أغوارها بالايمان بالنصر النهائي، هذا ما يقوله المفكر العربي الكبير، حسين مروه، في كتابه: الموقف الثوري في الأدب.يقول الشاعر ماجد الدجاني من قصيدة "دعوة للحب":/مئات المباضع

Digitized by Birzeit University Library

صالت وجالت/لتمحو تقاطيع وجهي/لتمنع حنجرتي أن تغني/ولكنني ما تركت الغناء/ووجهي ظل مقيما كرمل الشواطىء كالحب/مثل جذور النخيل ..كاصرارنا/يفيض عطاءا سنى...كبرياء.(١٥٩) ويعلن الشاعر سميح فرج أن المجابهة وحدها هي وثيقة الصمود والخلاص من الراهن، يقول في قصيدة "عبأني موج البحر وقال:/قد تسقط في أول جولة/لا تتردد/قد تسقط في رابع جولة/لا تتردد/قد تسقط في سابع جولة/لا تتردد/قد تسقط في تاسع جولة/لا تتردد/لكنك لن تسقط ابدا/فتمرد..ثم تمرد..ثم تمرد./(١٦٠) أما الشاعر محمد شحادة فانه يتحدى اعداءه بالموت، يقول في قصيدة "رباب ومنتهى تتحديان السفاح" وقصيدة "قصائد قصيرة":/نتحداك فسجل/اننا جيل الزلازل/في يدينا قوة العمال والشعب المقاتل/...نحن تحت دباباتك ما متنا/ولكنا ولدنا من جديد لنقاتل./كما يقول:/نحن لم نخلع من "الشرش"/ولكنا/باعماق فلسطين.../أراضينا/زرعنا/نحن/لم نسرق تراب الغير لكنا سلبنا/وانتفضنا/بعدما جزوا على شرياننا السكين ثرنا/.../نحن في قدس المصائر/سنغني/كل ليل يا أخي/يأتيه آخر/وبلادي/ان سجنتم صوتها/أو حرقتم رحمها/أنجبت في كل يوم الف ثائر/ألف ثائر/الف ثائر.(١٦١).

الاستناد الى التراث

ويلتحم الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة، بالتراث الشعبي والقومي والأممي، تعزيزا لانتمائه الى الوطن ولوعيه الطبقي في الصراع، ويحاول الشعر التواجد من خلال الأغنية الشعبية، والمثل الشعبي والحكاية، والاسطورة والرمز التاريخي والتراث القومي والانساني الشامل، في أهم وحدة وظيفة يستغلها الشعر الفلسطيني في الكشف والوضوح والجدل المستمر ضد الاحتلال وضد القهر الطبقي وضد الواقع بأكمله. ويستند شعراء الأرض المحتلة الى تراث شعبهم، بل وتراث امتهم العربية الضخم، مستخلصين منه ما يمكن توظيفه في تكريس مفاهيم تتعلق بالوطن والأرض بهدف حمايتها والدفاع عنها وشحذ الهمم واستنهاضها لتحريرها. فها هو الشاعر أسعد الاسعد، يستند الى "التراث الشعبي الفلسطيني" فيستخلص منه أغنية شعبية يوظفها في تكريس مفهوم - الأرض - حماية لها - وطنيا - واستدلال علاقات الانتاج بها، وبالتالي وعي الشاعر الطبقي في موقفه. فالشاعر يرتكز الى تراثه الشعبي، فينهض ويعترف، ويكشف الأعماق، يقول أسعد الأسعد:/....وتقول بأن الحادي/ما زال يردد أغنية الحصادين/"يا صاحب الطير قوم اسهر على طيرك/عجل عليه بالعلف ليوخذوا غيرك/الله يجازي الحصيدة اللي حصدناها/لا زرع أكلنا ولا ميه شربناها!!/.(١٦٢).

التفاؤل

يقول مكسيم غوركي - ان وعينا للحقيقة ينمو باطراد وبسرعة، وافكارنا النامية تتألق في شدة واشعاع.إن فقد أحد الأيمان بانتصار الحقيقة...ان فقد احد الشجاعة على اعطاء حياته وبذلها من أجل الحقيقة...ان ارتاب في المستقبل احد، فليخرج من بين صفوفنا. فالذين لم يدركوا رؤيانا عن المستقبل، لا يملكون الحق في المسير معنا. (١٦٣). كما أن التفاؤل في

Digitized by Birzeit University Library

مفهوم آخر يقوم على أساس الادراك بأن التطور التاريخي في النهاية، تطور تقدمي وانساني، والتطور هو عبارة عن عملية مخاض. وعلى الادراك بأن الخلاص تاريخيا لا بد منه ..(١٦٤).

لقد وقف الشاعر الفلسطيني في الأرض المحتلة، أمام المستقبل ينظر اليه بعين متفائلة وهو يتمثل عذابات الماضي والحاضر التي لم تستطع أن تغرقه في سوداويتها القاتلة، فلم يقع في شرك التشاؤم ولا اليأس، بل ظل يحمل قيثارته وهمومه ويوزعها على من يستقبلها، ويبث في مواطنيه الأمل ويدعوهم الى الثقه بالتغيير. وكان تفاؤله يحمل ثقة من يؤمن بحتمية التاريخ، ويستند الى التجارب الظافرة للشعوب، وها هو الشاعر عبد اللطيف عقل يقول:/.../وأحفظ في شراييني/الذين عيونهم أمل/سلاحهم الحجارة والدفاتر/والحب الذي في سرهم حملوا/.(١٦٥).أما الشاعر عبد الناصر صالح، فيقول متفائلا في قصيدته "نبوءات الزمن المقبل":/.../يبتهل إلى الزمن المجهول/.../عيناه تضجان بأعراس الميلاد الثورية.../قال الراوي: سيجيء اليكم من أقصى الحزن نبي/يتوزع فيكم كالدم خلايا. (١٦٦). وهذا هو التفاؤل الذي تنتهي به معظم قصائد مجموعات أسعد الأسعد الشعرية، انه يتحدث دائما عن ان الفجر لا بد آت،او أنه سيقطع درب رحلته مع شعبه الى الشمس، انه استشراق المستقبل واستجلائه، يقول من قصيدة "غريب الدار":/...لا تيأس/نحن أصحاب القضية/يا رفيق الخيمة السوداء/والتشريد/في الأرض القصية/قد يطول الليل..لكن/فجرنا لا بد يأتي.(١٦٧).

ويحاول الشاعر خليل توما استيعاب الواقع وادراك قوانينه والتنبؤ بما سيأتي، انه يحافظ على التفاؤل والرؤيا المستقبلية حين يقول في قصيدة "في بلدتي":/يا مصابيحي الحزينة/يكثر الديجور ..حول النور/لكن شعاعا واحدا يكفي لنبدأ/عندما يصبح موت الفرد مهرا/وحياة الكل مبدأ./.(١٦٨). أو كما يقول في قصيدة "من المفكرة اليومية":/وكل حبيبة في الحي تنتظر/ترى يأتون؟/أجل آتون رغم فظاظة السجان/وكل مفازة الأشجان./.(١٦٩). ويقول من قصيدة "عودة الينبوع" وقصيدة "صباح غريب" على التوالي:/...وعن قارئات الطوالع ان النساء/اذا جاءت الليلة القاسية/ونامت على وجوهها الأرض في القيد والريح والزمهرير/سينجبن حتى الهزيع الأخير وان السماء/ستنشق عن نجمة، ربما أو غلام صغير/وان الجبال وان الحقول سترعشها صرخة/ويقوم النفير/.ثم يقول:/افواهنا التي تهشمت/تشتاق للنشيد/فلتلتق النيران من جديد/وليزحف القطار من بعيد/قطارنا/قطارنا الأكيد.(١٧٠).

التغني بالانتفاضة

شهدت الأراضي العربية المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) في عام ١٩٧٥، انتفاضة شعبية عارمة، خلخلت ولأول مرة، أسس الاحتلال الإسرائيلي، في صحوة وهبة كبيرة قام بها الشعب العربي الفلسطيني، تلك الانتفاضة التي سقط فيها العديد من الشهداء برصاص قوات الاحتلال، التي تمكنت من اخمادها، لكنها ظلت كالجمر الذي يغطيه الرماد، لا تلبث هبة ريح أن تعود فتشعله. وقد غنى شعراء الأرض المحتلة للانتفاضة وشهدائها. وفي قصيدة "أنشودة الصيرورة" للشاعرة فدوى طوقان، يصبح أطفال الانتفاضة كباراً، عمالقة أكبر من الشعر، واكبر من العصر. انه شعر عظيم، وعصر واسع شامل، لكنهم في اللحظة التي انقطعوا فيها عن حبلهم السري،

Digitized by Birzeit University Library

ارتبطوا مباشرة بوضوح اللحظة الهائلة، وفي وطن هو المولود الكهل الطفل المتجدد الفاتن العبقري الخلاب البريء إلى حد البكاء، والجميل الجميل إلى حد البكاء، في مرحلة لا تعترف بالبراءة والبكاء، فتفرض الطفولة، وتكرس وعيها الناضج المبكر والعشق المبكر والموت المبكر والحياة الصاخبة المبكرة أيضا. انها الصيرورة المتدفقة عبر أطفال فلسطين، أطفال الغضب والانتفاضة، ولعلهم أطفال كل الأرض. (١٧١).

تقول الشاعرة فدوى طوقان في قصيدة "الصيرورة": /منهم من كانوا أطفالا ما كبروا بعد/أفراخ زغاليل صغيرة/ترقد في المهد/../منهم من كانوا صبية/تحترف الشيطنة وتلهو بالألعاب النارية/تطلق في الريح الغربية/أسارب الطيارات الزرق الحمر الخضر القزحية/../تتقمص شخصيات كفاح اسطورية/../عز الدين القسام الرابض في الأحراج الجبلية/عبد القادر في القسطل/يحيى ويمارس عشق الأرض/وجه حزيران اربد/زخ المطر الأسود/../كبروا في غاب الليل الموحش في ظل الصبار المر/كبروا أكثر من سنوات العمر/../كبروا مع شجر الحناء وحين التثموا بالكوفية/صاروا زهرة عباد الشمس/../صاروا الصوت الرافض، صاروا/جدلية هدم وبناء/صاروا الغضب المشتعل على أطراف الأفق المسدود/يكتسح صفوف مدار سهم/../يتمركز في قلب "الدوار"/وعلى الدبابات الجهمة يطلق رشاش الاحجار/(١٧٢).

وفي ٩ كانون الأول عام ١٩٨٧، كانت الهبة، كانت اليقظة، كان الغضب والسيف المشرع، كان أن مادت الأرض تحت اقدام المحتلين، كان أن نطق الصفيح، كان أن ماجت المخيمات بالمظاهرات الكبرى، بالمظاهرات الحاشدة، يومها اندلعت الشرارة الأولى في نيران الانتفاضة الوطنية الفلسطينية اللاهبة ضد الاحتلال الاسرائيلي، بعد مرور أكثر من عشرين عاما عليه، تلك الانتفاضة، التي تشارك فيها كافة فئات الشعب الفلسطيني المكافحة ضد الاحتلال والقمع والظلم القومي والاجتماعي والوطني، من أجل التحرر والاستقلال، انها اشتعلت لتكسر سيف الاحتلال المشرع على رقاب شعب الأرض المحتلة منذ ما يزيد على عشرين سنة كما فلنا، عنوة وظلما وقهرا واغتصابا وابعادا وهدم منازل وفتح معتقلات وسجون ... ولسوف تحقق الانتفاضة هدفها المعلن في التطويح بالاحتلال، والوصول الى الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة .. انها انتفاضة الأطفال والحجارة، وسوف يجد كافة اعداء الشعب الفلسطيني أنفسهم مرغمين على القبول بحقيقة، أن الشعب الفلسطيني، سوف يقيم دولته المستقلة، ويحقق بالحجر المقدس تقرير مصيره، وحقه في التحرر الوطني والاستقلال. لقد تغنى شعراؤنا بانتفاضة كانون الأول المجيدة.

يقول الشاعر سميح فرج في قصيدة "لا تعترف":/...من يصنع البركان غير الشعب؟!/من يقلب الصحراء غير البحر؟!/...والصبح آلاف من الأميال نقطعها بميل/والصبح الاف من الأميال نشعلها بجيل/...لا تعترف../هذا نشيدك يا رفيقي قد تحجر في جسد/جيل من الفولاذ ينهض - قد تسخر في يديك/لحم، وفولاذ، وشعر../(عتليد) شاهدة عليك/جيل من الفولاذ يكبر/قد توزع في زنازين الشرف/..يا رفاقي ان وريدي ذل يوما/ فاقطعوا مني الوريد../واكتب على كل الزنازين الفصيحة والغرف/لا تعترف../(١٧٣).

وهذا هو صوت الشاعر أسعد الأسعد يغني لانتفاضة اطفال الحجارة، يغن لانتفاضة جماهير

Digitized by Birzeit University Library

الأرض المحتلة، يغني لشعبه البطل المكافح الذي يحب الحياة، يقول من قصيدة "قصيدتان" في قصيدة "لاحت تباشير الصباح" وقصيدة "لأقمار تطل على شكل حجر" على التوالي:/هذا زمانك يا شعب/رد الموت/يرتد،ان رمت الحياة/تجري الرياح كما شاءت يمينك/لا كما شاء الغزاة/ظنوا بأن الشمس/تحجبها العصي/وما دروا/لا عصا الجلاد ترهبنا/ولا سلف الطغاة/....هو التاريخ علمنا/رحل الغزاة جميعهم/فليقرأ المحتل/تاريخ البغاة/نيرون مات/ولما يزل أحفاده/ كما الخفافيش/تدب على هدي خطاه/عصف الأولى بالغاصبين/ولسوف تعصف بالبقية/يا شعب/وتبني صرحك العالي لواه/حجر ومقلاع/وعزيمة مثل الحديد/..كما يقول:/...هي لحظة/أو لحظتان/زخ رصاص/ربما يتبعه مجزرة/فادخري دمعك السخي/لأطفال مثل الرياحين/شقائق النعمان من دمهم/لأجساد الأحبة/صارت قناديلا/ومتراسا/وأشرعة تعمد صبرك الممهور دما/لا وقت للحزن/تجرعي ملح العذاب/وانتفضي/ وأحيلي جنة المحتل نارا/واجعليها مقبرة/قادرة انت/واعرف انك قادرة/لا بأس/ان سقطت على الطريق/قناديل واقمار/أضأنا من لحمنا/ومن دمنا/من جمرنا/للعابرين ألف ألف قمر/كل ما نملك يا بلادي/أقمار تطل/على شكل حجر/قطعي لحمي/والقه في وجه مغتصبي/اذا استعصى عليك الحجر/...(١٧٤).

وهذه قصيدة "النداء" للشاعر خليل توما، يقول فيها:/من خلف متراس إلى عينيك ننهض فالسما بلورة/تتكشف الأسرار فيها،/وجوادنا الناري ينهض من وحول مسافة بين المخيم والضريح/وتشده شمس فيطلق صدره، أذنت رياح الحق فانتفض الصفيح/وتلعثمت لغة الغزاة/هنا المخيم والقرى/وهنا البلاد فريسة ظنوا ستبقى للذئاب/لفظت مسامير الصليب اذ ادلهم الليل في جنباتها،/وتمردت حين إشرأبت قبضة من عمق أعماق العذاب./أذنت رياح الحق فانتفضت حجارتها/وهيأنا لثورتها المقالع والشباب/..سبحان الذي/أسرى بطفل يافع من حضن والدة/إلى الافق المدجج بالحراب/في كفه علم وفي أعصابه يجري النشيد/فهو الجنين هو الوريد/والباب والمفتاح والفجر الجديد/هو جمرة الأجيال ما انطفأت ومن/حطين يورثها الشهيد إلى الشهيد/الان تنطقه الضحية سرها حجرا/على خوذاتهم وعروشهم/...الان تعلن سرها الأرض التي صمتت طويلا/بين لؤم مهرج وحذاء طاغية وخبث بليد/الان تنحطم القيود/...كسروا عظامك يا رفيقي/أي روح في الجسد/سجدت لعزتها الجباة ولم يحطمها أحد/هي قلعة مترستها/هي شعلة أو قدتها/ستظل جذوتها تضيء الى الأبد/...آمنت بالعمال بالفقراء/بالشعب ينهض في شموخ الكبرياء/بالراية الحمراء تخفق حين يرتفع النداء/...أواه يا وطني فما أحلى النداء.(١٧٥).

القدس. نيسان ١٩٨٨

المراجع

١٢٠- علي الخليلي. شروط وظواهر....ص(٢٠٨ - ٢٠٩).

١٢١- البيادر. العدد (٣) أيار، ١٩٧٦، ص ٣٧.

١٢٢- توفيق الحاج. سنابل العشق....ص(٢ -٤).

١٢٣- فدوى طوقان. أمام الباب المغلق. عكا، ١٩٦٨، ص ص٩-١٠

١٢٤- البيادر. العدد (٣) أيار، ١٩٧٨، ص ٣٣.

١٢٥- ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني....ص ٦٥.

١٢٦- المصدر السابق، ص ٦٦. عبد اللطيف عقل.الأطفال يطاردون الجراد.القدس، ١٩٧٦، ص ٦٣.

١٢٧- ابراهيم العلم. المصدر أعلاه، ص ٦٧.

١٢٨- عبد اللطيف عقل. حوارية الحزن الواحد. القدس، ١٩٨٥، ص ص٢٥ -٢٦.

Digitized by Birzeit University Library

١٢٩- محمد شحادة. سوف أبقى.... ص ص٨٠-٨٢.

١٣٠- سنابل العشق...، ص ٢٤. البيادر، العدد (٥) تموز، ١٩٧٨، ص ١٩.

١٣١- راجح السلفيتي. المصدر المذكور، ص ٣٨.

١٣٢- انظر: سميح فرح. المخيم. القدس، ١٩٨٥، ص ص ٨١-٩٣.

١٣٣- انظر: عبد اللطيف عقل. حوارية الحزن ....ص ص ٥٥-٧٤ وما بعدها.

١٣٤- ف.إ.ليونين. المنظمة الحزبية والأدب الحزبي.- في المؤلفات الكاملة. المجلد (١٢)، موسكو ١٩٧٢، ص ١٠٤.

١٣٥- خليل توما. أغنيات الليالي....، ص ٢٦.

١٣٦- راجح السلفيتي. مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

١٣٧- الطليعة. العدد (٣٥) ٢ تشرين الثاني، ١٩٧٨، ص ٦. محمد شحاده. أقوى من الجلاد...، ص ١.

١٣٨- الأخبار. بيروت، ١٩٧٤. الطليعة. العدد (٢٤) ١٠ آب، ١٩٧٨، ص ٦. أقوى من الجلاد...،ص ص ٥-٦.

١٣٩- فدوى طوقان. قصائد سياسية...، ص ص ٨١-٨٢.

١٤٠- راجح السلفيتي. المصدر المذكور، ص ص ١٠-١١.

١٤١- محمد شحاده. اقوى من الجلاد...،ص ص١٨-٢٠.الاتحاد. حيفا، أيار، ١٩٧٦. فلسطين الثورة. كانون الثاني، ١٩٧٥. جميل السلحوت ومحمد شحادة.صور من الأدب الشعبي الفلسطيني. القدس، ١٩٨٢، ص ص٣٠-٣١.

١٤٢- المتوكل طه. المصدر المذكور، ص ١٧٥.

١٤٣- محمد شحاده. أقوى من الجلاد...، ص ١٩. فلسطين الثورة. كانون الثاني، ١٩٧٥. الاتحاد. أيار، ١٩٧٦.

١٤٤- الكاتب. العدد (٤٠) آب، ١٩٨٣، ص ١١٣.

١٤٥- فوزي البكري. مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

١٤٦- ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني....ص ١٤٢.

١٤٧- عبد اللطيف عقل. الأطفال يطاردون....ص(١١٢ -١١٦). علي الخليلي. شروط وظواهر....ص ٢٠٧. البيادر. العدد (٢) أيار، ١٩٧٦، ص ص١٠-١١.

١٤٨- فوزي البكري. المصدر المذكور، ص ص ٩٧-٩٨،١٠٩.

١٤٩- ف.إ.ليونين. رسالة إلى غوركي ٢٥ شباط ١٩٠٨. - في المؤلفات الكاملة. المجلد ٤٧. موسكو، ١٩٧٣، ص ١٤٣.

١٥٠- على الجريري. المصدر المذكور، ص ٨٣.

١٥١- توفيق الحاج. سنابل العشق...، ص ٢٥.

١٥٢- الكاتب. العدد (٦٤) آب، ١٩٨٥، ص ١٢٣.

١٥٣- المصدر أعلاه.العدد (٤٥) كانون الثاني، ١٩٨٣، ص ١١٥.

١٥٤- عطا الله قطوش. مصدر سبق ذكره، ص ص ٨٢،٨٣،٨٤.

١٥٥- خليل توما. أغنيات الليالي...، ص ٥٥.

١٥٦- راجح السلفيتي. المصدر المذكور، ص ٤٤.

١٥٧- فوزي البكري. مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

١٥٨- محمد شحاده. اقوى من الجلاد...، ص ١٢.

١٥٩- البيادر. العدد (٢) نيسان، ١٩٧٦، ص ٢٦.

١٦٠- سميح فرح. عباءتي موج البحر وقال. القدس، ١٩٨١، ص ص ٩٢-٩٣. إبراهيم العلم. الشعر الفلسطيني...، ص ٦٩.

١٦١- محمد شحاده. أقوى من الجلاد...، ص ص ٧-٨،٢١-٢٢.

١٦٢- أسعد الأسعد. كلمات عن البقاء...، ص ٣٥. علي الخليلي: شروط وظواهر...، ص ١٩٦. وله أيضا: القصيدة الفلسطينية...،ص ٣٨. البيادر. العدد (١) آذار، ١٩٧٦، ص ٣٤.

١٦٣- الفد. العدد (٦) تموز، ١٩٧٦، ص ٢١.

١٦٤- حسين جميل البرغوثي. مصدر سبق ذكره، ص ص ٥١-٥٤.

١٦٥- عبد اللطيف عقل. حوارية الحزن الواحد...، ص ٢٣، العودة. مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

١٦٦- عبد الناصر صالح. خارطة للفرح. القدس، ١٩٨٦، ص ٦.

١٦٧- أسعد الاسعد. الميلاد في الغربة...، ص ص ١٧-١٨.

١٦٨- خليل توما. نجمة فوق بيت لحم...، ص ٥٧. حسين جميل البرغوثي. المصدر المذكور، ص ٤٩.

١٦٩- خليل توما. أغنيات الليالي...، ص ٧.

١٧٠- خليل توما. تعالوا جميعا. القدس، ١٩٨٣، ص ص ٣٠،٣١.

١٧١- علي الخليلي. شروط وظواهر...، ص ١١٤.

١٧٢- فدوى طوقان. قصائد سياسية...، ص ص ٣٤-٣٨.

١٧٣- الكاتب. العدد (٩٥) آذار، ١٩٨٨، ص ص ٨٧-٨٩.

١٧٤- المصدر السابق، ص ص ٩٣-٩٤.

١٧٥- نفس المصدر، العدد (٩٦) نيسان، ١٩٨٨، ص ص ٨٦-٨٨. ولمزيد من التفاصيل حول أشعار الانتفاضة، انظر: نفس المصدر السابق، ص ص٨٩-٩٢. وكذلك: مقاليع. القدس، ١٩٨٨.

Digitized by Birzeit University Library

(ملحق بأسماء الشعراء والمجموعات التي صدرت لهم بعد العام ١٩٦٧ وحتى أواخر عام ١٩٨٥):

- سليمان أبو عوده. بكاء الجزارين. غزة، ١٩٧٩.
- حسن أبو لبده. تضاريس في الذاكرة. نابلس، د.ت.
- أحمد عبد أحمد. معلقات على جدران الهزيمة. القدس، ١٩٧٣.
- سامي إدريس. الرحيل إلى مرافىء الغيم. طولكرم، ١٩٧٧.
- أسعد الأسعد. أنت أنا، القدس والمطر. عكا، ١٩٨٠.
- أسعد الأسعد. كلمات عن البقاء والرحيل. رام الله، ١٩٧٧.
- أسعد الأسعد. الميلاد في الغربة. القدس، ١٩٧٥.
- محمد الأسمر. ليل الغرباء متى ترحل. القدس، ١٩٧٩.
- خليل توما. أغنيات الليالي الأخيرة. القدس، ١٩٧٥.
- خليل توما. نجمة فوق بيت لحم. القدس، ١٩٧٧.
- نبيل الجولاني. شظايا ولهب. القدس، ١٩٧٦.
- توفيق الحاج. سنابل العشق. القدس، ١٩٨٠.
- يوسف حامد. الأسد يغتسل بلونه. رام الله، ١٩٨٠.
- سميرة الخطيب. القرية الزانية. القدس، ١٩٧١.
- علي الخليلي. تكوين للوردة. تونس، ١٩٨٠.
- علي الخليلي. جدلية الوطن. بيروت، عكا، ١٩٧٥، ١٩٧٨.
- علي الخليلي. الضحك من رجوم الدمامة. القدس، ١٩٧٨.
- علي الخليلي. نابلس تمضي إلى البحر. بيروت، عكا، ١٩٧٩، ١٩٨٠.
- محمد الريشه. الخيل والأنثى. د.م.ن، ١٩٨٠.
- محمد شحاده. سوف أبقى. القدس، ١٩٧٩.
- سميرة الشرباتي. قصائد بحث عن رفيق مسافر. القدس، ١٩٧٦.
- سميرة الشرباتي. كلمات للزمن الآتي. القدس، ١٩٧٧.
- عبد الناصر صالح. داخل اللحظة الحاسمة. د.م.ن، ١٩٨٠.
- عبد الناصر صالح. الفارس الذي قتل قبل المبارزة. عكا، ١٩٨٠.
- فدوى طوقان. أعطنا حبا. بيروت، ١٩٧٤.
- فدوى طوقان. أمام الباب المغلق. بيروت، ١٩٧٤.
- فدوى طوقان. ديوان فدوى طوقان. بيروت، ١٩٨٠.
- فدوى طوقان. على قمة الدنيا وحيدا. بيروت، ١٩٧٣.
- فدوى طوقان. قصائد سياسية. عكا، ١٩٨٠.
- فدوى طوقان. الليل والفرسان. بيروت، ١٩٦٩.
- فدوى طوقان. وجدتها. بيروت، ١٩٧٤.
- فدوى طوقان. وحدي مع الأيام. بيروت، ١٩٧٤.
- محمود عوض عباس. أنغام ذات إيقاع حاد. القدس، ١٩٧٧.

Digitized by Birzeit University Library

- محمد عبد السلام. خواطر من الزنزانة. د.م.ن، ١٩٧٦.
- عبد اللطيف عقل. الأطفال يطاردون الجراد. القدس، ١٩٧٦.
- عبد اللطيف عقل. أغاني القمة والقاع. الناصرة، ١٩٧٢.
- عبد اللطيف عقل. قصائد عن حب لا يعرف الرحمة. القدس، ١٩٧٥.
- عبد اللطيف عقل. هي أو الموت. نابلس، ١٩٧٣.
- ليلى علوش. أول الموال...آه. القدس، ١٩٧٥.
- ليلى علوش. سني القحط...يا قلبي. القدس، ١٩٧٢.
- ليلى علوش. الموت والعشق. القدس، ١٩٧٧.
- موسى علوش. أوراق شخصية. رام الله، ١٩٨٧.
- حنان عليان. قصائد بشتى العلل. القدس ١٩٧٨.
- ابراهيم قراعين. بين الحب والحرب. القدس، د.ت.
- محمد قشير. الزانية والطوفان. نابلس، ١٩٨٠.
- للي كرنيك. على أجنحة القمر. القدس، ١٩٧٣.
- للي كرنيك. قطرات شوق فوق رصيف العبور. القدس، ١٩٧٨.
- أديب رفيق محمود. صلوات على مذبح الحياة والموت. القدس، ١٩٧٧.
- عمر مرعي. خفقات قلب. طولكرم، ١٩٧٠.
- مجموعة من الشعراء. الكتابة الدائمة بالدم. القدس، ١٩٧٧.
- وليد الهليس. الذهاب مبكرا إلى الموت. رام الله، ١٩٨٠.
- لطفي الياسيني. زهور وأشواك على الدرب. القدس، ١٩٧٣.
- منير براهيم. لواحدة هي أنت. القدس، ١٩٨١.
- فوزي البكري. صعلوك من القدس القديمة. الناصرة، ١٩٨٢.
- رفيقة جمال الحسيني. زهرة من القدس ثائرة. القدس، ١٩٨٢.
- ماجد الدجاني. احبك حتى الهزيع الأخير. رام الله، ١٩٨١.
- عبد الرحمن الريماوي. من أغاني العمر. القدس، ١٩٨١.
- عبد الرحمن الريماوي. أصداء لحن ثائر. عمان، ١٩٨١.
- د. جمال سلسع. جمرات متوقدة في أرض الأشجان. القدس، ١٩٨١.
- محمد شريم. ترانيم للزنابق الفلسطينية. القدس، ١٩٨٢.
- راضي عبد الجواد. أغاني الشمس والزيتون. القدس، ١٩٨١.
- عبد الله عواد. حبيبتي تنزف دمها. د.م.ن، د.ت.
- سميح فرج. عباءي موج البحر وقال. القدس، ١٩٨١.
- عدنان الصباح. درب الخبز والحديد. ب.م.ن، ١٩٨١.
- عطا الله قطوش. كنعان يقرع الأجراس. القدس، ١٩٨١.
- سامي كيلاني. وعد جديد لعز الدين القسام. القدس، ١٩٨٢.
- محمد أبو لبن. أيام منسية خلف القضبان. القدس، ١٩٨٣.
- خليل توما. تعالوا جميعا. القدس، ١٩٨٣.
- مهند الجوهري. إلى حبيبتي. نابلس، ١٩٨٣.

Digitized by Birzeit University Library

- علي الخليلي.	انتشار على باب المخيم. عمان، ١٩٨٣.
- عدنان ضميري.	نقطة التماس. نابلس، ١٩٨٣.
- بسام فيضي.	الأيام وربيع الحرية. نابلس، ١٩٨٣.
- عادل محمد.	عاشق الأرض. د.م.ن. د.ت.
- أحمد غازي النمري.	ألحان الغروب. القدس، ١٩٨٣.
- أحمد سفاريني.	جراح في زمن العهر العربي. نابلس، ١٩٨٣.
- ماجد أبو غوش.	صباح الوطن. القدس، ١٩٨٤.
- فياض الجبشة.	الموت في عز الظهيرة. القدس، ١٩٨٤.
- حسين جميل البرغوثي.	الضفة الثالثة لنهر الأردن. القدس، ١٩٨٤.
- رفيقة جمال الحيسني.	أعماق ذاتي. القدس، ١٩٨٤.
- علي الخليلي.	وحدك ثم تزدحم الحديقة. القدس، ١٩٨٤.
- عبد الرحمن الريماوي.	ومهما....طالت المأساة. القدس، ١٩٨٤.
- محمد علي الشيخ.	أحبك رغم الذي يفعلون. القدس، ١٩٨٤.
- ماهر عوده.	الطوفان. القدس، ١٩٨٤.
- عيسى قراقع.	زغاريد البلابل المقيدة. د.م.ن. د.ت.
- أديب رفيق محمود.	أحلام الدائرة الصغيرة. الناصرة، ١٩٨٤.
- أسامة النتشة.	أغنية قبل السفر. د.م.ن، ١٩٨٤.
- د. جمال سلمع.	سر الفداء. د.م.ن، ١٩٨٤.
- محمد شريم.	صدى الوطن. القدس، ١٩٨٥.
- سميح فرج.	المخيم ... انشودة الإعصار. القدس، ١٩٨٥.
- عادل محمد.	من وراء القضبان. القدس، ١٩٨٥.

ملاحظة: عند ثبت الملحق لم نتبع الأبجدية بل اعتمدنا التسلسل الوارد في المراجع المذكورة أدناه.

المراجع

١- حسين غيث. البيبليوغرافيا الفلسطينية في الوطن ١٩٦٧ - ١٩٨٠. القدس، ١٩٨١.
٢- حسين غيث. البيبليوغرافيا الفلسطينية في الوطن ١٩٨١ - ١٩٨٢. القدس، ١٩٨٣.
٣- حسين غيث. البيبليوغرافيا الفلسطينية في الوطن ١٩٨٣. القدس، ١٩٨٤.
٤- حسين غيث. البيبليوغرافيا الفلسطينية في الوطن ١٩٨٤. القدس، ١٩٨٥.
٥- حسين غيث. البيبليوغرافيا الفلسطينية في الوطن ١٩٨٥. القدس، ١٩٨٦.

Digitized by Birzeit University Library

فضاء الأغنيات
مطولة المتوكل طه
واللغة الشعرية الحادة

د. ابراهيم العلم

قلما يطول النفس الشعري لدى شعراء فلسطين، الا في مواقف المواجهة حين تتصدى الجماهير لمؤامرة تهدف الى المس بوجودها على أرضها أو الى تفويت فرصة لنيل الحرية واسترجاع الوطن. فقد قرأنا عقب ثورة سنة ١٩٣٦ مطولة أبي سلمى الشعرية التي مطلعها:

انشر على لهب القصيد شكوى العبيد الى العبيد

وفيها تنديد بالأنظمة العربية التي تآمرت عليها وتواطأت مع الاستعمار البريطاني للنيل من انجازاتها، وطالعتنا مطولة وديع البستاني الشعرية التي استهلها بقوله:

خطب يعم ولما يغضب العرب الله أكبر بعد اليوم ان غضبوا

وقد تخللت هاتين المطولتين أنفاس ملحمية لأنهما عبرتا عن نضال شعب يطالب الغاصب بالحرية ويسعى الى بناء الدولة المستقلة.

ولاحظ الدكتور عبد الرحمن ياغي (١) أن المطولات الشعرية كانت ذات طابع ديني في مستهل القرن العشرين ثم انتقلت الى ميدان الحياة.

وممن كتب في المطولات الشعرية الوطنية أبو الاقبال سليم اليعقوبي وجعل عنوان مطولته "النظرات السبع". وقد نشرها سنة ١٩٢٣ وهي السنة التي شهدت احدى ثورات الشعب الفلسطيني في وجه الاستعمار والاستيطان الصهيوني، فتناول فيها شذرات من الفكر في قضايا الوطن والقومية العربية والمجتمع.

ولعصام حماد مطولة شعرية نشرها سنة ١٩٥٧ بعنوان "رسالة الى ولدي" وذلك في أثناء ثورة الشعب الفلسطيني الأردني في وجه حلف بغداد حين تآمرت الحكومة وتمبلر ممثل الامبريالية لانفاذه في الأردن. ومطلع هذه المطولة:

يا بني
يا عبير الزهر في روضة عمري
وهديل الطير في أغنانها

Digitized by Birzeit University Library

ثم يعلن في أنفة:

أمسنا الدابر قد ولى وراح
صدئت فيه القيود
بليت فيه الحدود
وهوت فيه السدود

وذلك اشارة الى أن ثورة الشعب العارمة قد حطمت صرح الظلم فطفق الناس يتنفسون نسمات الحرية في سعادة وأمن.

أما محمود درويش فأصدر عقب الاجتياح الاسرائيلي لبيروت سنة ١٩٨٢ مطولة أشاد فيها بالظل العالي الذي رمز به الى المقاومة الفلسطينية ودعاها (مديح الظل العالي).

ولسميح القاسم مطولة أخرى عبر فيها عن همومه وأشواقه ووصل بينها وبين مطامح شعبه فاذا همومه هي هموم شعبه وقد دعاها (سربية الصحراء).

وقد جاءت مطولة (المتوكل طه) الشعرية "فضاء الأغنيات" اضافة جديدة الى شعر المطولات الوطني اذ استدعتها الانتفاضة العارمة التي يخوضها شعبنا دفاعا عن حريته وكرامته. وليس العجب في أنها ذات حدة بل العجب ان تخلو منها، فان المتوكل طه يعرف لمن يتوجه بخطابه الشعري ولمن يصوغ مطولته التي تعرض لتجربة شعبه الحارقة.

فان شعر الانتفاضة رديف ذو شأن في نضال الشعب، يعضد العزائم، ويسند الموجسين المشفقين، ويفحم المرجفين، وكأن المتوكل طه يقول لنا ها ان شعري يقف الى جانب السواعد الرامية يغني بطولاتهم ويذيعها في اعتزاز وصدق، فلا نكوص بهذه الموهبة التي منحتها، اذ لا خير فيها اذا أحجم شعري عن المشاركة في تصديكم للعدو، فان المصير واحد!

بيد أن الجدير بالذكر أن تغليب السياسي على الأدبي في الشعر يخفت من تأثيره ويضعف الانفعال به، ولهذا حاول المتوكل طه أن يتخفف من علو النبرة وسردية الصياغة في بعض المفاصل من مطولته الشعرية.

وقد اعتمد فيها أسلوب المونتاج اذ رآه أقدر على تجسيد تجربته الوطنية وعلى ايصالها الى المتلقي، فعرض فيها لمواقف من النضال الوطني وأعلن من خلال هذه المواقف صمود شعبه في وجه الاحتلال رغم شراسته، وأبرز صورا من التحدي اليومي الضاري كما انعكست على وجدانه فلم يصور تجربة مخصوصة عاناها بمفرده ولم يعالن القارىء بأطواء نفسه الا حين ذكر زوجته وطفلته، على أن حنينه اليهما في سجنه هو الذي دفعه الى شيء من الحديث عن عاطفته نحوهما، وقد كان في مكنته أن يغني الصورة النفسية لتجربته النضالية.

ثم تحول الى قعود الأنظمة العربية عن العمل من أجل تحرير وطنه فاستنكر تخاذلها واستخذاءها، وأبدى رفضه لكل حل لا يحقق طموح شعبه في اقامة الدولة المستقلة، ثم التفت الى وطنه وخاطبه في صورة رمزية ذات دلالة موحية تأكد فيها انتماؤه العميق الى وطنه وانه هاجسه الوحيد في معركة الحرية التي يخوضها شعبه، ذلك ان الاحتلال قد تكشف حتى للأطفال مثلا للشراسة التي لا تعرف حدودا، فقال في هذا المشهد:

يا ويح عمري ان اطفالي ليأليهم جنود
يحطمون الباب بالبارود

Digitized by Birzeit University Library

لا لم يسمعوا الا الرصاص
وولولات الاغتصاب
سرقوا من الشفتين سكرها
وصبوا رعبهم فوق الضفائر

فقد التمعت خلال هذه الأسطر صور حزينة ذات دلالة فتغلغل ايحاؤها عميقا في النفس، ولا سيما قوله "ان أطفالي لياليهم جنود" وقد اختصر الشاعر في هذه الصور تفصيلات واسعة عن سلوك هؤلاء الجنود وهي صورة تنضح بالجدة والابداع معا. وفي قوله "يا ويح عمري" تعبير رقيق ينسجم مع براءة الطفولة وضعفها.

وفي المطولة صور كثيرة لا تنقصها العذوبة ولا الابداع الجمالي - كقوله:

والطرقات يا ربان أطول من سواحلنا
وأقسى من شتات الأهل

انها صورة تصدر عن خصوصية غير مألوفة الا في الشعر الفلسطيني، غير ان في بعض الصور احالة يصعب معها استيحاء دلالتها كقوله:

هل تأمن لهم وهم سبايا العصر؟
حصن خندق الأزهار

فان الصورة في السطر الثاني تنقض دلالة السطر الأول، فذهبت بقدرتها على الايحاء.

وقد بدأ انفعال الشاعر واضحا أيضا في عدم صبره على صوغ الصورة الكلية المتراكبة اذ اقتصر على التصوير الجزئي، ويبدو ان هذا الاسلوب هو طابع شعرنا الفلسطيني الذي يتلظى بنار الانتفاضة كصنيع الجندي الذي يتنقلّ من موقع الى آخر مدفوعا بمقتضيات القتال.

وتكرر في هذه المطولة تعبير قد يبدو غريبا على القاريء العربي وهو حديث الشاعر عن "كذب الرمل" وذلك في قوله:

وأقول هذا الرمل يكذب
لن أصدق غير أطفال الحجارة
والشواهد فوق احلام الشهيد
وجوع من سجنوا طويلا

اذ يبدو الشاعر راسخ اليقين أن سجنه لن يطول وان نظر حوله فلم ير غير الرمل، ما دام الأطفال يناضلون الاحتلال عن الوطن، وما دامت الثورة قائمة مهما تعرضت لعدوانه وقسوته في معتقلاته.

وقد عبر عن هذا اليقين في صورة موحية ذات جدة "وأقول ان هذا الرمل يكذب". وربما وجد فيها القاريء العربي غموضا لأنه يجهل ان معتقل (أنصار ٣) يقع في أرض النقب الصحراوية، وكان ينبغي اضاءة هذا التعبير اضاءة معينة، لأن صورة الرمل أو التراب ذات دلالة مشرقة في الذاكرة العامة .. ويخاطب بعد في الجندي الصهيوني انسانيته التي توارت خلف سلوكه الفظ، فكادت تتلاشى، ثم يعدد ممارساته الشرسة. وربما غشت عيني الشاعر سحابة حزن، الا انه لم يستسلم له بل انتفض يلف صدره الحقد المقدس:

لكنا رفضنا موتك الأحمر

Digitized by Birzeit University Library

ونرفض موتك الأحمر
ولن نمضي (لمسادا)
وسوف تظل خلف رصاصك المجنون
فأطلق منه ما يرضيك
لن يحميك

فقد امتزجت في هذه الأسطر مشاعر الاباء والغضب والسخرية، فان هذا الجندي المحتل سيظل محاصرا حتى وهو يحمل رشاشه ويطلق منه ما يشاء ذات اليمين وذات الشمال. اما الاشارة التاريخية الى (مسادا) فقد ظلت ملحقة بالنص من الخارج فلم تلتحم بعصبه ولم تشع بالايحاء من خلاله، كصنيعه ايضا في الاشارات التاريخية الأخرى. اذ بدت مرادفات لفظية وحسب ويدرك الشاعر أن المحرومين هم الذين يتحدون في الغالب، رصاص الغاصب، ويزج بهم في المعتقلات، فيعلن انتماءه اليهم، وهو موقف طبيعي، قادت اليه خطوات سبقته في المطولة حين تحدث عن نضال الشعب شبانه وشيبه، وبناته ونسائه، وكلهم راض بما قدم لا يطلب عليه أجرا الا حرية الوطن.

كما ان اصرار الشاعر على النضال غير مفصول عن ايمانه بأن الغد المشرق سيكون من نصيب شعبه، اذ بعد ان عدد كثيرا من مواقع النضال في الأرض المحتلة رمزا للنهوض الجماهيري الواسع، صاح مبتهجا:

كلها تمضي قوافل
في دروب الانتفاضة
غيمة تمضي لغيمات وترعد
صرخة البعث الرهيب
زلازل
طوفان نار
أو براكين تهدر
من سيوقفها ستخسفه!

غير أنه اذ أعلن افلاس الأنظمة العربية لم يعف الأمة العربية من مسؤولية التصدي للاستعمار، فان هذا العصر عصر الشعوب وقد اجترحت المعجزات بنهوضها العملاق في وجه الظلم فقال فيها مستنكرا ساخرا:

قد علمت بأن أمتنا
أضاء سراجها ليل السبيل
ولم تعلمني المدارس
أن أمتنا التي تحت النعال تحط هامتها

فقد تحدثنا طويلا عن القيود التي تغل ارادتها، وآن لنا أن نطالبها بكسر القيد الذي يقدمه شيوخ النفط وأن تفتح العين على مصيرها التعس، فقد تخلل الأسطر عاطفة ألم ممض، اذ يبدو ان الشاعر كان خاضعا للانفعال الشديد في أثناء كتابتها، على أن الشعر يقوم على الايحاء لا السرد الاخباري كي يمتد تأثيره طويلا في المتلقي .. اذ صيغت مقاطع عدة في هذه المطولة صياغة

Digitized by Birzeit University Library

تقريرية، وطغت عليها لغة حادة وجهارة، أقرب الى الخطابة منها الى الايحاء الشفيف .. الا ان توجهه بالخطاب الى امرأته ومناجاة ابنته ما لبث ان طامن من ارتفاع الايقاع اذ تسربل التعبير في هذين الموقفين بصور مؤثرة.

ويدرك مسؤوليته الوطنية في مساعدة القيادة الفلسطينية على توجيه دفة الصراع السياسي فيخاطبها مستخدما رمز الربان اشارة اليها:

لن يأتوك الا ان رأوا سيفك
ولن يأتوك ان ظنوا
بأنك سائر وحدك

اذ يدرك المتوكل طه وهو المناضل الوفي لشعبه، أن القوة وحدها هي التي ستدفع عجلة الحرية الى أمام، وأن العمل الجماعي هو المنهاج السديد لبناء الوطن، لأن الفردية والأثرة مصيرهما الى الاخفاق مهما بلغت شجاعة المرء ..

الا أن الهم الوطني الذي يسكن وجدانه غير مفصول عن الشعور الانساني العام مما جعل لتجربته بعدا انسانيا، ففي خطابه للجندي الاسرائيلي يقول:

يا أيها المحتل
ماذا قد تقول لابنك المولود
"اني قد ذبحت شبيه عمرك يوم أمس"
وتقول لابنتك الصغيرة
"يا فتاتي قد قتلت طفيلة عربية
وترنحت لما تفجر رأسها"
وتقول لابن أخيك
"اني قد نسفت اليوم بيتا
كالذي فيه تنام".

اذ يحاول المتوكل طه أن يوقظ مكامن الحس الانساني في هذا الجندي أداة الاحتلال، لعله أن يستثيره، لأن رابطة الانسانية هي التي ينبغي ان تجمع بني البشر بعدما باعدت بينهم المطامع وفرقهم رجس الأهواء. ومن الملاحظ في وضوح أن التزام القضية الوطنية اقترن لدى الشعراء المبدعين بموقف انساني جاد. ولعل هذا التوجه الى الجندي الاسرائيلي يذكرنا بصنيع معين بسيسو ومحمود درويش حين كتبا قصيدة واحدة وألقيت كمنشور سياسي على الجنود الاسرائيليين وقد خاطبا فيها انسانية الجندي الغازي وأثارا وعيه الى المهمة الاستعمارية التي يقوم بأدائها ..

ولا بد من الاشارة الى أن هذا العرض مدخل وحسب الى هذه المطولة فضلا عن أنه تحية للمتوكل طه، فقد كتبها داخل معتقل النقب واستطاع أن يقدم نصا فنيا جميلا رغم الحر الشديد نهارا والبرد القارس ليلا ورغم الجوع والعطش والأمطار التي كثيرا ما حولت خيمته التي كان ينام فيها الى بركة صغيرة ..

(١) حياة الادب الفلسطيني، ط ٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة ١٩٨١، ص ٢٢٩.

Digitized by Birzeit University Library

بمناسبة الذكرى الثلاثين بعد المئة لميلاد انطون تشيخوف

سفيتلانا ايفانوفا

ولد الكاتب الروسي العظيم انطون تشيخوف في ٢٩ كانون الثاني (يناير) عام ١٨٦٠ في مدينة تاغانروغ في جنوب روسيا.

" .. تشيخوف! .. انه بوشكين النثر"، هكذا تنبأ ليف تولستوى بخلود الكاتب، مع ان تشيخوف نفسه قدر عمله ككاتب تقديرا أكثر تواضعا اذ قال:" لن تقرأ مؤلفاتي لمدة أطول من سبع سنوات بعد وفاتي".

لكن العقود المنصرمة تقربنا الى تشيخوف والى ايمانه بالسعادة والخير والعدالة، وليس عبثا أن قصصه القصيرة، التي جمعت فيها موسوعة ضخمة من الحياة الروسية في أواخر القرن التاسع عشر، تقرأ في العديد من بلدان العالم، ان المقالات والكتب الاجنبية عن تشيخوف وترجمات مؤلفاته الى اللغات واداء مسرحياته في الخارج، ان كل ذلك يعطى تصورا واضحا عن دور تشيخوف في تطور الأدب والفن العالميين للقرن العشرين.

فيم تكمن القوة الفائقة لابداع تشيخوف وسر شعبيته في أيامنا؟ ان مؤلفاته تجيب عن هذا السؤال.

كيف كان تشيخوف؟ ان كاميرات معاصريه تساعدنا على أحياء صورة الاديب.

نقدم لكم سيرة فريدة للكاتب الروسي العظيم أنطون تشيخوف عبر الصور الفوتوغرافية. وهي لا تؤلف سوى جزء قليل من المواد الفوتوغرافية الواسعة التي تصان بحرص في متاحف بلادنا.

Digitized by Birzeit University Library

بعد التخرج في مدرسة تاغانروغ الكلاسيكية وصل تشيخوف البالغ من العمر ١٩ سنة الى موسكو وانتسب الى كلية الطب بجامعة موسكو. لقد فتنته المدينة الروسية العريقة بكرملينها الجليل وشوارعها وساحاتها. وقال في ذلك الحين: "إنني موسكوفي الى الابد".

أصبح تشيخوف وهو في الثلاثين من العمر كاتبا معروفا في روسيا. وقد منح جائزة بوشكين لاكاديمية العلوم لقاء مجموعة قصص بعنوان "الغسق". سوف يقول فيما بعد: "يجب على الانسان ان يشتغل، أن يعمل بعرق جبينه مهما يكن، وفي هذا وحده يمكن مغزى حياته وهدفها، وسعادته وفرحه".

في ذلك العام السعيد بالذات (١٨٩٠) اتجه تشيخوف طوعا، وقد صار أديبا مشهورا، في الطريق الصعب عبر سيبيريا كلها الى جزيرة المنفيين "ساخالين" وهدفة الوحيد مساعدة المساكين الذين حكم عليهم بالاشغال الشاقة. لم يفهم كثيرون معنى هذا الفعل لتشيخوف. وقد ترك السفر الى ساخالين أثره السلبي على صحة الكاتب. ورافق مرض السل بعد ذلك تشيخوف حتى آخر أيامه.

بعد السفر الى ساخالين كان تشيخوف يشكو من صحته غالبا. كان يقول مازحا انه تقشر مثل دولاب قديم، ولكن هذه المزحة دلت على حالة من القلق جديدة على تشيخوف. وقرر مغادرة موسكو فاشترى ضيعة صغيرة في قرية ميليخوفو القريبة من موسكو. عاش في ميليخوفو سبعة أعوام. هنا ظهرت مؤلفات تشيخوف الشهيرة: مسرحيتا "النورس" و "الخال فانيا" وروايات "غرفة رقم (٦)"، "حياتي"، "الراهب الاسود" وكتابه "جزيرة ساخالين" والعديد غيرها. واشتغل تشيخوف طبيبا في ميلخوفو بدون مقابل نظرا لانتشار وباء

انطون تشيخوف
موسكو عام ١٨٨٣

في موسكو
عام١٨٩٣

تشيخوف
(الى اليسار)
مع شقيقه
نيكولاي
الفنان التشكيلي
موسكو عام١٨٨٣

تشيخوف،
فيودوسيا
عام ١٨٨٨

Digitized by Birzeit University Library

الكوليرا وهو يخدم ٢٦ قرية قريبة بالاضافة الى ٤ معامل وديز. وكان غالبا ما يردد قائلا: "يسعدني انني لا امارس مهنة الطب من أجل كسب الرزق".

في عام ١٨٩٢ عرضت أول مسرحية له "الخال فانيا" على خشبة المسرح الفني في موسكو.

في عام ١٩٠٠ احتفل تشيخوف بعيد ميلاده الاربعين. وتم انتخابه عضوا مشرفا في أكاديمية العلوم فرع اللغة والآداب. ولكنه رفض لقب الاكاديمي بعد عامين حين اعتبرت الاكاديمية انتخاب مكسيم غوركي عضوا مشرفا لها لاغيا.

في حزيران عام ١٩٠٤ غادر تشيخوف مع زوجته الى مصح بادن فايلر نظرا لتردي حالته الصحية. وفي ليلة ٢ تموز (يوليو) شعر تشيخوف بضعف شديد. وقال للطبيب انه يموت ولا داعي لارسال احد ما كي يأتي بالأوكسجين لأنه سيتأخر حتما. وأمر الطبيب باعطاء الكاتب كأس شمبانيا. تناول تشيخوف الكأس ونظر الى زوجته، كما تتذكر هي:"وابتسم إبتسامته المدهشة قائلا: من زمان لم أشرب الشمبانيا. وشرب الكأس كله بهدوء، ورقد على جانبه الأيسر في اطمئنان وبعد قليل سكت الى الأبد..." وكان حينذاك في الرابعة والاربعين من عمره.

في يالطا مرت الأعوام الأخيرة لتشيخوف. كان يأتي الى هنا أصدقاؤه والضيوف من الخارج. كما جاءت اليه أسرة المسرح الفني كي تؤدي أمامه مسرحيتي "النورس" و "الخال فانيا". ودلت هذه الجولة الفنية الى يالطا على أن تشيخوف قد شغل مركز الكاتب المسرحي الأول في روسيا.

بتصرف
عن مجلة المرأة السوفييتية
العدد (١) يناير/ ١٩٩٠

قصة لانطون تشيخوف

الدكتورة

استدعيت منذ أيام الى مكتبي مربية اطفالي يوليا لمحاسبتها.

قلت لها:- إجلسي، يوليا. تعالي نتحاسب. لعلك تحتاجين الى نقود، وأنت من النوع الذي لا يطلب بنفسه ... حسنا ... لقد اتفقت معك على ثلاثين روبلا في الشهر ...

- اربعين...

- كلا، ثلاثين ... هذا مسجل عندي ... أنا أدفع دوما للمربيات ثلاثين في الشهر. أقمت شهرين...

- شهرين وخمسة أيام ...

- شهرين بالتمام ... هكذا مسجل عندي. أي ينبغي أن يدفع لك ستون روبلا ... نخصم تسعة أيام أحد ... فأنت لم تشتغلي مع كوليا في أيام الأحد، بل تنزهت فقط ... وثلاثة أعياد ... توردت يوليا، ولكنها ... لم تنبس ببنت شفة!

- ثلاثة أعياد ... نطرح، بالتالي، اثنى عشر روبلا ... مرض كوليا أربعة أيام ولم تكن حالته تسمح بالدروس ... ثلاثة أيام المتك اسنانك، فسمحت لك زوجتي بعدم الشغل بعد الغداء ... اثنا عشر وسبعة - تسعة عشر. تخصم ... فيبقى ... واحد واربعون روبلا ... صحيح؟

إحمرت عين يوليا اليسرى وامتلأت دموعا. وارتجفت نقنها. سعلت بعصبية، ولكنها ... لم

Digitized by Birzeit University Library

تنبس ببنت شفة!

- قبيل رأس السنة كسرت فنجانا. نخصم روبلين. الفنجان أغلى، ولكن ... سامحك الله. ثم بسبب اغفالك صعد كوليا على الشجرة ومزق سترته ... نخصم خمسة عشر. يجب أن تنظري إلى كل شيء. فانت تتلقين نقودا ... في العاشر من كانون الثاني (يناير) أخذت مني عشرة روبلات ...

همست يوليا:- لم آخذ.

- ولكنها مسجلة عندي!

- حسنا ... فليكن.

- نخصم من الواحد والاربعين سبعة وعشرين

- يبقى أربعة عشر ...

امتلأت كلتا عينيها بالدموع ... قالت بصوت متهدج:

- لم آخذ إلا مرة واحدة. أخذت من عقيلتك ثلاثة روبلات ... لم آخذ بعد ذلك ...

- نعم؟ هذا غير مسجل عندي! نخصم ثلاثة أيضا، يبقى أحد عشر ... إليك نقودك، يا عزيزتي! ثلاثة ... وثلاثة وثلاثة، واحد وواحد ... استلمي!

وأعطيتها أحد عشر روبلا ... أخذتها بأصابع مرتجفة ودستها في جيبها. وهمست:- شكرا.

فقزت وسرت في الغرفة. استولى علي الغضب. سألتها:

- علام الشكر؟

- على النقود.

- ولكنني سلبتك، نهبتك! سرقت منك! فعلام الشكر؟

- في أماكن أخرى لم يعطوني شيئا على الاطلاق ....

- لم يعطوك؟ ليس في هذا ما يدعو الى الدهشة. مزحت معك، لقنتك درسا قاسيا ... سأعطيك الثمانين التي تستحقينها. لماذا لا تحتجين؟ لماذا تسكتين؟ وهل يمكن للمرء أن يكون بلا أسنان في هذه الدنيا؟ هل يمكن له أن يكون رخوا هكذا؟

إبتسمت ابتسامة صفراء وقرأت في وجهها: "يمكن!".

طلبت منها المعذرة على الدرس القاسي، ولدهشتها الشديدة أعطيتها الثمانين كلها. شكرتني بوجل وخرجت ... نظرت في اثرها وفكرت: من السهل أن يكون المرء قويا في هذه الدنيا!.

نبيل الجولاني
و
قصائد عن حب يتجدد

صدر عن منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة والقطاع ديوان شعر جديد للشاعر نبيل الجولاني بعنوان « قصائد عن حب يتجدد ». يقع الديوان في (٩٠) صفحة من القطع الصغير واحتوى على (١٧) قصيدة وعدة رسومات داخلية، وصمم الغلاف الفنان كريم دباح.

Digitized by Birzeit University Library

الثقافة ومكانة السينما فلسطينيا؟!

سفيان الرمحي

ان المهرجان الثقافي - الحدث - الذي عقد اخيرا في القاهرة لتدعيم واكبار الثقافة الفلسطينية على كافة اشكالها (كتاب قصة - رواية، الشعراء، الرسامين، السينمائيين، المسرحيين...الخ).

وما واكب هذا الحدث من اهتمام عبر الصحافة، اثار حقا حماسا وشكل دفعة أمل للمراقب البعيد خاصة الموجود في الخارج، واكثر ما استرعى انتباهي وزاد حماستي ما كتبه السيد أسعد الاسعد تحت عنوان "ايام فلسطين الثقافية شعب كهذا يستحق الحياة" وعندما انتهيت من قراءة هذه المقالة شعرت برغبة بل اصابني احساس بالكبت والقهر، لأنني شعرت ان السينما الفلسطينية حقا انها يتيمة؟!

رغم ان السينمائيين الفلسطينيين الذين اختفوا كانوا قد كرموا.. لكن جرأة الاسعد وموضوعيته ورياديته في ان يضع الاصبع على المكان المؤلم حقا كان رائعا، فعندما يقول "... اذ لا يزال الحديث والاهتمام في حياتنا الثقافية يدور حول نفس الاسماء.. الى حد يبدو وكأن الساحة الثقافية تخلو من غير هؤلاء..." واضيف على هذه الفكرة الجريئة بل الهامة جدا واقول لك يا اخ اسعد، لو تعرف الحقيقة اكثر، عندما يكون بعض هؤلاء المثقفين يمسك المسؤولية فيا رحمة على ايام الحجاج؟! "لربما" ابالغ...

كذلك وهنا بيت القصيد ان الحياة الثقافية الفلسطينية ليست فقط الكلمة المكتوبة وليست فقط الشعراء والكتاب وفقط... انما هناك اشكالا تعبيرية وفنية لم تعط حتى الآن العناية المطلوبة والتركيز المطلوب، واقصد بذلك "الفن السابع" ولا ادري في الحقيقة ما هي الاسباب الكامنة وراء تهميش السينما والسينمائيين الفلسطينيين، رغم اننا نعيش في مرحلة الانفجار العالمي لوسائل الاتصالات ويتسم نهاية هذا القرن بصعود السينما والفيديو، الا عندنا، واعتقد انه لا يختلف معي احد بأهمية السينما والفيديو كشكل ثقافي ان احسن استعماله وتوجيهه فانه يقوم بدور هائل في دعم القضايا الانسانية والجمالية ومن اكثر الاشكال التعبيرية فعالية في التعبير وتقديم الفكر

Digitized by Birzeit University Library

بأفضل وأسرع وسيلة وتأثيره مباشر وسريع.

ان التساؤل الذي اطرحه واستغربه هو لماذا لا يوجد سينما فلسطينية على مستوى بقية الاشكال التعبيرية الاخرى؟ ولماذا لا تصل السينما الفلسطينية لنفس المستوى التي تصله الاشكال الاخرى، من الاهميه والاعتبار والتعامل؟ كذلك، ما هو السبب في عدم وجود سياسة سينمائية او خطة سينمائية فلسطينية. ولماذا لا يصرف على السينما كما يصرف على عشرات المجلات والدوريات..الخ. انني كسينمائي فلسطيني ملتزم، ادفع الثمن الغالي بل ضمن المعطيات الحالية لا المس اي امكانية متوفرة امامي كي اساهم في انتاج واخراج اي فيلم سواء قصيرا أو طويلا، وثائقي او روائي.

انني اقدم هذه الملاحظات واريد أن الفت الانتباه لأهمية اعادة الاعتبار لهذا الشكل الفني ، واسوق هذه الملاحظات ايضا. وكلي امل على ان تتوفر لي فرص اخرى للحديث عن السينما والنتاج السينمائي الفلسطيني لاحقا..

١) ان السينما الفلسطينية شهدت عصرها الذهبي في مرحلة السبعينات وكانت من اكثر الاشكال التعبيرية حضورا عند الفلسطينيين وكادت ان تكون رائدة على الصعيد العربي ودول العالم الثالث خاصة في مجال انتاج الفيلم الوثائقي - النضالي. حيث انتجت كمية متقدمة من الافلام واثارت حولها اهتمامات واسعة فلسطينيا وعربيا ودوليا.

٢) انه ومنذ فترة نهاية السبعينات ومرحلة الثمانينات وتحديدا بعد ١٩٨٢، اكثر الاشكال الاعلامية الفلسطينية تأثرت كانت السينما الفلسطينية، بل تكاد ان تكون قد اصيبت بشلل جزئي بسبب التطورات السياسية في تلك المرحلة.

٣) ان العاملين في السينما الفلسطينية تشتتوا واضعفوا ولم يحاول اي كان ان يجمع ويطور ويعيد الحيوية للعاملين في مجال السينما الفلسطينية، وحتى هذه اللحظة لا يوجد جهاز يجمع السينمائيين الفلسطينيين ويتبناهم.

٤) لعدم توفر جهة حقيقية وفعالة لتطوير الفن السينمائي بالشكل المطلوب، ولان مصير السينمائيين الفلسطينيين غير واضح، ومن يقرر امورهم المباشرة بعيدا عنهم، بمعنى، انه لا يتوفر اي مسؤول سينمائي في موقع المسؤولية بالنسبة للسينما، ومن يقرر ذلك بعيدا كل البعد عن السينما واقل اهتماماته، حيث لا يتعامل مع هذا الفن الا من منظور ضيق وضمن نظرة معينة بعيدة عن تفهم لحساسيات ومشاعر الفنان وخصوصية السينما. كفن وصناعة (تكنولوجيا).

٥) لتبرير ذلك يردد البعض بأنه لا يوجد سينمائيون فلسطينيون مبدعون وبالتالي، فمن الافضل الاستعانة بسينمائيين غير فلسطينيين ويلاحظ بأنه توضع كافة التسهيلات والمجالات امام السينمائي غير الفلسطيني (ميزانية، تسهيل مقابلة المسؤولين، والاعتبار المعنوي) بينما السينمائي الفلسطيني لا يعامل بنفس الاسلوب ويتحمل كافة انواع الممارسات "الفوقية" والافرازات المكبوتة والمتخلفة وطريقة تعامل غير مناسبة ولائقة.

كذلك، يقدم تبرير أخر وهو ان الافضلية تكون للأفلام المصورة في الداخل. وبما ان السينمائي الفلسطيني الملتزم وبطبيعة الحال لا يستطيع الذهاب الى الوطن، فالنتيجة اذا معروفة خاصة وأن مفهوم السينما لا يزال عندنا هو الفيلم الوثائقي ولا تزال الروائية السينمائية غير موجودة.

ان هذه الملاحظات، او الصيحة والتي شجعني عليها اسعد الاسعد عن مجال حديثه للمهرجان الثقافي الذي نظمته دائرة الثقافة في م.ت.ف. وبمبادرة رئيس الدائرة الاخ عبد الله

Digitized by Birzeit University Library

حوراني أقول هذه الطريقة للفت الانتباه والدفاع عن فكرة تشجيع وبناء سينما فلسطينية متقدمة واتساءل لماذا يا ترى لم يقدم وسام تشجيع للممثل محمد بكري والمخرج السينمائي ميشيل خليفة، ان تكريم الشهداء والراحلين مهم جدا ويكون من الاهمية ايضا تشجيع الاحياء منهم.

اليس حقا من الملفت للانتباه ان بعض السينمائيين الفلسطينيين كان لهم دور مهم في تطوير السينما المصرية في فترة الثلاثينات والاربعينات، وأخص بالذكر الاخوة لاما! ثم اليس غريبا ان بعض المدن الفلسطينية كانت من المدن القليلة في الكرة الارضية التي اختارها مخترعو الكاميرا لخدمة التصوير وهما الاخوة ليمبير الذين التقطوا صورا رائعة ليافا والقدس في نهاية القرن الماضي والان لا يستطيع السينمائي الفلسطيني ان يلتقط مشهدا لمدينة فلسطينية؟!

الا يثير ذلك التساؤل، ثم ان الكثير من الاسماء المثقفة اللامعة فلسطينيا والتي تقرر مصير الثقافة الفلسطينية، هل يعلم البعض ان هذه الاسماء لا تعطي تلك الاهمية بل تستصغر الحديث وباستخفاف كلما تطرق الحديث عن السينما الفلسطينية، ولا تعترف بها، وهل يعلم القارىء ان على السينمائي الفلسطيني أن يناضل لينال شعبه حقه في العيش، ثم عليه ان ينتزع حقه ليعيش كسينمائي فلسطيني.

ان مقرري الثقافة السينمائية الفلسطينية المباشرين وأحيانا كثيرة، غير مؤهلين لذلك ولرسم سياسة سليمة لتطوير هذا الشكل الفني. ولتغطية عجزهم وأنانيتهم فانهم يفرضون شروطهم التعجيزية ويكونون حجر عثرة امام اي انتاج فلسطيني جيد رغم ان الكثير منهم صار لا يقدر ان ينام الا بعد ان يشاهد افلام سينمائية متنوعة وبالفيديو؟!

انني كلي امل ان يهتم المسؤولون السياسيون والذين في قمة الهرم وان لا يكتفوا بما ترفع لهم من تقارير عن وضع السينما من هؤلاء الذين يقررون السياسة السينمائية الفلسطينية وهم كثر رغم ضيق آفاقهم بخصوص موضوع السينما، لانني اخشى ان لا يكون الكادر السينمائي الفلسطيني والتلفزيوني ايضا متوفرا وحاضرا ليكون جاهزا في حالة قيام دولة فلسطينية.

وكما يقال، اللهم اني بلغت وابديت رأيي بما يتعلق في المخاطر مستقبلا.

المنوال

صدرت في القدس مجلة علمية، اقتصادية، اجتماعية شهرية حملت اسم « المنوال ». صاحب الامتياز والمحرر المسؤول سمير جبريل. وتشرف على اصدارها هيئة استشارية من (١٨) شخصية أكاديمية واعتبارية، في مقدمتهم الاستاذ فيصل الحسيني رئيس جمعية الدراسات العربية بالقدس. وعدد من اساتذة الجامعات الفلسطينية في الاراضي المحتلة.

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

جمع الأسرى جمع

سامي الكيلاني

دارت الأغنية في ذهنه بينما كان الباص يتحرك مبتعدا عن البوابة. أية بوابة؟ البوابة اللعينة، البوابة الحديدية، البوابة المهزلة، ولكنها رغم ذلك كله البوابة التي تحتجز خلفها الرفاق، تحتجز خلفها الأيام المليئة بدقائق المعاناة والتحدي، البوابة التي تحتجز خلفها الخيمة رقم "١٦" في القسم رقم "٢" من المعسكر "ب". تحتجز خلفها الكثير، وفي كل خيمة قصة، قصص، وجه، وجوه .. أصبحت البوابة بعيدة صغيرة بحديدها وحراسها، صغيرة ببشاعتها، صغيرة بكل المسميات القذرة التي تستحقها، لكنها كبيرة بحجم روح البطل، بحجم الجبل، كبيرة باولئك الذين تركهم خلفها.

تململ أحمد الخالد في مقعده، وأزاح نظره عن النافذة ليريح عنقه من الالتواءة التي استمرها منذ تحرك الباص من أمام البوابة. كان كل تفكيره منصبا على البوابة، أراد الحديث مع جاره في المقعد لكن الكلمات وقفت في حلقه عندما أحس أن تلك الكلمات التي تعطي الموقف حقه غير متوفرة، وان توفرت فانها ستمتزج بالدموع. لجأ مرة أخرى الى النافذة هربا من الكلمات المستعصية فواجهته رمال الصحراء، قرر تأجيل أي حديث وعزى النفس بتفحص الطريق التي يراها للمرة الأولى ويمشيها للمرة الثانية. عادت الى ذهنه تفاصيل الرحلة من معتقل الفارعة الى أنصار ٣ قبل ستة شهور، كانت العيون معصوبة بقطع الملابس، والقيد البلاستيكي مشدودا على الرسغين يكاد ينغرس في اللحم، والجنود بمنتهى اللؤم والحقد.

عاد الى واقع الباص حين بدأت الأصوات تردد الأغنية التي تدور في رأسه منذ تحرك الباص، الأغنية التي يحب .. جمع الأسرى جمع .. في معسكر انصار، والشمس لما بتطلع .. بتواعد الثوار، حبستوا جسم البطل .. ما حبستوا الروح، روح بحجم الجبل .. تشفي مني الجروح. .. كبرت كلمات الأغنية في ذهنه وصار لا يمل سماعها منذ غنتها خيمتهم بصوت واحد بعد ضرب القسم بالغاز المسيل للدموع، كانت القنابل تنهمر كالمطر، فردوا على الجنود بالحجارة والأحذية والصحون وكل ما وقعت عليه الأيدي، ومن وسط الدموع والمخاط والكحات المتلاحقة انطلق صوت عبد السلام قويا بالأغنية فلحقه الجميع بصوت واحد غطى على كل الآلام. وها هي الأغنية تدور في الباص، في الطريق الى الحرية، ارتفع صوته مع الجوقة. نظر الى الجنود الجالسين في المقاعد الأمامية للباص، لماذا لا يتدخلون؟ لماذا لم يحتجوا؟ كانوا يواصلون شرب المرطبات من العلب التي فتحوها عندما تحرك الباص، كأن الأمر لا

Digitized by Birzeit University Library

يعنيهم، وكأن الأغنية ليست تحديا لهم وللباسهم ولأسلحتهم ولروحهم القمعية.

أتنع نفسه بأن الجنود لا يريدون خلق مشكلة لا فائدة منها، فركاب الباص يذهبون نحو الحرية وليس نحو السجن، وأنهم اتعظوا من تجربة التحدي الفاشلة التي قام بها ضابطهم قبل مغادرة المعسكر الاعتقالي .. قبل أن يتحرك الباص جاء الضابط وطلب منهم التوقيع على تعهد بعدم القيام بأعمال مخلة بالقانون بعد خروجهم من الاعتقال، رفضوا جميعا التوقيع وكان الجواب موحدا "لم نفعل شيئا، ولم نقدم حتى للمحاكمة، نحن معتقلون اداريون". صاح الضابط وهدد وتوعد بأن يعودوا الى السجن وأن يمدد اعتقال من لا يوقع لستة شهور أخرى، فلم يعيروه اهتماما، فلجأ الى ضابط أعلى منه رتبة. دخل الآخر الباص وطلب منه بالذات النزول، قال في نفسه "ها هم مرة أخرى يختارونك صدفة لتكون في بوز المدفع يا أحمد الخالد". تصنع الضابط الصرامة الزائدة وسحب أقسام سلاحه وأخذه الى المكتب القريب، شرح بالعبرية لضابط المكتب أنهم لا يريدون التوقيع على التعهد، فرد عليه بأن يكتب أنهم رفضوا التوقيع. عاد الى الباص وشرح للشباب ما جرى، شعروا بالانتصار.

حين انتهت الأغنية سأله ابراهيم عن سرحانه، فضحك قائلا "في هالدنيا"، ذكره ابراهيم بضرورة القيام بالزيارات المتبادلة بينهما، هز رأسه موافقا، لكنه لم يكن متيقنا هل سيتمكن من القيام بذلك أم لا. ربما سيصبح مطاردا مثل العشرات من أصدقائه في القرية. كانت الأخبار تصلهم مع القادمين الجدد الى المعتقل فيلتف الجميع حول القادم الجديد، خاصة أبناء منطقته، فيمطرونه بالأسئلة عن كل شيء، عن الأهل، عن الشباب، عن الانتفاضة، عن السياسة، عن آخر نداء للقيادة الموحدة، ويسأل البعض عن فلان أو فلان بالاسم. .. ألا زال فلان هاربا من الاعتقال؟ هل حقا اعتقل فلان وكيف؟ ولم يصل أحد من قريته الا في الأسبوع الأخير، كان ينتظر الأخبار عن القرية، وصل محمود، لم يبق صغيرة ولا كبيرة الا سأل عنها. عندما سمع الأخبار فكبرت القرية في عينيه أكثر من أي وقت مضى. نفخ نفسه أمام الآخرين ومازحهم حول قراهم التي لم تفعل مثل قريته. قال محمود انها شكلت اللجان الشعبية، انها تلتزم بالاضرابات بكل حزم، ان المجموعات الضاربة تقوم بالمطلوب وزيادة، أن الجيش يقتحمها ليعتقل المطلوبين فيعود بخفي حنين ..

تذكر التفاصيل التي نقلها محمود وانتشى لمراجعتها في ذهنه، صمم أن يذهب الى أم محمود قبل أن يصل داره لينقل اليها سلام محمود ويطمئنها عليه وليعزيها باستشهاد مصطفى. مصطفى الذي كان يلاقيه في كل حارة وزقاق، مصطفى الذي أسس النقابة، مصطفى الذي تنطلق الكلمة منه فتلتقطها الآذان، مصطفى الذي يحبه الصغير والكبير .. مسح دمعة غالبته وهز رأسه ليطرد الألم المفاجيء. انتهر نفسه "كيف ستقابل أم محمود بهذه النفسية، كيف ستهنيها باستشهاد مصطفى بدل التعزية؟!"

سأله ابراهيم مرة أخرى عن وعد الزيارة، ففهم أنه لا يسأل عن الزيارة بقدر يريد منه أن يرجع من سرحانه، أجابه بأنه مع الشباب ولا يعدو الأمر مجرد تفكير بالأيام القادمة. واثباتا لحضوره بين الشباب انطلق صوته مرة أخرى بالأغنية "جمع الأسرى جمع" فتبعته الأصوات وارتفعت موجة الغناء واستمرت تخرج من أغنية لتدخل في أخرى. اشتد الغناء حين بدأوا "تسلمي لينا يا انتفاضتنا، يا اللي عليت رايتنا"، لكنه غناء دون تصفيق، فالأيدي لا زالت مقيدة والقيود لن تفك الا حين الوصول الى مثلث عراد،

Digitized by Birzeit University Library

هذا المكان الذي أصبح المعتقلون جميعا يعرفون اسمه لأنه النقطة التي ينقل اليها المفرج عنهم من المعسكر الاعتقالي الصحراوي.

وقف الباص. بدأوا بالنزول واحدا واحدا، والجندي الواقف على الأرض يقص القيد البلاستيكي. نزل أحمد، قص الجندي قيده فسقط القيد بين رجليه، كانت الأرض مليئة بالقيود المستعملة، قال في نفسه وهو يراها على هذه الحال: كم من الشباب مروا من هنا، لا بد لكل سجن من نهاية.

صعد الجنود الى الباص وعادوا باتجاه النقب، تمنى لو أن للباص أذنين ولسانا ليرسل معه السلام للذين بقوا في المعتقل. قرر الشباب الانقسام الى مجموعتين، مجموعة الجنوب تستأجر سيارة الى الخليل، ومجموعة الشمال تستأجر سيارة الى نابلس، الساعة الخامسة مساء، قد يستطيعون الوصول كل الى بيته، ومن لم يستطع يقضي ليلته حيث يصل فكل البيوت مفتوحة للخارجين من المعتقل.

وصلت سيارة بعد قليل من الانتظار، استقلها ابناء الشمال وانطلقت بهم. استرخى أحمد الخالد في مقعده وهو يفكر بصورتين تتبادلان احتلال تفكيره .. اخواته واخوته الأيتام الذين سيستقبلونه أخا وأما وأبا، وأم محمود حين سيدخل بيتها ليقول لها أن كل الذين تركهم وراءه في أنصار ٣ هم أبناؤها وأن محمود بخير .. لن يقول لها غير ذلك.

أنصار ٣
١٩٨٩/٥/١٧م

تحويل منزل بابلو نيرودا الى متحف

سانتياغو - « و.ص.ف » تحول منزل الشاعر بابلو نيرودا رسميا الى متحف كما تمنى الشاعر التشيلي، الذي اغتيل قبل سبعة عشر عاما.

وشدد وزير التربية التشيلي، ريكاردو لاغوس، على الطابع « الرمزي » لاعادة افتتاح منزل حائز جائزة نوبل للسلام العام ١٩٧١ والذي كان أقفل عام ١٩٨٥ اثر وفاة ارملته ماتيلدا اوروتيا. وقال لاغوس «اننا نفتح المنزل للشعب والمنزل يكون مفتوحا للشعب عندما تتوفر الحرية والديمقراطية».

وكانت مؤسسة بابلو نيرودا قاتلت طوال ستة عشر عاما نظام الجنرال بينوشيت من أجل ان يتحول منزل الشاعر الذي كان كذلك رجل سياسة ودبلوماسيا ورحالة كبيرا الى متحف.

وتم ترميم المنزل الذي بني عام ١٩٣٩. وهو يضم تحف نيرودا الكبيرة من الاشياء البحرية كنماذج السفن.

وكان نيرودا قتل على أيدي جلاوزة بينوشيت بعد احد عشر يوما على الانقلاب العسكري في الحادي عشر من ايلول العام ١٩٧٣.

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

الزجاج المكسور

د. الهام أبو غزالة

كان لا بد ان اترك. لم استطع احتمال ما يحدث لبيت اهلي. القيت بالمكنسة من يدي. لبست حذائي. استأذنت جارتنا بحدة. خرجت من البيت. ركبت السيارة. ادرت مفتاح المحرك. وانطلقت.

حاولت الجارة ايقافي: هذا ليس ممكنا، اهل الحارة جميعهم بانتظارك. كل صنع لذائذه وهم بانتظارك، مائدة طعام ترقص رقصا بانتظارك ولا يمكن ان تخيبي آمالهم، ثم هم يريدون رأيك في امور هامة، وينتظرونك حتى نرى حلا لهذه المشكلة ....

سددت اذني، وانطلقت بسيارتي راجعة الى المدينة التي اعمل فيها.

ظننت في البدء، وانا امر عبر الحديقة في بيت اهلي لأصل الى باب المطبخ الذي نستعمله عادة في الدخول اليه، ظننت ان الجيش، كعادته مع معظم البيوت، هو الذي احدث كل هذه التشوهات التي اراها امامي: زجاج مكسور وزجاج مكسور وزجاج مكسور، زجاج البيت باكمله مكسر. زجاج واجهة غرفة الاستقبال الممتد من الحائط إلى الحائط ومن السقف إلى الارض مكسر فلم يبق منه الا كسر حادة في جوانبه الاربع، يظهر الحديد الذي يحمله من تحتها، وتظهر كل الغرفة وجزء من غرفة الاستقبال الممتدة خلفها. زجاج غرف النوم مكسر، زجاج الحمام مكسر، زجاج المطبخ مكسر، كل زجاج يقع على الواجهات الخارجية للبيت مكسر.

اشتعلت في رأسي صور بيوت بيروت وبناياتها التي نشاهدها على شاشة التلفاز يوميا.

دخلت البيت، انت كسر الزجاج تحت قدمي مع كل خطوة. طفت في البيت، كدت اتزحلق من الزجاج المتكسر المنثور على الارض، حرصت على ان لا اطأ السجاد - القديم قدم هذا البيت - لئلا اتسبب في ان تمزقه كسر الزجاج الحادة فوقه. احسست بالدوار، اردت ان اجلس، لم يكن ممكنا، فالزجاج المتكسر يتربع امامي فوق المقاعد والطاولات. ذهبت الى غرف النوم، وجدت كسر الزجاج تتربع امامي فوق الاسرة. دخلت الحمام، وجدتها هناك فوق غطاء المرحاض وغسالة الثياب والاحواض، ذهبت الى المطبخ، كانت فوق فرن المطبخ والطاولة زجاج، زجاج، زجاج. زجاج في كل مكان.

اطل علي وجه والدي - كرم الله مثواه - اطل علي من جميع فتحات نوافذ البيت، اطلت علي

Digitized by Birzeit University Library

وجوه اخوتي واخواتي من بين كسر الزجاج الحادة المتبقية على حواف حديد نوافذ البيت. اطلت علي وجوه اطفالهم. اصبحت محاصرة بوجوه غاضبة معاتبة ومتسائله لكل من هو تحت هذه الارض وكل من هم خارجها. اصابتني القشعريرة.

انفجرت باكية.

نظرت في عيون والدي الغاضبة العاتبة الحانية وقلت، اعرف يا والدي، اعرف تماما كلماتك لنا وانت تودع هذه الحياة، ناديتنا، نحن ابناءك، ناديتنا واحدا واحدا. طلبتهم في اماكن عملهم في الاقطار العربية المختلفة وطلبتني من مكان عملي في وسط هذا البلد، وقلت لنا:هذا البيت، اتركه امانة في اعناقكم. احملوه في قلوبكم اينما كنتم، إحموه، حافظوا عليه، عودوا اليه متى تقدرون ولا تجعلوا عودتكم بعيدة، احضروا اطفالكم اليه كل صيف حتى لا يغيبه البعد عن قلوبهم، احملوه في قلوبكم في كل ترحالكم، فانتم في النهاية اليه راجعون. اذكر، اذكر تماما يا والدي دوراتك في البيت وتفقدك لكل مفصل فيه حتى لا يصدأ، ولكل شجرة في حديقة حتى تظل يانعة ومعطاء. كم اجلستنا ونحن صغارا وحكيت لنا عن تاريخ هذا البيت، عن جدودنا الذين بنوه، عن الاجيال التي سكنته، عن الذين خرجوا منه الى الدنيا الاخرة، وعن الاطفال الذين ولدوا فيه. يدك ما زالت امام عيني وهي تربت على اقواسه وحجارته تربيت العاشق لمحبوبته، وصوتك الرخيم العميق يحدثنا عن اسرار اقواسه وقبابه. وهل انسى فجر كل عيد عند ما كنت تملأ لنا البيت باصوات ملايين المسلمين الهادرة فوق عرفات؟ هل ننسى؟ ونظرت في وجوه اخوتي واخواتي وابنائهم المتحلقة حولي. وانتم حملتم الامانة، اعرف، ارسلتم نقودكم باستمرار من اجل الاعتناء بالبيت، وعندما هدمت السلطات احدى غرفه الخارجيه - لأن كلب اثرهم اقصى - كان اصراركم على اعادة بنائها، وعندما هدموا الغرفتين الغربيتين اللتين كان يسكن بهما اولاد عمنا قبل سجنهم، اصررتم ايضا على اعادة بناء هاتين الغرفتين، حرصتم دائما على ترميمه وابقائه في افضل حال، رجعتم اليه كلما استطعتم واحضرتم ابناءكم اعرف، كنتم امينين على وصية والدنا - ولكنكم بعد لم تقوموا بعودتكم النهائية، وانا ما زلت وحدي هنا احافظ لكم جميعا عليه، فكرت -.

وكأنما كانت جارتنا التي تسكن فوقنا تنتظر مجيئي. نزلت مسرعة. قلت، وكانني اعرف الصورة اليوميه لمثل هذه الاحداث، وكأنها ليست غريبة علي." لم تكونوا هنا عندما فعل الجيش ذلك؟" اجابت جارتنا بخجل وبتقريرية بطيئة وعيناها مصوبتان نحو الارض " ليس الجيش هو من فعل ذلك، ولكن .. " واشارت بيدها الى فوق. ولأن فوق ليس فيه الأن الا زوجها، فهمت. قلت:" احدى حالاته العصبية للعشرين سنة الماضية منذ الاحتلال؟" هزت جارتنا رأسها وقالت:" ضرب صبيا كان يخلع حديد حماية شجيرات الشارع ليقيم بها المتاريس في وجه الجيش. ضربة بعصاته بعد ان لم يستجب الصبي لعدم خلعها، فاحدثت العصا للولد جرحا في رأسه. جمع كل صبيان الحارة، وجاءوا ليضربوه " واشارت بيدها ثانية الى فوق.

هاج غضبي. يخلعون حديد حماية الشجيرات في الشارع؟ ليضربوه؟ اولاد صغار يضربون - وخرجت كلمة " يضربون " بطيئة حادة من بين اسناني - يضربون رجلا في الثالثة والثمانين من عمره؟ صحت باستنكار وقد تحول غضبي من منظر الزجاج المكسور المنتشر امامي الى الاولاد. اردفت جارتنا بنفس اللهجة البطيئة التقريرية:" خرج لهم رجال الحارة، ومنعوهم من ضربه، فما كان من الاولاد الا ان اتوا الى البيت

Digitized by Birzeit University Library

وكسروا زجاج جميع ابوابه ونوافذه كما ترين ".

احسست بالدوار." ولكن لماذا بيتنا وليس بيتكم؟" قلت. حركت جارتنا كتفيها كأنما لتقول " لا ادري ". ثم، بعد لحظة، تداركت " ربما ظنوه بيتنا "، ثم تداركت " ولكنهم لا بد يعرفون انه ليس بيتنا وان بيتنا فوق ". ثم اردفت " ربما لأنه اسهل عليهم تكسيره فهو مغطى بشجر الحديقة ولا يستطيع المارون بالشارع مشاهدتهم اثناء رشق الحجارة بينما تسهل رؤيتهم ان هم كسروا زجاج بيتنا فوق ". كان بامكانهم ان يلقوا الحجارة على بيتها من بعد، فلا يراهم احد،" ام انهم ارادوا تكسير الزجاج بايديهم؟" فكرت " ام انهم حقيقة استسهلوا تحطيمه لأن بيتنا مغطى باشجار الحديقة فلا يكشف امرهم المارة بالشارع؟" صككت اسناني وانا أقول بغيظ يكتم تفجره " جبن ".

بدا المنظر متشابها وانا استمع لجارتنا وامشي في البيت، احاول تفقده مرة بعد الاخرى، والعيون المتصلبه على حواف زجاج نوافذه مثبتة علي. دهمت حواسي روائح كل البيوت التي شهدت هدمها للعشرين سنة الماضية منذ الاحتلال. تشكل الزجاج القابع فوق كل شيء، تشكل امام عيوني وجوه مئات الشهداء والآف الجرحى والسجناء الذين ماتوا او سجنوا او عذبوا في تاريخنا الحاضر والماضي، ومع كل خرجت حكاية الحب التي عاش او مات من اجلها. انداحت امام عيوني اشكال الرجال والنساء، الصبية والصبايا وهم يتراكضون لرعاية العائلات المصابة، رأيتهم في محاولاتهم انفاذ ما يمكن إنقاذه من البيوت قبل هدم السلطات لها. رأيتهم يأتون للعائلة المصابة زرافات ووحدانا، كل يحمل معه اشكال حبه: اثاثا او غطاء او اواني او طعاما. رأيت الناس يتجمعون في دار الشهيد او السجين او المصاب، يجلسون مع ذويه في التحام عاطفي عميق، يحادثونهم ويحكون لهم قصص بطولات شعبهم وشعوب اخرى غيرهم حتى يخففوا عنهم مأساتهم. رأيت الناس يفعلون اي شيء للعناية بالعائلة المنكوبة وملئها بالحب والحنان للتخفيف عنها مأساتها. خرجت مني تنهيدة عميقة.

وفجأة، تحولت كسر الزجاج على الارض والسجاد والمقاعد والكراسي والاسرة والثلاجة والغسالة والمغسلة امامي، تحولت الى السنة ساخرة ممدودة زاحفة تجاهي.

سرت قشعريرة في جسدي. سألت، في محاولة لابعاد الالسنة عني:" وأنتم، اهل الحارة، ماذا فعلتم ازاء هذا التحطيم؟ هل جمعتم الاولاد وتحدثتم معهم؟ هل تحدثتم مع اهلهم؟ هل افهمتموهم ان المشاكل بين الاهل لا تحل بهذه الطريقة؟ هل افهمتموهم اننا في وضع ممكن ان يؤدي الى انقراضنا، خصوصا وثلاثة ارباع مليون طير جراد آتية الينا من الشمال، ما لم نلتف حول بعضنا ونناقش مشاكلنا ونحلها سوية؟" كنت اتفوه الكلمات بحدة وغضب توازي حدة الالسن الزاحفة تجاهي الضاغطة علي. قالت جارتنا بنفس التقريرية التي بدأت كلامها بها منذ قدومي:" ولكننا كنا ننتظر قدومك حتى نفعل هذا ". بدت الالسنة كانها تلتف حول عنقي. انفجرت غضبا :" تنتظرونني؟ لنفرض انني لم آت هذا الاسبوع؟ لنفترض انني تأخرت اسبوعا آخرا او اسبوعين؟ ولماذا تنتظرونني اساسا؟ هل املك عقلا ارجح من عقلكم او لسانا افصح من لسانكم او حبا لحارتنا اكثر من حبكم لها؟ " وفكرت " ثم، هل تريدونني ان اعدد لكم المهام التي قمت بها في عملي وفي حارتي الاخرى طيلة الاسبوع الماضي؟ وهل اعدد لك ما قمت به اليوم فقط قبل مجيئي اليكم؟ " واكملت:" انا آتيكم حتى انعم بحبكم وبالراحة فيما بينكم بعد عناء اسبوع كامل في عملي وفي حارتي الأخرى، ام

Digitized by Birzeit University Library

انكم اصبحتم تضنون حتى بالحب؟ آسفة، انا لا استطيع مساعدتكم، انتم تملكون القدرة الكافية على ايجاد الحلول لمشاكل حارتكم".

القيت المكنسة من يدي. لبست حذائي. قلت كلمات حادة وناشفة من المفروض بها ان تكون استئذانا بترك المكان. صفقت باب المطبخ خلفي تاركة جارتنا لوحدها داخل البيت، وحزمت.

كان لا بد أن اترك قلت لنفسي وانا اسير بالسيارة خارج البلد. اولاد يأتون، ببساطة، لضرب رجل في الثمانين من عمرة إنها المأساة. بل انها أكثر مأساوية من ان يتحملها ذهني وجسدي المجهدان." الا يكفيه انه تحول صغيرا منذ مجيء الاحتلال"؟ قلت في نفسي. وحارتنا التي احب افرادها بعضهم البعض وساند أفرادها بعضهم الاخر، حارتنا التي عاشت كعائلة واحدة منذ وعيت وجودي بينهم، حارتنا هذه عاجزة عن تربية ابنائها على مثل الحب والتفهم الذي تشكلوا به وشكلهم طيلة وجودهم في الحارة؟ وينتظرونني لحل مشاكلهم؟ ضغطت على كابس الوقود في السيارة، وانطلقت باقصى سرعة.

رويدا رويدا بدأت عيناي تريان الطريق امامي. ورويدا رويدا رجعت احاسيسي تمتص ما هو حولي. رجعت الارض، وقد بللها المطر الهاطل للايام الخمس الماضية، رجعت ترقص امام عيني رقصتها الحنون اللانهائية الخصب. وقف الشجر، وقد غسلت الامطار عنه غبار السنة باكملها، وقف امامي شامخا فرحا ومعطاء. بدت البيوت الصغيرة في القرى عبر الطريق، باقواسها الملتفة حول اهلها وكانها تحميهم منذ ولدت هذه الارض وولدوا عليها، بدت انشودة لانهائيه للحب المتواصل بين الناس عبر تاريخهم على هذه الارض. فكرت:" أكان ممكنا لهذا الشجر ان ينمو وان يعطى، ولهذه الارض ان تظل خصبة معطاء، ولهذه البيوت ان تشيد لولا تعاون اهلنا فيما بينهم؟.

ملأت عيون والدي واخوتي زجاج السيارة امامي. ملأوا المقاعد بجانبي.؟ اكتظت السيارة باجساد اهل حارتنا المتلاحمة المتدفقة تجاهي. دخلوا تحت جلدي. اوقفت السيارة. وضعنا ايدينا على المقود، وادرنا السيارة باتجاه بيتنا وحارتنا.

صورة من رام الله

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

الدائرة

سمين رشتيسي

دغدغت جفونهم أشعة شمس متسللة عبر فوهات ضيقة لكهوف متسعة. نهضوا جميعا وخرجوا ينحدرون عبر التلال المحيطة بعد أن احتضنت بواطن الجبال الشاهقة دفء لياليهم، امتشقوا الأسطح الملساء لصخور عريضة منتشرة وأطلوا برؤوس تلتحف الكوفيات المتشحة بالسواد فلا يتسنى الا لبؤبؤ العين باختراق صمت التضاريس المخيم.

تابعت عيناه ببطء السيارة المقتربة من قلب الوادي الذي يتوسط العملاقين تمحصها جيدا ثم سرعان ما تمتمت شفاه:

- والله ووقعت يا ماركوفيتش - الكلب...!

عاد فدفن رأسه المتلثم بالكوفية خلف الصخور، أشار الى رفاقه المنتشرين بالتجمع واستبقهم قافزا الى الأمام هابطا فوق الصخور الى أقرب نقطة تقع على مرمى من شريط الطريق المعبد الضيق أسفل الوادي. انطلق اثنان منهم الى انعطافة الشارع عند عمق الوادي. أشادا بسرعة متراسا على عرض الطريق من جذوع الأشجار الغليظة والصخور الضخمة. عادا فاختفيا بلمح البصر فيما انتشر الجميع على جانبي الطريق ثابتين في كمائنهم الى جانب كل منهم كومه من الحجارة المختلفة الأحجام.

قرفصوا خلف التضاريس واستندوا الى أرجلهم القوية غير أنهم لم ينتظروا طويلا، فلقد توقفت السيارة عند المتراس، فتح باب السائق وخرج منه رجل سمين يرتدي "الكيبا" ويشرع في يده رشاش "العوزي" القصير. استدار حول نفسه مرتين ثم التف من خلف سيارته المتوقفة وتقدم الى جانب صخور المتراس. كانت عيناه تدور في المكان، تتفحص التضاريس حوله، أما أصابعه فأطبقت على زند الرشاش..

انطلق صوت تفريد "الحسون" يردد صدى له عبر التلال فانهمرت فجأة حجارة صغيرة الأحجام تساقطت جميعا من حول السيارة المتوقفة. أي من الرؤوس لم يبن من خلف التضاريس.. ارتبكت حركة السمين وضغطت اصبعه على زند الرشاش فلعلع صوت الطلقات وهي تنصب على الجبال المحيطة. استمر "السمين" باطلاق النيران حتى فرغ مشط الذخيرة، هرول عائدا الى سيارته المتوقفة وصاح الى امرأته التي تجلس في المقعد المحاذي لمقعد السائق أن تناوله أمشاط الذخيرة. امتدت يدها اليه عبر الباب المفتوح وناولته مشطين آخرين، عبأ مشط الطلقات بسرعة في جيب العوزي واتجه الى جانب الطريق. صاح مرة أخرى طالبا منها أن تبحث في أنحاء السيارة عن مزيد من الذخيرة توقف على الرصيف الضيق، أطلق طلقات أخرى نحو التلال ثم سرعان ما توقف، استدار ونظر بريبة الى التضاريس من حوله.

عندل "بلبل" في الفضاء المجاور فتساقطت

Digitized by Birzeit University Library

الحجارة من كل كان بحجم الصخور، ارتطمت بنوافذ السيارة المتوقفة فتطاير الزجاج في جميع الأتجاهات، قفز "السمين" من أحد جانبي الطريق الى الجانب الآخر كان يصب نيران رشاشة بجنون نحو الجبال والتلال المحيطة الا أن الحجارة استمرت بالتساقط من حوله ومن حول السيارة دون توقف ودون أن يبن أي من الرؤوس من خلف التضاريس.

فجأة توقف "السمين" عن اطلاق الرصاص، انتزع بغضب مشط الطلقات وألقاه الى الأرض... ركض بسرعة نحو السيارة وصاح الى الامرأة أن تعطيه المزيد من الذخيرة رفعت المرأة راحة يدها وصاحت في وجهه بصوت عال مضطرب..

- اين ... اين لي (لا يوجد... لا يوجد معي)...

توقفت الحجارة عن السقوط من حول السيارة المتوقفة رغم استمرار "السمين" بصياحه المستمر في وجه المرأة وابدائه لحركات الارتباك والذعر. فجأة توقف عن الصياح، استدار حول نفسه ببطء ونظر الى قامات رجال بانوا من خلف التضاريس واعتلوا اسطح الصخور المحيطة على جانبي الطريق. كانوا جميعا يتلثمون بالكوفيات، قاماتهم شامخة بشموخ الجبال من خلفهم.

هبطوا من على الصخور، ساروا جميعا نحوه وتعلقت عيونهم المحدقة من خلف الكوفيات بشيطان الرعب الذي تملك قسمات وجه "السمين".

أطبقت الدائرة من حوله، بدا للحظات أنه فقد القدرة على النطق أو الحركة، فقط شيطان رعب يتملك قسمات الوجه ذات عروق الدم المتجمدة وسيل من العرق يتصبب على الجبين الناصع البياض.

ارتبكت حركته مرة واحدة، بدت كما القط الذي وجد نفسه محشورا على حين فجأة في زاوية ضيقة. ارتفعت قبضته تحمل رشاش "العوزي" القصير، ارتجفت للحظات ثم ألقى الرشاش بسرعة على أقربهم منه.. ركض نحو صخور المتراس، التقط صخرة صغيرة وهم بالقائها على أحدهم.

انقضوا جميعا عليه قبل أن يتمكن من القاء الصخرة، سقط على الأرض مغشيا عليه فيما انهالت عليه ضرباتهم وركلاتهم من كل ناحية.

اعتلى صياحها وبكاؤها في الفضاء المحيطة، الا أن أيا منهم لم يعرها انتباها ما. حملوا جسده المدمى الى المقعد الخلفي وأغلقوا باب السيارة خلفه، اقترب منها أحدهم. أشار اليها أن تتولى قيادة السيارة وسط ولولتها وتوسلها المتلاحق اليه أن يبقيها على قيد الحياة. أمسك بذراعها بعدما أدرك حالة الهستيريا التي تنتابها من رعب اللحظة. اقتادها معه وأجلسها خلف مقود السيارة، أشار لها بيده الى مفتاح المحرك. سار بضع خطوات والتقط رشاش "العوزي" القصير من حيث كان قد ألقاه "السمين". عاد الى السيارة ووضعه بمحاذاتها وأغلق عليها باب السيارة، أشار اليها أن تنتظر للحظة فيما أشار الى الرجال من حوله أن يزيلوا المتراس من أمام السيارة.

تحركوا بسرعة، أزالوا الصخور وجذوع الأشجار فيما انطلقت السيارة مبتعدة بأقصى سرعة ممكنة، تحلقوا حوله وحدقوا جميعا بالسيارة المبتعدة... كان ثمة قوس قزح قد بدأ بالتشكل في الأفق البعيد أما في الفضاء المحيط فقد انطلق غراب يشق بجناحيه السماء ويصم الآذان بنعيقه.

Digitized by Birzeit University Library

شعر

"هِـــزّي غُربالِـــــك"

للشاعر الشعبي
موسى حافظ/مخيم جنين

هِـــزّي غُربالِـك هِـــــزّي
وْطَعمِـي الجاجِه والْـــوَزه
وْمِـدّي قَمْحات الْبيـــدَر
مِـن الْناقُـورَة لَغَـــزّه
هِـزّي الْقَمحَـــه المَلْيانِـه
مِـن غْمـارِي وْبِستانـي
وْإِوْع تْخَلّـــي زَوانّـــه
شِـدّي الْهمّـــه وِاعْتَـزّي
قَمْـح الْبَيـدَر هَالأَصْفَـر
مِثْـلِ الْذَهَـــبّ لِمْكَـرَر
كِرْمالُـو يِـدّي أَسْهَـــر
تَـانْعيـش الأَرضْ يِعِـــزّه
وْنـادي إِمـي الْخِتيـارُه
وْجيبـي صَبايـا الحـــارَه
مِـنْ حَصّـادِه وْغَمّـارَه
وِمِـنْ قَبـْل الصُبح فَـــزّي
وْشِـدّي العَصْبِـه عَ قْبالـي
وْحُطّـي حْمالِـك عَ حْمالـي
حالِـف لَـــزّتْ عْقالِـي
لَـــو سَبقتيني بْهَـــزّه

Digitized by Birzeit University Library

شعر

عنابٌ منسوع

هشام ابو ضاحي
معتقل نفحة الصحراوي

الهي
تميد بنا
بسيطتك الراحلة
بسيطتك الجاثمة
ورغم الرحيل
نوارى بذورا
نموت ونحيا على ارضنا
الهي .. الهي
نموت قماشا على ارضنا
نسير عليه
يسير علينا
الهي
هنا حط قلبي رحاله
بقايا خيام أخيرة
وأحزان يتمى الشريدة

الهي .. الهي
تحوم الجراح
فمن فوقنا
ومن تحتنا
تشبث بنا
ولا ترتحل
الهي..الهي
لماذا ترحمتنا يا قدر
لماذا تركت غميمتك الصائمة
ولكن لتعلم
كثيرا بعثنا على النغمات الكئيبة
ولسنا رياحا
ولم نكن الا رياح المطر.

xxx

Digitized by Birzeit University Library

شعر

نبتة برية..
و
نبتة بحرية..!

سيدي حركش

سأحزمُ أمتعتي،
وأحزمُ امري،
وسأحملُ أجملَ أحلامي،
أجملَ صُوَري،
سأحملُ عمري ..
وسأرحلُ فورًا للبحرِ ..!

سآخذُ معي قلبي،
وآخذُ حزني معي،
وآخذُ عينيَّ،
ويديَّ،
وشفتيَّ،
وشكلي..!
وسأخذُ لساني،
وألواني،
ورالحتي ..
سأحزمُ نفسي،
وأمضي عاريًا نقيًّا..
أقدِمُني للبحر عَطيَّة ..!

البحرُ كبيرٌ..
البحرُ كبيرٌ وصديقٌ..
البحرُ كبيرٌ وصديقٌ ووفيٌّ..
وسيقبلني نقطة ماء فيه ..!

البحر كبيرٌ ..
لا ينقصه اتساع المسافات،
ولا يضيق به الصدر..
ولا ينقصه انعتاقُ القلبِ
ولا عمق الرؤى ..
للبحر رؤيا ما يرى ..
فالبحر يروي ما روى ..!
لا حاجة للماء
ان شح المطر،
او انقضى..!
فالنبتة تنمو
في البرِّ
وفي البحر..
فالنبتة بريَّة ..
والنبتة أيضا بَحريَّة ..!

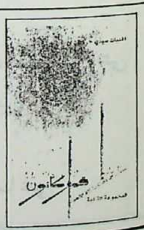

« قمر كانون » - المجموعة الثانية من
« أغنيات سيدي حركش »

صدرت في القدس مؤخرا، المجموعة الثانية من « أغنيات سيدي حركش » بعنوان « قمر كانون ».

تضم المجموعة التي تقع في (١١٨) صفحة من القطع المتوسط، ثماني عشرة قصيدة باللغة العامية. وكتب مقدمة المجموعة الشاعر المصري المعروف أحمد فؤاد نجم بعنوان « الانتفاضة.. وسيدي حركش.. وأنا».

واحتوت المجموعة على عدة رسومات داخلية للفنان حسام ناصر.

Digitized by Birzeit University Library

شعر

عشق الصبايا

احمد فؤاد نجم

شوف الحكايه يا وله ف محبتى
شوف الحكاية دا الصبر طيب يا هوى
عشق الصبايا يا وله صبرك معايا
طول معايا حبيت سواد العين سنه
منهم هنايا يا وله ونسيت صباحى
منهم أسايا وغرقت في ليل الضنى
وهما جرحى يا وله عطشان وصاحى
وهما دوايا ولما بان ورد الشفايف
زرع الوداد لون جراحى
على غير معاد طاوعت قلبى
بقى شغلتى ورحت له والشوق ورايا
أزرع وابيع لو القى خل
قبل الربيع يبات وَفِى يصبح مراعى
من جنتى لاطوى المداين
واحلف ما اتوب ع القدم
وانشالله ادوب وامشى له ساعى

Digitized by Birzeit University Library

وافرد قلوعى يا وله
وارکب شراعى

انا وحبيبى
فى الهوى على هوايا

Digitized by Birzeit University Library

ملحق

- نحو اصلاح اقتصادي وسياسي
- وجهة نظر صحفي: منطق التغييرات
- جمهورية المانيا الديمقراطية:
أهي نهاية الطريق ام بداية جديدة
- تشيكوسلوفاكيا: الاشتراكية ملك الحضارة
- بلغاريا: رسالة مفتوحة الى الاصدقاء

Digitized by Birzeit University Library

نحو

اصلاح اقتصادي وسياسي

سيف علي مقبل

ممثل الحزب الاشتراكي اليمني في مجلة "قضايا السلم والاشتراكية"

بعد نضال استغرق اربعة اعوام، وفي الثلاثين من تشرين الثاني من عام ١٩٦٧ انتزع شعبنا في الجنوب اليمني استقلاله، واعلن عن قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

وخلال الفترة المنصرمة رافقت تجربة بناء النظام الوطني الديمقراطي جملة من السلبيات والتشوهات والاختلالات والتطبيقات الخاطئة على صعيد الواقع، كما شهدت البلاد احداثا سياسية جسيمة ادت الى احداث شرخ كبير وهزة عنيفة في حياة البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. وصار من المسلم به اجراء اصلاحات تمنع تكرار الماضي. والدعوة لانتهاج سياسة الاصلاح في الحزب وفي بنى المجتمع ليست جديدة، فهي قديمة ومكررة، ولاسباب ذاتية، لم يتم الاخذ باتجاهات الاصلاح سابقا.

كما قدم عبد الفتاح اسماعيل كأمين عام ورئيس هيئة رئاسة، قبيل ابعاده، مذكرة حول الاصلاح الاقتصادي وقضايا الادارة الاقتصادية في قطاعات الاقتصاد الوطني. وهي دراسة متعمقة لمسار التجربة في المجال الاقتصادي والاداري وقدمت للدورة الثامنة للجنة المركزية للحزب والتي خرجت بدورها بالعديد من القرارات، ولكنها بقيت مجرد قرارات محفوظة في الملفات وكم جر عدم الاخذ بها الى افدح الاخطار للحزب والتجربة. وكأنما كان عبد الفتاح اسماعيل وقتذاك يقرأ صورة الواقع في الحزب وضبابية الرؤية لاهداف الثورة لدى قيادات الحزب حيث كتب في مدخل الوثيقة: لقد ظلت الاهداف حتى لدى قيادات هامة في الحزب والدولة - مجرد مفاهيم عامة يزيدها عمومية تلك القرارات التي لا يبذل فيها جهد كاف بالدارسة والتحليل. وهكذا تتكرر القرارات العامة من المستويات الاعلى وحتى المستويات الدنيا ولا يجد المنفذون امامهم سوى صورة غائمة تماما عما يقومون به من اعمال وهم فوق

Digitized by Birzeit University Library

هذا وذاك غير محاسبين لان مهمتهم غير واضحة على وجه الدقة وان اتضحت المهمة ففي الواقع لا تتم المحاسبة. ان وقوع الاخطاء مرده بالدرجة الاولى الى القصور في فهم الاهداف الحقيقية للسياسة الاقتصادية العامة للحزب وقصور الوعي بابعادها الطبقية والايديولوجية لدى الكثيرين من الذين انيطت بهم مهام ادارية واقتصادية ومالية وهم في الواقع اقل كفاءة وفهما وقدرة على تطوير المؤسسات، المسؤولين عن ادارتها الى جانب عوامل اخرى تستحق الوقوف امامها بيقظة وادراك.

والاصلاح الذي نأمله - كما يشير الرفيق الامين العام علي سالم البيض في خطابه بمناسبة خطوة ٢٢ يونيو التصحيحية - يرتكز بالدرجة الاولى على فهم اصيل ومعمق لقضية الديمقراطية ويستوعب أفاقها كنهج للحياة لا يتصف بكونه منهجا اخلاقيا بل وناجح في تفعيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. ولا نستطيع ان نكون منصفين وامناء مع شعبنا ما لم نلزم انفسنا بالسلوك الديمقراطي على نحو شامل وفي كل مجالات الحياة. فليس منطقيا ولا طبيعيا ان نقبل بالديمقراطية في ميدان الاقتصاد ونتبرم منها في ميدان السياسة والثقافة مثلا واذا كان الاصلاح في الاقتصاد ضرورة فهو في السياسة والثقافة ضرورة ايضا ولن يتحقق اي اصلاح حقيقي ما لم يتجه اليه مجتمعنا بكامله.

ان الديمقراطية بمعناها الشامل هي محل الاختبار لسلامة توجهنا، وهي السبيل القويم لاستظهار افضليات نظام التوجه الاشتراكي ولاثبات طبيعته الانسانية والتقدمية لانها هي التي تكشف عن حقيقة الموقف من الانسان كقيمة عليا وكهدف لكل العمليات التي تجري في المجتمع. ان الديمقراطية ليست سبيلنا لابراز مزايا مشروعنا التاريخي التقدمي فحسب، بل وهي ايضا حاجة لازمة للانسان كانسان وهذا يمليه علينا ايضا التزامنا الفكري والاخلاقي.

وامام هذا كله، وللعوامل اعلاه، وقف الحزب بمسؤولية وصاغ اتجاهات للاصلاح الاقتصادي والسياسي وشرع بمناقشتها مع الشعب واعضاء الحزب. وفي دورة اللجنة المركزية للحزب المنعقدة في ٢٩ مايو ١٩٨٩ قدم مشروع الاتجاهات الاساسية للاصلاح الاقتصادي والسياسي الشامل، وصار محتما اتخاذ الاجراءات التنفيذية اللازمة على صعيد الواقع في المجالات الضرورية دون انتظار حتى انعقاد المؤتمر العام، فجرت اصلاحات واسعة في مجالات الزراعة والتجارة والاسكان، استهدفت تقويم الامور وايقافها على قدميها، مع استمرار عملية مناقشة سائر الجوانب والمجالات الاخرى التي تتطلب اجراءات اصلاحية.

وقد يتساءل المرء: اليس ذلك مرتبطا بتأثير البيريسترويكا في الدول الاشتراكية وخصوصا في الاتحاد السوفييتي؟ وبالطبع، فلسنا في جزيرة نائية، فنحن نتأثر ونؤثر، وحاجتنا لانتهاج اصلاحات اقتصادية صارت ضرورية موضوعية ونابعة من ظروفنا ومعاناتنا. كما قد يتبادر الى الذهن سؤال ما هو الهدف من عملية الاصلاح السياسي والاقتصادي في الوقت الراهن؟

ان مشروع وثيقة الاتجاهات الاساسية للاصلاح السياسي والاقتصادي تجيب على هذا التساؤل وتحدد اهداف الاصلاح السياسي والاقتصادي في التالي:

- تمكين الحزب الاشتراكي اليمني وعلى قاعدة الاشتراكية العلمية وخبرته المتراكمة، وكذا خبرة الحركة الثورية العربية والعالمية من امتلاك ناصية المنهج العلمي للتعميق في معرفة واقع مجتمعنا وخصائصه ولتسليح شعبنا بالرؤية الواقعية للنضال من اجل حماية مكتسبات ثورتي ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ في الشمال و ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ في الجنوب وتأمين تطورهما اللاحق بما يحقق الاهداف

Digitized by Birzeit University Library

الاستراتيجية للثورة اليمنية وتعزيز خيار التوجه الاشتراكي على الارض اليمنية.

• تطوير اوضاع الحزب الداخلية وتعزيز طابعه الكفاحي وتحسين مستوى العمل بالمبادىء المنظمة للحياة الحزبية الداخلية وابراز دوره في الممارسة كطليعة سياسية لجماهير شعبنا.

• توسيع القاعدة الاجتماعية للنظام من خلال تصحيح الاخطاء التي اضرت بالتحالف الوطني الديمقراطي وبمستوى مشاركة الطبقات والفئات الاجتماعية صاحبة المصلحة في الثورة الوطنية الديمقراطية في عملية البناء الوطني وادارة المجتمع وتوضيح سياسة الحزب تجاه هذه الطبقات والفئات الاجتماعية وتطوير التعبيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للتحالف الوطني الديمقراطي.

• صياغة السياسة الاقتصادية للنهوض الوطني الشامل وتوفير افضل الظروف لتطوير القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ورفع انتاجية العمل لتعزيز القدرة الاقتصادية للاقتصاد الوطني والتحسين المستمر لمستوى الشعب المعيشي ماديا ومعنويا.

• تطوير النظام الاجتماعي ونظام الدولة باتجاه اشاعة الديمقراطية بصورة متزايدة في حياة المجتمع وتوسيع مشاركة الجماهير في ادارة سلطة الدولة في تحمل اعباء النهوض الوطني.

• توطيد نظام الدولة الوطني الديمقراطي وتأكيد الشرعية الديمقراطية وسيادة القانون والنهوض بدور وفعل القانون واجهزة حماية الشرعية في حياة الدولة والمجتمع.

• التغلب على عوامل الخلل التي رافقت الوحدة الوطنية بتعزيز الطابع الوطني لمؤسسات المنظومة السياسية ورفع مستوى الوعي الوطني والطبقي ومعالجة الاثار الاجتماعية والسياسية والسيكولوجية الناجمة عن تلك الاختلالات.

• اعادة بناء المنظمات الجماهيرية بهدف تعزيز استقلاليتها وتفعيل دورها تجاه الجماهير التي تمثلها لتعبر بصدق عن مصالحها وتطلعاتها ولتساعد الحزب والدولة مساعدة فعلية في رسم وتنفيذ مهام الثورة اليمنية.

• اصلاح الاختلالات التي رافقت السياسات الثقافية والاعلامية والتربوية ومعالجة التخلف الذي تعاني منه وتأمين الظروف المناسبة لواكبة تطور العلم والتكنولوجيا وتشجيع المبدعين وضمان حقوقهم المادية والفكرية والعمل على تحقيق نهوض ثقافي وطني شامل.

• تحسين مستوى الخدمات الاجتماعية وفتح المجال امام المساهمات الاجتماعية ومساهمات الافراد في تطوير هذا القطاع.

وفي اتجاه تحقيق هذه الاهداف، تحدد الوثيقة مجالات ومحاور الاصلاح الاقتصادي والسياسي والتي نقتطف اهمها:

اولا: على صعيد حياة الحزب الداخلية:

وذلك بدراسة الاشكاليات الناشئة عن طابع المرحلة والحزب والسلطة وعن التداخل في الممارسة وفي الصلاحيات والمهام بين الحزب وهيئات واجهزة سلطة الدولة وكذلك المنظمات الجماهيرية وهي اشكالية مزدوجة وعلى درجة من التعقيد على مستوى المركز وعلى المستوى المحلي، والتوصل الى الاجراءات الضرورية للفصل بين وظائف الحزب ووظائف هيئات واجهزة سلطة الدولة ووظائف المنظمات الجماهيرية وتعزيز نفوذ وتأثير الحزب من خلال التركيز على النشاط السياسي والايديولوجي لاعضائه بين صفوف الجماهير وفي هيئات واجهزة سلطة الدولة والمنظمات الجماهيرية. ويتركز ذلك في اعادة النظر في بناء وتركيب هيئات الحزب القيادية والجهاز الحزبي من الادنى الى الاعلى،

Digitized by Birzeit University Library

وتنظيم التفرغ للعمل الحزبي حسب كمية ونوعية العمل، وتوسيع وتعميق الديمقراطية من خلال المراجعة الشاملة لنظام الانتخابات الحزبية من الادنى الى الاعلى بحيث تعطى للاعضاء فيه حقوق واسعة لانتخاب قياداتهم. ويأتي تأكيد الرفيق الامين العام المساعد سالم صالح محمد على قضية الديمقراطية بقوله: "نحن بأمس الحاجة لها في حياة الحزب الداخلية، فلا يمكن ان ننادي بديمقراطية المجتمع دون ان نعيشها في اطار الحزب، ونحن نناقشها، وستكون الدورة الانتخابية سابقة للمؤتمر العام الرابع في هذا العام، بتقاليد جديدة، منها الترشيح لمقعد واحد لاكثر من مرشح، وهذا الامر سيعزز الحياة الداخلية ويرفد الحزب بكوادر قادرة على الاستمرار، بالاضافة الى ايجاد آلية واضحة تنظم تعدد الاراء داخل صفوف الحزب وتنظيم المناقشات الحزبية العامة حول القضايا الرئيسية ذات الصلة بحياة الحزب الداخلية والتجربة والسماح لاعضاء الحزب للتعبير بحرية كاملة عن آرائهم تجاهها والرد على اسئلتهم وملاحظاتهم مع التشديد في الانضباط الحزبي عند تنفيذ القرارات، مع تأمين آلية الاستخدام الصحيح لمبدأ القيادة الجماعية بما لا يؤدي الى ابهات دورها من جانب وتعزيز المسؤولية الشخصية من جانب اخر بما يحقق سرعة البت في القضايا المطروحة في حينها.

ثانيا: على الصعيد الاقتصادي والاداري:

ويتركز ذلك في تطويق المشكلة الاقتصادية ودعم قطاعات الانتاج المادي والعمل على حل مشكلات قطاع الدولة وتعزيز كفاءته في تحقيق التراكم واعادة بناء القطاع التعاوني على اسس ديمقراطية وتشجيع الانتاج الفردي بوسائل اقتصادية تساعده على الاسهام في الانتاج البضائعي الصغير وتحفيز الرأسمال الوطني للمشاركة في بناء الاقتصاد الوطني، وتصحيح الاختلالات التي رافقت التنمية الاجتماعية والاقتصادية حيث تجاوز الانفاق على التنمية الاجتماعية القدرة الاقتصادية للبلاد وحيث تم التركيز على المشاريع الكبيرة بينما كان من المفروض الاهتمام بتشجيع الانتاج البضائعي الصغير وتوجيه الاستثمار مباشرة الى الانتاج، كما ان الانفاق الحكومي الكبير في المجالات غير الانتاجية وأثاره السلبية في توليد ضغوط تضخمية على الاقتصاد ولد طلبا على سلع وخدمات لا يستطيع القطاع الانتاجي المحلي توفيرها ولذلك يجد هذا الانفاق الحكومي المتزايد طريقة الى السوق الموازية التي تنشط خارج الاقتصاد المخطط بدون اشراف وسيطرة ودون مساهمات ضريبية او غيرها. اما تحسين مستوى استخدام الادوات الاقتصادية فبناء على سياسات واضحة وترابطة لسياسات الاجور، الاسعار، الائتمان، التخطيط والاقراض واعتماد بدائل للاساليب الادارية والسياسية في التحكم بالاقتصاد. ويجر ذلك الى تصحيح الاخطاء التي ارتكبت مع قوى اجتماعية كان يمكن الاستفادة منها في اطار السياسة الاقتصادية للنظام الوطني الديمقراطي لتسهم في مجالات الانتاج والتبادل والتوزيع وغير ذلك.

ويأتي العلم كوسيلة وحافز للبناء الوطني وتعزيز مساهمات الجامعة ومؤسسات البحث العلمي في عملية التطور الاجتماعي والاقتصادي.

كما تتطلب عملية الاصلاح شن حرب لا هوادة فيها ضد الظواهر السيئة في الادارة والقضاء على مظاهرها كالبيروقراطية والفساد والتلاعب بالمال العام وتعطيل قضايا المواطنين والتي من شأنها ان تؤدي الى الاسراف في المال وفي الزمن، والجهد وانتشار التذمر بين المواطنين وبالتالي عن تحقيق الاهداف المطلوبة وللتغلب على هذه

Digitized by Birzeit University Library

الاشكالية وغيرها تقدم الوثيقة حلولا تفصيلية واجرائية مما من شأنه تحسين الادارة الاقتصادية والحد من التشوهات في الاقتصاد ورفع انتاجية القطاعات العام، التعاوني والمختلط في الاقتصاد الوطني.

ثالثا: على صعيد سلطة الدول والقانون:

ان سلطة الدولة هي الاداة المعبرة عن ارادة الشعب فهو صاحب السلطة ومصدرها وهي الوسيلة الرئيسية لتجسيد ارادته في النهوض الوطني والتقدم الاجتماعي ولذا فان الاصلاح معني ببحث واتخاذ التدابير الضرورية لتفعيل هيئات واجهزة سلطة الدولة لكي تقوم بوظائفها في مجال التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحماية مكتسبات الثورة اليمنية.

وتبرز ضرورة الاصلاح في هذا الجانب في تصحيح الاختلالات التي رافقت تطور هيئات واجهزة سلطة الدولة وتطويرها في ضوء التعمق بدراسة الخصائص الوطنية والتقاليد التاريخية للشعب اليمني وايلاء العناية لبحث التأثير المتبادل بين هياكل ومكونات سلطة الدولة وبقية عناصر المنظومة السياسية الحديثة وتأثير البنى التقليدية والثقافية والسياسية والعادات والتقاليد في اطار التحويل الثوري للمجتمع على اسس ديمقراطية وتناول اسباب ضعف دور المؤسسات وبروز الافراد على حساب المؤسسات في ادارة السلطة وغيرها من التناقضات الموضوعية والذاتية التي تحكم تطورها، مع البحث عن صيغ مختلفة يجري من خلالها تعزيز دور الحزب القيادي في هيئات السلطة يراعى فيها الاستفادة من الكادر القيادي الحزبي الكفء والمجرب وتجاوز سلبيات تعدد موقع القرار في ادارة شؤون السلطة وذلك بدراسة اشكال واساليب متنوعة من ضمنها الدمج بين المسؤولية الحزبية والمسؤولية التنفيذية وبحث سبل اشراك الجماهير في اختيار هذه القيادات، وتعزيز دور ومكانة مجلس الشعب الاعلى في اطار سلطة الدولة باعتباره اداتها العليا من خلال تحسين اشكال ممارسته لمهامه وأساليب عمله وتعميق الممارسة الديمقراطية والعلنية في نشاط هيئاته وتعزيز مكانة نواب الشعب وتوطيد تقاليد جديدة في توطيد علاقتهم بالناخبين وفي اساليب عملهم النيابي وتوسيع القاعدة الاجتماعية للمجلس من خلال عدم السماح بالجمع بين عضوية المجلس وتقلد المناصب القيادية التنفيذية ودراسة امكانية ادخال مبدأ التجديد الدوري لاعضاء المجلس ودراسة اتجاهات تعزيز طابعه الوطني والاجتماعي. كما ان هذا يترافق مع البحث عن الاشكال المناسبة لاشاعة الديمقراطية على صعيد المجتمع ومراجعة المواقف الخاطئة تجاه قوى التحالف في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية في ضوء ما يطرحه الواقع في جنوب الوطن ومتطلبات النضال من اجل تحقيق الوحدة اليمنية وتعزيز العمل الوحدوي بين الشطرين وايجاد البدائل العملية التي تمكن من تعزيز وتوطيد هذا التحالف بقيادة الحزب. ويمكن البدء باحداث نقلة نوعية في وضع ونشاط المنظمات الاجتماعية وتأمين مستوى رفيع لاستقلاليتها النسبية لكي تعبر بحق عن مصالح وتطلعات الجماهير التي تندرج في عضويتها وتوسيع مساحة الرأي والرأي الاخر الوطني في وسائل الاعلام بما في ذلك اصدار الصحف المستقلة واصدار قانون للصحافة الذي يؤمن الضمانات القانونية والسياسية لاشاعة الديمقراطية ولعدم انحرافها عن مضامينها السياسية والاجتماعية ودراسة التعبيرات السياسية للتحالف الوطني الديمقراطي تحت قيادة الحزب بما في ذلك امكانية انشاء جبهة وطنية عريضة. ويقول

Digitized by Birzeit University Library

الرفيق حيدر ابو بكر العطاس - عضو المكتب السياسي ورئيس هيئة الرئاسة "ان عملية الاصلاح كمفهوم عام قد بدأت منذ العام ١٩٨٦، حيث حرص الحزب على الالتزام بالديمقراطية واتخذ العديد من الاجراءات العملية الهادفة الى توسيع ممارستها وذلك بالتوافق مع اشواق الجماهير الشعبية نحو تأكيد الديمقراطية من خلال مشاركتها النشطة والجريئة بمناقشة القرارات الهامة مثل العملية الانتخابية، والقضية الزراعية والاسكان والتربية وتجاوبا مع الحزب والدولة مع النقاشات الجماهيرية، فقد اتخذ خلال الفترة الماضية قرارات هامة تجاه المسألة الزراعية بهدف تصحيح اوضاعها كما أنزل للجماهير مشروع قانون جديد للانتخابات حظى بتفاعل حيوي عظيم. وحددت المادة ٤ من المشروع ان تكون جميع هيئات السلطة منتخبة ومحاسبة من قبل الشعب، وممثلو الشعب المنتخبون ملزمون بتقديم تقارير دورية عن اعمالهم الى ناخبيهم. كما ان مشروع القانون يفصل بين عضوية مجلس الوزراء وعضوية مجلس الشعب، ففي المادة ١٤ يأتي: أ) لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الشعب الاعلى وشغل الوظائف التالية: ١- الوزراء، ٢ - رؤساءالاجهزة المركزية، ٣- نواب الوزراء، ٤- المدراء العامون، ٥- رئيس واعضاء المحكمة العليا للجمهورية، ٦- المدعي العام للجمهورية. ب) لا يجوز الجمع بين عضوية مجالس الشعب المحلية وشغل الوظائف التالية: ١- مدراء المرافق، ٢- مدراء المؤسسات المحلية، ٣- مدراء فروع الوزارات، ٤- مدراء واعضاء المحاكم في المحافظات، ٥- ممثلو الادعاء العام في المحافظات.

ولذلك فان الاصلاح سيتجه الى وضع مبادىء وقواعد جديدة تعني بممارسة الوظيفة العامة وتحديد الحالات التي يكون فيها المسؤولون بمختلف مراكزهم عرضة للمحاسبة عن اي سوء تصرف او عدم اكتراث او اهمال للدستور والقوانين اثناء ممارستهم لواجباتهم في موقع المسؤولية ولا بد ان يتضمن التشريع طريقة تحديد التهم ضدهم ومساءلتهم والحالات الموجهة لعقابهم بصورة دقيقة كحالات سوء استخدام السلطة والاجراءات التعسفية - المسؤولية التقصيرية - التفسخ والتحلل الاخلاقي والاساءة الى مقتضيات الوظيفة او للمنصب ووضع المبادىء والاجراءات المتعلقة بادانتهم ومحاكمتهم. ويعتبر ذلك احد الضمانات الرئيسية لتطبيق الشرعية الديمقراطية واحترامها. وفي هذا المجال سيتجه الاصلاح لاتخاذ جملة من الاجراءات ذات الطابع التشريعي الموجهة نحو توطيد الاساس القانوني لحياة الدولة والمجتمع.

رابعا: على الصعيد الايديولوجي والثقافي والتربوي:

على مستوى العمل الايديولوجي والتربوي - السياسي ينبغي نبذ اساليب التلقين للفكر الاشتراكي العلمي واعادة الاعتبار لطابعه الابداعي الخلاق والعناية بدراسة الثقافة الوطنية اليمنية والفكر القومي التقدمي كأساس لا بد منه لترسيخ الشخصية الوطنية والاممية الجيدة ودراسة التمييز بين اساليب ومضامين العمل الايديولوجي داخل صفوف الحزب وبين أنصاره وبين العمل السياسي التربوي بين صفوف الجماهير وعدم الخلط بين العمل النظري والعمل الدعائي والعمل التحريضي ومخاطبة الجماهير بلغة مفهومة لها حسب خصائص الوعي السيكولوجية للطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة ومخاطبة عقول الكادحين بوسائل وحجج مقنعة والتخلي عن الاساليب الشكلية المضرة في العمل السياسي التربوي بين صفوف

Digitized by Birzeit University Library

الجماهير والابتعاد عن التقليد والحفظ والتكرار الميكانيكي والشكلية في تنفيذ برنامج التثقيف وربط النظرية باستمرار بالواقع العملي وتحليل المجتمع اليمني من حيث تركيبه وتطوره، ومناقشة التطورات الجارية في المحيط العربي والعالمي وتعميق التواصل بالثقافة والانتاج الثقافي في النطاق العربي والعالمي بما يؤمن تجاوز العزلة على المثقفين اليمنيين وايصال نتاجهم الى المحيط العربي والعالمي والسماح لهم بمواكبة المتغيرات والمنجزات الثقافية العربية والعالمية بمختلف اتجاهاتها وتياراتها، مع تصحيح المواقف الخاطئة في التعامل مع التراث العربي الاسلامي والوعي الديني والمتدينين وتوجيه نضال الحزب لاحداق التغييرات التقدمية في الوعي الديني بما يؤمن توظيفه ضد الاستغلال والظلم الاجتماعي وفي تعزيز القيم والاخلاق الثورية الجديدة وتأمين الانخراط النشط لجماهير المؤمنين في عملية البناء الوطني ودعم واسناد النزعات الديمقراطية في الايديولوجيا الدينية لمواجهة النشاط المعادي المتستر بالدين وايلاء الاهتمام بالمساجد والمؤسسات الدينية والقائمين عليها، وتحسين مستوى الاستفادة من المساجد والمناسبات والاعياد الدينية في العمل الوطني التربوي وايجاد المؤسسات الاكاديمية الخاصة بتأهيل ائمة وخطباء المساجد ورجال الدين ومدرسي التربية الدينية في المدارس والتي من شأنها، الى جانب التأهيل والتدريب، العناية باجراء البحوث الدينية وقيادة المواجهة المنظمة للنشاط المعادي المتستر بالدين، وكذلك العمل على الاستيعاب الافضل للتراث الوطني التقدمي والثقافة الوطنية التقدمية والتقاليد التاريخية للمدرسة اليمنية والتراث العربي الاسلامي والثقافة العربية التقدمية خصوصا في دروس اللغة العربية والتاريخ والدين واستثمارها لاحداث تغييرات جوهرية للشخصية وذلك في مجال التربية والتعليم، مع الاستفادة من التراث والثقافة الانسانية التقدمية ومستحدثات العلم والتكنيك بما يتناسب مع متطلبات الواقع اليمني والتحولات الجارية فيه ورفع دور العلوم والبحوث التربوية في وضع المقدمات للقرارات السياسية التعليمية ولاجراءات تطوير وحل مشكلات التعليم والتربية.

وقد شرع فعلا في التطبيق الفعلي للاصلاح الاقتصادي والسياسي. فقد اعلن السماح بالسفر الى خارج الجمهورية للمواطنين دون قيود. كما اتخذ قرار التنقل للمواطنين بين الشطرين بالبطاقة الشخصية. وفي الثلاثين من نوفمبر ١٩٨٩ قام الرفيق علي سالم البيض الامين العام للحزب والرئيس علي عبدالله صالح بالتوقيع على اتفاقية في عدن والخاصة بقيام دولة الوحدة والمصادقة على مشروع دولة الوحدة. وتضمن الاتفاق عرض مشروع الدستور على مجلس الشعب في الجنوب ومجلس الشورى في الشمال والمصادقة عليه في مدة اقصاها ستة اشهر. كما يعرض مشروع الدستور للاستفتاء الشعبي. وفي نفس الوقت نص الاتفاق على تنشيط لجان الوحدة والانتهاء من اعمالها قبل الموعد المقرر، ودعوة اللجنة السياسية المؤلفة من الحزب الاشتراكي اليمني والمؤتمر الشعبي لاعداد تصور حول مستقبل العمل السياسي في اطار دولة الوحدة وضمان مشاركة القوى السياسية الاخرى في الحياة السياسية.

وبالاضافة الى هذه المحاور والمجالات للاصلاح الاقتصادي والسياسي، والتي أبرزنا اهم جوانبها وليس جميعها، فان الاصلاح يشمل مجالي الامن والدفاع والسياسة الخارجية كذلك.

واذا كانت هذه الوثيقة قد تمت مناقشتها مؤخرا، فان عددا من الاجراءات الاصلاحية قد سبقت ذلك في مجال الزراعة والاسكان والتجارة، حيث سمح لاول مرة باصدار شهادات استثمار بالنقد الاجنبي والسماح بالاستيراد المباشر

Digitized by Birzeit University Library

لحاملي هذه السندات لعدد من السلع، التي كانت الدولة تحتكر استيرادها وتسويقها. ونحن نقول ان هذه بداية، وبداية هامة، وقد لا تخلو من الاخطاء والسلبيات، ولكنها خطوة ضرورية لتمتين صرح النظام الوطني الديمقراطي في اليمن الديمقراطي، وتحصينه من الداخل، وعلى طريق التحام الحزب بالشعب والمستقبل هو الحكم.

كتب هذا المقال قبل فترة من الزمن وتلى ذلك اجراءات عديدة لم نتمكن من تضمينها في المقال لظروف فنية، فقد اتخذت قيادة الحزب الاشتراكي اليمني قرارات هامة مثل حرية التعددية الحزبية وتشكيل الاحزاب، اعادة الاعتبار لعدد من القيادات والشخصيات الوطنية التي الحقت بها اضرار من جراء الممارسات السابقة الخاطئة والشروع بتوحيد عدد من المنظمات الجماهيرية كما تم الاتفاق بين قيادات الشطرين على الافراج عن المعتقلين السياسيين في الشطرين والغاء الشعب الامنية المضادة للشطرين في الشطرين... الخ.

جراء تراجع اسعار النفط!!

حوالي نصف مليون عاطل عن العمل في السعودية

● الرياض ـ بلغت البطالة في السعودية خلال العام الجاري رقما قياسيا لم تعرف البلاد له مثيلا من قبل. هذا ما اوردته اسبوعية «اضواء على العالم النقابي»، التي يصدرها اتحاد النقابات العالمي ومقره في براغ، في عددها الاخير.

واعرب اتحاد عمال السعودية عن قلقه العميق ازاء استفحال البطالة في السعودية جراء تراجع اسعار النفط، اذ بلغ عدد العاطلين عن العمل، وفقا للاحصاءات غير الرسمية، حوالي نصف مليون عاطل عن العمل.

وعزا اتحاد العمال السعودي هذا التطور الخطير الى سياسة الحكومة المتمثلة في ابقاء السعودية معتمدة على عائدات صادراتها النفطية فقط.

وتركت عواقب معدل البطالة المرتفع، آثارها على الشباب بشكل خاص. فقد انتشر تعاطي المخدرات نتيجة لاحباط العاطلين. وهي المشكلة التي تأثرت على نحو غير مباشر بممارسات اجهزة الامن، التي تتصدى للنضال من اجل ابسط الحقوق الفردية والجماعية، بما في ذلك حق العمل، من خلال سياسة الرقابة المشددة والانتهاك المتواصل لحقوق الانسان.

وقد ناقش المؤتمر الرابع لرجال الاعمال السعوديين لاول مرة مشكلة البطالة وضرورة الاهتمام بحلها. واعترفت الدوائر الرسمية بهذه الحقيقة في مقال كتبه المدير العام لدائرة الخدمة المدنية جاء فيه: «ان السبب الحقيقي وراء البطالة في البلاد يرجع الى وجود اعداد كبيرة من طالبي العمل غير السعوديين بمرتبات قليلة مع توفر المهارة وبشروط تعاقدية اكثر اغراء..»

وتشير الاحصائيات شبه الرسمية الى ان البطالة تشمل حاليا حوالي نصف مليون فرد، وهو رقم قياسي بالنسبة لمجتمع مثل المجتمع السعودي.

Digitized by Birzeit University Library

وجهة نظر صحفي:

منطق التغييرات

غومبوجافين اوتشيرات
البرت بين

عشية عام ١٩٩٠ اقتحمت موجة التغييرات حصون النظام الاداري الاوامري المتسلط في اوروبا الشرقية. وبلمح البصر طردت من المناصب القيادية كل من حاول اطالة فترة وجود الانظمة الستالينية الجديدة. وحرمت من احتكار السلطة الاحزاب التي حكمت لسنوات طويلة باسم الشغيلة. وخرجت الجماهير الشعبية نفسها الى مسرح الحياة السياسية.

وقد اطلع قراؤنا على تسلسل هذه الاحداث المدهشة ولعلهم انتبهوا الى الميزة التي اتصفت بها وهي ان ضغط الطاقة الشعبية قد عجل بصورة حادة في وتيرة هذه التغييرات. ومضت تسع سنوات من الاضرابات العمالية الاولى التي جرت في ميدان منح الشرعية الكاملة ل "التضامن" وتشكيل حكومة ائتلافية متعددة الاحزاب في بولونيا. واحتاجت المجر لما يزيد على السنة لاجراء اصلاحات سياسية واقتصادية جذرية. وفي المانيا الديمقراطية جرت التحولات الجذرية خلال بضعة اسابيع وكانت اسرع في كل من بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا. ففي براغ كانت تتغير الصورة السياسية على مرأنا. وسميت هذه التغييرات ثورة سلمية وحتى "ناعمة". وللاسف فان التحولات لم تجر في كل مكان بدون ضحايا. ففي رومانيا اصطبغ الطريق الى الحرية بالدماء. ولم يرد الديكتاتور وازلامه التخلي عن دفة السلطة الجائرة بشكل اخر...

يمكن القول بحق ان الاحداث العاصفة في اوروبا الشرقية هزت العالم. وهي اضافة الى ذلك طرحت اسئلة غير قليلة. فما هي الامور التي تكمن في اساس هذه التغييرات العنيفة؟ اهو التعطش الى التجديد، وتنقية المبادىء الاشتراكية من كل ما هو غريب ودخيل عليها، ام انه الرفض المتعاظم للانظمة التي اوصلت المجتمع الى الازمة؟ وما هي الحجج التي يمكن ان يقدمها الان انصار فكرة الاشتراكية لاولئك الذين كفوا عن الايمان بها؟ الا تؤدي التغييرات في اوروبا الشرقية الى زعزعة الصرح العالمي الذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية ولا يزال غير ثابت حتى الان؟

اسئلة واسئلة... والاجوبة بعيدة المعاني.

Digitized by Birzeit University Library

وتباعد الاراء واسع والتقويمات متقاطبة في الاغلب. وطبعا، فان اصحاب المعتقدات السياسية المختلفة يدركون العمليات الراهنة في عالم الاشتراكية بصورة متنوعة. والى جانب كلمات الموافقة والاعجاب والتأييد تتطاير الاسهم الانتقادية من مختلف الجهات. فاذا كان البعض يقدر هذه العمليات على انها "فشل" للاشتراكية وبرهان على عجزها، فقد رأى اخرون، فجأة، في البيريسترويكا السوفييتية والتغييرات في اوروبا الشرقية "انهيارا" للنظام الاشتراكي و "اعادة للرأسمالية". ومن الواضح جدا ان الحديث يدور هنا في المقام الاول حول ازالة النموذج الستاليني لاشتراكية الثكنات، الذي يحرم الانسان من حق اختيار نمط حياته بحرية والشعوب - من اختيار اشكال بناء الدولة والمجتمع. ان هذه الاشتراكية الخالية من الديمقراطية بالتحديد هي العاجزة فعلا ولهذا ترفضها الشعوب. وفي الوقت نفسه ما زالت الجماهير الواسعة مؤمنة بمثل المجتمع الانساني الحر والعادل. وجذر التشويهات التي حصلت في العالم الاشتراكي لا يكمن في الماركسية اللينينية بل في الانحراف عن جوهرها الانساني.

يتضمن هذا العدد من مجلتنا بعض المواد التي نأمل في ان تساعد القراء في الحصول على تصور اكثر موضوعية حول العمليات التي تجري الان في العالم الاشتراكي. والتغييرات تجري في مختلف القارات وبطرق مختلفة يتصف بها كل بلد، اذ ان طبيعتها واشكالها ووتاثرها ترتبط مباشرة بنضوج حالة المجتمع واستعداده للتحولات، وبقدرة الاحزاب السياسية على ادراك ضرورة التجديد الذاتي والبدء بعملية التغييرات الثورية الصعبة بل والمؤلمة في بعض الاحيان، في الوقت المناسب. واذا كان هذا الحزب او ذاك عاجزا عن ذلك فانه يخاطر بالبقاء خارج السفينة التي بدأت بالابحار.

ان كل الاحزاب التي حكمت دون شريك حتى فترة قريبة في بلدان اوروبا الشرقية هي اليوم في وضع صعب جدا وغير عادي. وليس من السهل حتى على الاحزاب التي بدأت قبل غيرها في التجديد الجذري على اساس المبادىء الديمقراطية لكي تؤكد ذاتها كقوة سياسية معاصرة قادرة عمليا على التعبير عن مصالح الشعب، ان تجد موقعا لها على ظهر سفينة التقدم. وتشهد على ذلك تجربة الاصلاحيين اليوغسلاف والبولونيين والمجريين. ولكن على ما يبدو ليس ثمة طرق بسيطة نحو الاهداف الجديدة.

يجب على شيوعيي كل البلدان الاشتراكية عمليا ان يجدوا اليوم اجوبة عن اسئلة صعبة، اذ ان كل بلد من هذه البلدان يعاني ازمة - بهذه الدرجة او تلك. ويمكن ان تكون الاسباب مختلفة. ولكن الاحزاب التي كانت تحتكر السلطة مسؤولة طبعا عن امور كثيرة. انها مسؤولة عن تشويه فكرة الاشتراكية مما الحق ضررا اخلاقيا كبيرا بقضية الاشتراكية، وعن تفويت فرص توفير الرفاهية المادية للجماهير الواسعة. ومهما كانت المرارة يجب ان نعترف بان عالم الاشتراكية لم يستطع الدخول بصورة عفوية الى مرحلة الثورة العلمية التقنية المعاصرة، ولم يتمكن من اكتساب العديد من اهم منجزات الحضارة المعاصرة.

ان الاحداث العاصفة في برلين وصوفيا وبراغ وبوخارست ذكرتنا من جديد بصورة قاطعة بالحاجة الملحة للجمع بين الاشتراكية والديمقراطية الكاملة التي لا يمكن اقامة اشتراكية حقيقية بدونها. ان هذه الاحداث وما اعقبها من تغييرات في اوروبا الشرقية تؤكد، مرة اخرى، ان زمن الديكتاتوريات والانظمة الاستبدادية وزمن النداءات والوعود الباطلة قد ولى، اذ من الضروري باسرع وقت ممكن تحقيق

Digitized by Birzeit University Library

انعطاف النظام الاجتماعي بكامله نحو الانسان وحاجاته ومصالحه وحياته، والاشتراكية لا مستقبل لها الا اذا كانت ديمقراطية وانسانية.

لا شك في ان المأساة الرومانية كانت اكبر هزة بالنسبة لكل العالم. طبعا، لم يعرف الجميع ما هو نظام تشاوشيسكو في الواقع. فالثورة الشعبية الرومانية فقط هي التي كشفت عن وجهه الفعلي. وعلى الرغم من ذلك فان اخبار انتهاكات حقوق الانسان وحالة الجماهير الواسعة الكارثية في رومانيا كانت تتخطى الحدود. وللاسف، يجب الاعتراف بان الرأي العام في اكثرية البلدان الاشتراكية لم يكن مطلعا على ذلك بالصورة المطلوبة.

ان هذا الشكل الخاص من الاخلاق السياسية انتشر منذ وقت طويل في كل مجال العلاقات بين الدول والاحزاب في عالم الاشتراكية، وذلك على الرغم من ان ادراك ضرورة العلانية بالمعنى الواسع لهذه الكلمة اخذ يترسخ، اكثر فاكثر، ليس في الاتحاد السوفييتي فحسب، بل وفي بعض البلدان الاشتراكية الاخرى ايضا. وبسبب التخوف من الاساءة الى الاصدقاء والزملاء واثارة خطوات سياسية معينة من جانبهم جرت التجزئة الدقيقة للمعلومات حول القضايا والصعاب والهفوات الفعلية في العديد من البلدان الشقيقة وتقديمها في شكل "جرعات" وحظر بعض المواضيع الحادة الاخرى تماما. ويجب الا نفاجأ بحقيقة ان التغييرات الجذرية في المانيا الديمقراطية وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا كانت مفاجأة للعديد من المواطنين في عالم الاشتراكية.

ومهما يكن من امر فقد اخذ بالانهيار النظام الاستبدادي الذي عمل على تجفيف مصادر المبادرة الشعبية. ومن الواضح ان التغييرات في اوروبا الشرقية تجري تحت تأثير البيريسترويكا السوفييتية وفي ظروف حرية الشعوب الكاملة في اختيار طريقها الخاص. ولا احد يفكر في تحويل التيارات الحديثة الى المجاري السابقة. واستطاع كل العالم ان يقتنع ان الزمن قد طوى نظريات السيادة المحدودة او المنتقصة وان كل بلد مستقل في قراراته واعماله.

ومما يستحق الاعتبار مسألة ان كل دول اوروبا الشرقية أدركت التزاماتها التحالفية في اطار معاهدة حلف فرصوفيا. وهذا شرط مهم لصيانة الاستقرار الضروري لكل بلد بمفرده ولاوروبا والعالم عموما. فالمرحلة الجديدة - المعقدة والعاصفة - للتطور الاوروبي ليست دربا مستقيما ومستويا ومضمونا. ولا يمكن استبعاد امكانية نشوء قضايا جديدة خطيرة في منطقة حيوية جدا بالنسبة لاوروبا والعالم. وسيرتبط العديد من الامور هنا بالثقافة السياسية للجماهير وبواقعية جيل السياسيين الحالي ومسؤوليتهم.

لا شك في انه لن يكون سهلا بناء الاشتراكية الديمقراطية والانسانية واحياء فكرة الاشتراكية التي افرغها النظام البيروقراطي الاوامري نفسه من جوهرها الانساني. وفي الاغلب هناك طريق طويل مليء بالعديد من المحن والمفاجآت.

ان التغييرات الثورية لم تحرر وتجدد الوعي الاجتماعي في بلدان اوروبا الشرقية فقط. فهي مثل كل ظاهرة جبارة جلبت البلبلة والارتباك ايضا واثارت الشباب بخاصة. وتشهد الاتجاهات المتطرفة والشوفينية اليمينية التي تظهر في بعض البلدان على عدم توازن الوعي الاجتماعي في ظروف التغييرات الجذرية. وتستغل بعض الاوساط الشعور القومي وايمان الشعوب بالقيم الديمقراطية والحرية وتحاول تشويه الجوهر الحقيقي للعمليات التجديدية.

وفي هذا الوضع المتوتر تقوم القوى اليسارية والاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان التي تجري فيها الاصلاحات، باعادة النظر في نظريتها

Digitized by Birzeit University Library

حول التطور الاجتماعي بصورة جوهرية وتعيد بناء عملها وبنيتها التنظيمية. وتكمن المهمة الاولى لهذه القوى والاحزاب في رص صفوفها بسرعة واذا اقتضت الضرورة في الخروج من حالة الصدمة التي اصيبت بها، للاسف، بعض الاحزاب وكسب ثقة الجماهير.

يمكننا قول شيء واحد بثقة وايمان: ان فكرة الاشتراكية اذ تكتسب مجددا روحا حية وتستوعب اماني البشرية الابدية حول العدالة والمساواة والحرية ستبقى دائما جزءا مكونا من الحضارة العالمية.

اثر تنامي الاعتداءات الفاشية

مناهضوا الفاشية يجددون نشاطاتهم الكفاحية في المانيا الديمقراطية

حيفا- من مكتب «الاتحاد» - « عشية الانتخابات البرلمانية التي جرت مؤخرا،كنا شهود عيان لنشاطات ومظاهر فاشية قوية، حيث احرقت اعلام الجمهورية والاعلام الحمراء. وخلال اعمال الشغب تم تحطيم الشبابيك،وقامت الفئات الفاشية باعتداءات على من يعارضون سياستها»

هذا ما جاء في البيان الذي أصدرته اللجنة ضد الفاشية في جمهورية المانيا الدمقراطية،ووصلت منه نسخة خاصة لجريدة «الاتحاد» ووقعه رئيس اللجنة الجديد بيتر بلورين.

وجاء في البيان:« كل الاحزاب التي شاركت في الانتخابات،اكدت بهذا الشكل او ذاك، وقوفها ضد كره الغرباء وضد تغيير الحدود وضد عدم التسامح ».

وتابع البيان:« لذلك نتوقع نحن، مناهضي الفاشية القدماء والجدد، من كل حكومة ستقوم ومن كل القوى السياسية في البلاد،اتخاذ موقف واضح وحازم وجدي، ضد المظاهر والنشاطات الفاشية، ان كان ذلك من خلال نشاطات عامة او اتخاذ قرارات حاسمة،ضد اي نشاط يميني متطرف. وتأييد نشاطات ومواقف مناهضي الفاشية دائما، وتوفير الحماية لهم ».

واكد البيان:« واجب علينا محاربة مظاهر الفاشية، احتراما للذين ضحوا بحياتهم خلال حكم النازية، من اجل الحياة الانسانية.ومن اجل المانيا الموحدة وجاراتها»

Digitized by Birzeit University Library

جمهورية المانيا الديمقراطية:

أهي نهاية الطريق

أم بداية جديـــدة؟

هكذا طرح السؤال عدد من علماء السياسة في جمهورية المانيا الديمقراطية في معرض نقاش حول الاشتراكية جرى في هيئة تحرير مجلة "هوريتسونت" الشهرية في برلين في نهاية تشرين الثاني ١٩٨٩. وقد شارك فيه يورفين كوتشينسكي وميخائيل بري وهيلموت ماتيس وروولف رايسيغ وماكس شميدت. ويطلب من هيئة التحرير قدم البروفيسور كوتشينسكي المادة الاتية هي عبارة عن توطئة لحصيلة هذا النقاش.

يجب ان يكون لدينا تصور واضح عن اننا في المرحلة الاولى للاشتراكية. لقد رأى لينين ان تفوق الاشتراكية الحقيقي على الرأسمالية يبرز في انتاجية اعلى للعمل. وعندما نبلغ هذا المستوى سيمكننا التحدث حول الاشتراكية المتطورة وسيكون لدينا وقتذاك المانيا الاشتراكية. اما الان فالتاريخ يتطور بشكل متعرج. والاشتراكية في المرحلة الراهنة ليست في صعود، لكن كل اشتراكي واثق من ان مرحلة النهوض ستبدأ قريبا. عندها سيتحدثون حول "معجزة توطد الاشتراكية". ولكن لا ولن يكون هناك اية معجزة. هنالك فقط عملية تاريخية حتمية ستؤدي بالضرورة الى تعزيز الاشتراكية.

تحول ديمقراطي في جمهورية المانيا الديمقراطية

يورغن كوتشينسكي. انني اعتبر التحول في منتهى العظمة لان جماهير الشعب هي التي حققته. لقد حدثت عندنا ثورة حقيقية. وعلى الرغم من انها لم تكن مدعوة لازالة النظام الاجتماعي، الا انه كان عليها في العديد من الجوانب تغييره تغييرا جذريا واصلاحه وتوطيده قبل كل شيء. فخلال العديد من السنوات واجهت في مختلف الاجتماعات استياء عميقا واناسا انتابهم اليأس نتيجة الاوضاع في جمهورية المانيا الديمقراطية وسياسة قيادة الحزب. وغالبا ما عبرت بصورة انتقادية عن

Digitized by Birzeit University Library

وجهة نظري بهذا الشأن... لقد اصبح الوضع اكثر فاكثر لا يطاق بالنسبة للناس والسواد الاعظم من اعضاء الحزب. واذا ما سألوني عن امكانات التجديد الذي بدأتموه فسأقول انني مفعم بالتفاؤل القلق.

ماكس شميدت. عندما يتحدثون عن ازمتنا العميقة، اجد انها فعلا ازمة حقيقية في مجتمعنا وبلدنا وحزبنا...

يورغين كوتشينسكي. يمكنني ان ادقق: ازمة قيادتنا الحزبية...

ماكس شميدت. فعلا، يجب القول ان سبب هذه الازمة هو قيادة حزبنا. غير ان الحديث لا يدور حول جمهورية المانيا الديمقراطية فقط. اذ بدأت في البلدان الاشتراكية الاخرى تحولات يجب ان تؤدي الى تجديد الاشتراكية. هل يعني ذلك ان الاشتراكية قد انهارت كفكرة؟ اقول، لا لم تنهر. وما نمر به اليوم وما تأخرنا جدا في ادراكه هو ازمة اشكال الاشتراكية واساليبها السابقة. انها ازمة النظام الذي يجب ان نفهمه كنظام ستاليني للاشتراكية.

يورغين كوتشينسكي. نعم ولكن خلال الحديث عن الماضي يجب عليك ان تستثني لينين وتلامذته في العشرينات. ففي عهد ستالين فقط بدأت تشويهات الاشتراكية. وحتى لو لم يوجد عندنا الارهاب الذي مارسه ستالين فنحن على كل حال اقتبسنا بنى الستالينية وعناصرها ومن ضمنها ذلك الاجماع الخارق في كل شيء. لو كان لينين على قيد الحياة لطرد ببساطة مثل هذه اللجنة المركزية او المنظمة القاعدية لانه كان سيعتبر اعضاءها اغبياء او عبيدا، وليس مثقفين.

ماكس شميدت. اعتقد اننا ارتكبنا دائما خطأ لدى التأكيد على اننا لم نقتبس النظام السوفييتي، وتذرعنا عند ذلك بالتباينات والفوارق. في الحقيقة، كانت موجودة، ولكن بالنسبة لاسس فهم وادراك مجتمعنا الاشتراكي كنا في قبضة التفكير الستاليني، وبموجب ذلك تم تنظيم الاشتراكية وبالاحرى تشويهها.

ميخائيل بري. لو درسنا دورة التطور للاشتراكية المركزية الادارية عندنا لاتضح ان بعض الميول التي نسبها لينين الى الامبريالية الاحتكارية تلازم هذا التطور ايضا، اذ بعد موجة من حالات النهوض المتراخية التي تتحول على الدوام الى ازمات وكذلك بالانحطاط الاخلاقي للقيادة وللجماهير جزئيا.

رولف رايسيغ. الاشتراكية هي حلقة في تعاقب التطور التاريخي العالمي وهي تحول ديالكتيكي. انها اول محاولة تاريخية عالمية لتشكيل مجتمع جديد تماما لا استغلال فيه.. طبعا لا يجوز فهم هذه المحاولة التاريخية العالمية على انها خط صاعد فقط، ولكنها ترتبط حتما بالجمود والنزاعات والازمات والبدايات الجديدة. غير اننا ولمدة طويلة لم نرغب في الاعتراف بذلك. لهذا يتوجب الان علينا حيث يبلغ تاريخ الاشتراكية اكثر من سبعين عاما التأكيد على ان الازمات تتكرر بصورة دورية مع اعراض مشابهة. وذلك في جميع البلدان الاشتراكية ومن ضمنها جمهورية المانيا الديمقراطية. ويجب علينا القطع بحزم مع النموذج السابق للاشتراكية، والمسألة مطروحة كالاتي: اما ان نتمكن من المباشرة باجراء تحولات ثورية وديمقراطية لجميع بنى الحكم الادارية البيروقراطية والمركزية التي كانت سائدة حتى الان وباختصار تبديل نموذج الاشتراكية، او ان ذلك سيعني تدهور الاشتراكية وموتها في نهاية المطاف. اعتقد ان فكرة الاشتراكية وتطورها بما في ذلك باعتبارها نظاما اجتماعيا ما زالت حية.

هيلموت ماتيس. ان الاشتراكية بالنسبة لي ليست في بداية الطريق او نهايته. انها تعاني ازمة في جميع انحاء العالم لان نهاية النموذج

Digitized by Birzeit University Library

الستاليني قد حلت. ويجب الان وضع مفاهيم جديدة. فليس في جعبتنا نموذج للاشتراكية يمكننا الحصول عليه بصورة جاهزة.

ما هي الاشتراكية الجديدة؟

يورغين كوتشينسكي. خلال ذلك لا يجوز ان نطرح باي شكل من الاشكال نماذج جديدة، بل يجب علينا، بالدرجة الاول، العودة الى المبادىء اللينينية وتطويرها لاحقا.

ماكس شميدت. وجدت في السابق قائمة كاملة من المعايير: الملكية الاجتماعية، سلطة العمال، الدور القيادي للحزب، الاقتصاد القائم على التخطيط... وغير ذلك. ولكن كان ثمة غياب لمعيارين بشكل تام. الاول هو ان الشعب يجب ان يكون ذا سيادة. والثاني - الانسان. فعلى الرغم من تأكيدنا الدائم ان جوهر الاشتراكية هو القيام بكل شيء من اجل الانسان الا اننا لم نتمسك بهذا المبدأ عمليا.

يورغين كوتشينسكي. هذا صحيح تماما. لنتذكر بيان الحزب الشيوعي الذي اعلن ان حرية الفرد هي المقدمة لحرية المجتمع اما نحن فقد فعلنا العكس.

ماكس شميدت. لذلك اعتقد ان سيادة الشعب بالمعنى الحقيقي للكلمة هي ما يميز الاشتراكية الاصيلة عن المجتمع البرجوازي. ثانيا، يجب ان يدور الحديث حول وضع الانسان وقواه الابداعية ونضوجه المدني في مركز الاهتمام فعلا واخضاع عمل الاحزاب والدولة لذلك، وبشكل خاص حول الفصل بين سلطة التمثيل الشعبي والسلطة التنفيذية والقضائية.

ميخائيل بري. لقد باءت بالفشل المحاولات التاريخية الرامية الى تحقيق تضامن يقوم على الحرية الفردية عبر اقتصاد السوق او اقتصاد الدولة على حد سواء. ذلك ان هذين الشكلين يلحقان الدمار بالطبيعة وبالطبيعة الانسانية ولا يقدمان اية آفاق. لذلك يجب علينا اتقان اشكال عصرية للتعميم وربطها في الوقت ذاته بالتطور الثقافي للذوات الواقعية. وعلى هذه الذوات ان تتطور في جميع مستويات المجتمع عبر المباراة الحرة.

رولف رايسيغ. يتضح مما قيل انه لدى وضع نظرية جديدة لا يدور الحديث حول اصلاحات تجميلية او تصحيح أخطاء محددة، فنحن بحاجة الى اساس استراتيجي نظري لتجديد الاشتراكية... وان مقياس نوعية النظرية الجديدة انما هو حاجات الانسان الفعلية ومصلحته اضافة الى آماله ورغباته وطموحاته.

اما المعايير الاخرى فهي في رأيي الفعالية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية ومجتمع ديمقراطي قائم على التعددية، يؤمن انتخاب سلطة الشعب السياسية بحرية واهم مراكز تحقيق هذه السلطة هي مجلس الشعب وليس المكتب السياسي، اي مجتمع يؤمن الحاجات الروحية والابداعية ويفسح في المجال لعملية تكوين الاراء بحرية، ويسترشد بالمتطلبات الايكولوجية الحديثة خلال تطوره الاقتصادي والاجتماعي...

هيلموت ماتيس. انني اشير بصورة خاصة الى القيم الاساسية المذكورة... ان المجتمع الذي نتصوره اشتراكيا يجب ان يقوم على اساس الاعمال الواعية للاعين الناس، علما بانهم جميعا كائنات عاقلة ويجب جذبهم الى عملية خلق الجديد. وكان احد اسباب تطورنا غير الصحيح يكمن في ان فئة ضيقة الى اقصى الحدود من الناس وفي نهاية المطاف اشخاص بمفردهم، استولوا على حق تحديد هذا التفكير التمهيدي وتطبيقه بشكل مطلق. ويجب علينا اليوم ان نهيىء المقدمات كي يصبح ملايين الناس بكل غنى عن افكارهم المعبرين الواعين للنظام الجديد.

Digitized by Birzeit University Library

ثم ان افضلية الاشتراكية تتجلى، في رأيي، في ان هذا النظام يملك افضل الاسس كي يجعل مصالح البشرية وبقاءها نقطة انطلاق لسياسته الدولية.

ميخائيل بري. ان جميع المصطلحات الوصفية تتضمن منحى من الصوفية. واعتقد انه يتوجب علينا ايجاد وتعريف اكثر دقة لقانون تقدم الاشتراكية السابق. ويجب البحث عنه في النزعة نحو تطويق المجتمع كله باشكال التعميم البيروقراطي. وترتبط بذلك حتما النزعة نحو تكثيف ومركزة جميع القوى الاجتماعية في قمة هرم الدولة. وفي النتيجة يتم اغتراب جميع القوى الاجتماعية التحتية. وارى ان الستالينية قد تبرز عندما يتم تحقيق هذا التمركز الجماعي لجميع القوى الاجتماعية والاغتراب الحقيقي المرتبط به، عن طريق حملات القمع والتنكيل الشاملة والابادة النفسية الجماعية، وعندما تنفصل مصالح النظام بشكل حاد عن مصالح الشعب. علما بان الاشتراكية الادارية يمكن ان تؤدي وظائفها ايضا في اشكال حضارية بالاساس وبدرجة عالية لمصلحة الناس ولهم. ولن اطلق على ذلك اسم الستالينية.

رولف رايسيغ. ان تحليل الستالينية ليس مسألة عبادة الفرد او التنكيل والتحريات الحزبية فقط. فالامر لا يتعلق، بالدرجة الاولى، بالتأثير في بنانا وفي نموذج اشتراكيتنا. وحتى لو حاول حزبنا اتخاذ مواقف مختلفة من العديد من المسائل عن الحزب الشيوعي السوفييتي، لما كان بامكاننا ان نتجنب تأثير الستالينية القوى في تطورنا. ويجب ان نبحث في ذلك بصورة علنية ومن منطلق الانتقاد ولكن مع الشعور بالمسؤولية وفصح كل شيء. وهذا شرط لا بد منه للتجديد الحقيقي فعلا.

ماكس شميدت. انا لا اخاف عموما من استخدام كلمة "الاشتراكية الديمقراطية"، فهذا ما نسعى اليه، حتى ولو ان الاشتراكيين الديمقراطيين استولوا على هذا المفهوم...

هيلموت ماتيس. اذا ما تحدث احد ما حول "الاشتراكية الديمقراطية" فانه يريد التأكيد ان الديمقراطية هي المسألة الرئيسية للتجديد. واذا دار الحديث حول تعريف نموذج نظري معين يتعلق بالاشتراكية الديمقراطية، فيجب عندها النظر الى ذلك بصورة مغايرة. حينما يتطلب ذلك تقويما من زاوية الاراء النظرية في كامل تنوعها.

رولف رايسيغ. ارى انه من الخطأ اصلا الانطلاق من ان تعميم وسائل الانتاج واقامة السلطة السياسية للطبقة العاملة سيؤديان بصورة آلية، كما يقال، الى نموذج اكثر تطورا للديمقراطية. لذلك فان الشعار الراهن الذي يدعو الى الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية بشكل اوثق صحيح تماما، لانه لا اشتراكية بدون ديمقراطية. وبهذا المعنى يجب الاعتراف بشيء رفضناه حتى الان، اي الاعلان عن اننا مع اشتراكية اكثر حرية وديمقراطية وانسانية. ولا يجوز ان نخاف من هذا التعريف او نعتبره تراجعا عن نظريتنا الاشتراكية. اذ تبرز فيه الصفات التي يجب ان تتميز بها الاشتراكية.

ميخائيل بري. يبدو انه يجب علينا الابتعاد عن التلاعب بالالفاظ والتعابير. فالاشتراكية هي التيار الروحي الاساسي الذي برز بعد عام ١٧٨٩ كرد على تكوين مجتمع عصري سادت فيه الرأسمالية. فالاشتراكية تطمح الى القضاء على استغلال الانسان للانسان (بما في ذلك استغلال الرجال للنساء)، والشعوب لشعوب اخرى والانسان للطبيعة. كما تسعى الى التطور المشترك المتفتح بحيث يقوم التضامن على حرية كل فرد بمفرده. لقد حولت الاشتراكية الادارية الوسائل التي كان من شأنها ان تكون في مراحل معينة وفي ظروف استثنائية، عقلانية جدا مثل ادارة الدولة للاقتصاد والديكتاتورية لصالح

Digitized by Birzeit University Library

طبقة واحدة وادخال الوعي وما شابه ذلك... حولت الاشتراكية هذه الوسائل الى اوصاف للاشتراكية حددت جوهرها. غير ان هذه البنى الاقتصادية والسياسية والروحية تبرمج في نهاية المطاف الركود والانحطاط، لانه تظهر ميول تسفر عن تدمير القوى المحركة للتطور الاجتماعي المعاصر وتدمير القابلية لصوغ الاهداف والاشكال الجديدة. ان للبنى التنافسية في الاقتصاد والسياسة والثقافة اهمية حاسمة من اجل توفير امكانية خوض النضال عموما في سبيل التطور التقدمي. وهذا يتعلق بالديمقراطية ايضا لانها تعتبر شرطا اوليا للاشتراكية.

حول جوهر عصرنا

رولف رايسيغ. على الارجح رأينا موحد في انه لولا الحزب الاشتراكي الالماني الموحد ولولا نشاط ملايين الحزبيين لما وجدت جمهورية المانيا الديمقراطية ولا الاشتراكية فوق الاراضي الالمانية. لكن لا جدال ايضا في المسؤولية الكبيرة التي تقع على عاتق الحزب وقيادته عن الازمة الراهنة. ولا يجوز تثبيت الدور القيادي قانونيا او فرضه اداريا. لا يمكن احراز القيادة التي عبر قيام الحزب باعداد مفاهيم استراتيجية وطرحها للنقاش، وتقديم الاطروحات التي تسعى لتحقيقها من خلال منظمات القاعدة وليس عبر التدخل الاداري. واخيرا يناضل الحزب في سبيل الحصول على الاغلبية في ظل التعاون المتكافىء مع احزاب سياسية متساوية الحقوق.

ميخائيل بري. اعتقد ان الحديث لا يتعلق بالدور القيادي لحزب واحد. وانما بنظام للمنافسة بين احزاب سياسية مختلفة، وبين المفاهيم تمكن من ممارسة السلطة السياسية لصالح الاكثرية الساحقة من الشعب التي اختارت هذه المفاهيم. عند ذلك يجب النضال في سبيل اجماع اشتراكي مجدد ومغاير حول المسائل الجذرية.

يورغين كوتشينسكي. لو طرح علي سؤال حول ما اذا كنا نمر الان في مرحلة انتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية، لاجبت بالنفي بكل وضوح.

ماكس شميدت. انني انطلق من ان تطور البشرية يتقدم الى الاشتراكية. ولكن حشر هذه العملية في عصر واحد وفي مرحلة محددة بل وتحديد المواعيد كما حصل وفقا لمفاهيم العصر السابقة، فاعتقد انه غير صحيح. لانه خلال ذلك يتم التغاضي عن ثلاثة امور. اولا، ان الرأسمالية قادرة تماما على النمو اللاحق، وبامكانها لا تطوير القوى المنتجة فحسب بل وتلبية حاجات الناس الى حد بعيد ايضا. ومن المعروف انها تخلق خلال ذلك تناقضات اجتماعية جديدة. والى جانب ذلك حصلت في الرأسمالية المعاصرة الراهنة عمليات متعددة للتعميم الاجتماعي. فهل بحثنا يوما بعمق وبجدية ما هو باق حتى الان في الرأسمالية وما الذي خرج عن اطارها؟ وهل نعرف اين تتكون في الرأسمالية المعاصرة اشكال جديدة للانتقال نحو اشتراكية من نوع خاص؟ ثانيا، تعيش الاشتراكية نفسها اليوم مرحلة تجديد نوعي، ونحن اليوم بصدد ثورة اشتراكية ثانية. ثالثا، لا يمكننا بالطبع لدى تحديد عصرنا استثناء العدد الكبير من البلدان النامية التي تقطنها اغلبية البشرية الساحقة. فلم تؤخذ في الحسبان بعد مسألة المدة الزمنية التي ستحقق فيها تلك البلدان هذا الانتقال.

هيلموت ماتيس. ما زالت الاشتراكية مدرجة على جدول الاعمال... ونحن الان بصدد انهيار محاولة تحقيق طراز محدد من الاشتراكية بالدرجة الأولى. علما بان الوضع يختلف من بلد لاخر. غير ان النزوع نحو مجتمع جديد وتقويم

Digitized by Birzeit University Library

جديد لما تم تكوينه موجود اليوم ايضا. لن ننسى ان هذا العالم قدم الكثير من اجل تقدم البشرية، ويجب علينا ان نستفيد نحن ايضا ومن اجل انفسنا من كيفية استيعاب الرأسمالية المعاصرة للثورة العلمية التقنية مثلا. فهذه مقدمة لتطور البشرية اللاحق.

ميخائيل بري: يدور الحديث حول عصر تكوين اشكال عالمية واقليمية تقدمية لحل القضايا الكونية الشاملة. وتنجم عن ذلك متطلبات مماثلة من النظامين ومن جميع المناطق. لكن بما ان الانظمة مختلفة فستكون اجاباتها متباينة غير انه سيتوجب عليها السير في اتجاه واحد للتقدم.

رولف رايسيغ: لقد تم تبسيط امور كثيرة لدى تحديد العصر في الماضي. وارتبط ذلك بالمواعيد مثلا انني اذكر التقويم الذي اقره حزبنا والذي بموجبه سيصبح القرن العشرين عصر الانتقال الى الاشتراكية. ويعود ذلك الى التحديد الوحيد الجانب للفكرة القائلة ان الاشتراكية تمثل خطا صاعدا بينما الرأسمالية تسير نحو الهبوط اي نحو الازمة. لقد ادرجنا بين مواصفات العصر امورا كثيرة لم تتحقق، فاكدنا بشكل خاص ان جميع البلدان ستتخلى عن التطور الرأسمالي الواحدة تلو الاخرى وتتقدم نحو الاشتراكية. ان هذه الاستنتاجات والكثير سواها كانت اخطاء فاحشة جدا. ولذلك يتوجب علينا لدى تحديد العصر الانطلاق من الوقائع الجديدة وتحديد مضمونها بشكل جديد. عند ذلك تبرز في المقدمة مواصفات تعايش الانظمة الاجتماعية الاقتصادية المختلفة، وتنافسها والنضال في سبيل نوعية جديدة للتقدم الاجتماعي. ليس هناك انتقال تلقائي الى الاشتراكية، وعلى الرغم من ذلك فانني واثق من ان الاشتراكية تمثل فرصة لتطور البشرية منفتحة على العالم.

ان السياسة التي مورست داخل البلاد كلفتنا كثيرا من ناحية النفوذ الدولي، لذلك انا سعيد لان الاهتمام بجمهورية المانيا الديمقراطية بدأ يتعاظم من جديد بفضل التحول الذي بدأ. وفي الحقيقة لاحظت اتجاهين: تنطلق القوى البرجوازية المحافظة من ان الاشتراكية في ازمة عميقة لدرجة تنعدم معها اية فرصة للبقاء، ويسحبون ذلك على التقويم على جمهورية المانيا الديمقراطية. والاتجاه الثاني - يعكس الامل في ان تتمكن جمهورية المانيا الديمقراطية من تحقيق بديل اجتماعي وديمقراطي وانساني واشتراكي اصيل على الارضية الالمانية باجماع كل القوى الاجتماعية. ويمكن لجمهورية المانيا الديمقراطية، ولا اريد للوقوع في المبالغة، ان تصبح المعبر عن أمال جميع قوى اليسار في اوروبا...

ميخائيل بري: من التبسيط المفرط الاعلان ان جمهورية المانيا الاتحادية هي "رأسمالية" ووضع كل الامور في سلة واحدة. ان هذه الروح الانعزالية كانت سمة مميزة للشيوعيين الذين ابعدوا انفسهم عن ادراك العمليات في البلدان الغربية. لدينا طريق واحد مع الذين يريدون حل ازمة تطور المجتمع الصناعي الغربي بصورة تقدمية، ويناضلون ضد بنى رأس المال الاحتكارية.

ماكس شميدت: اعتقد ان ما يجري الان، اي الحركة الشعبية التي تقوم من الاسفل، وتجديد الاشتراكية، وتأكيد الديمقراطية والانتخابات الحرة التي ستجري قريبا، كل ذلك انما هو تجسيد لحق شعب جمهورية المانيا الديمقراطية في تقرير مصيره بنفسه بروح جديدة، وهذا بالنسبة لي تجديد لشرعية وجود دولتنا . ولذلك فانني ارى ان اشياء كثيرة جدا تتوقف على هذا التجديد بمعنى وجود واصالة جمهورية المانيا الديمقراطية. والمسألة الثانية تتلخص في انه يتوجب علينا التخلي عن نظرية الامتين

Digitized by Birzeit University Library

المتطورتين. عندنا اليوم دولتان للشعب الالماني. وبالتالي ثمة في علاقاتهما عنصر قومي عميق. ويعني استخدامه بالنسبة لنا ضرورة تطوير علاقات الشراكة بصورة بناءة بين جمهورية المانيا الديمقراطية وجمهورية المانيا الاتحادية. لقد ظهر مفهوم المجتمع الدولي القانوني المتفق عليه. ويمكنني ان اضيف "مع عناصر كونفدرالية" تتيح التنسيق بين قضايا الامن والتعاون الاقتصادي والايكولوجيا وكل المجال الانساني... الخ. يجب على الدولتين تثبيتها بشكل مؤسساتي، الامر الذي سيؤدي الى نشوء حسن جوار قائم على المساواة الكاملة يندرج في اطار عمليات التطور في اوروبا. يضاف الى ذلك وجود المسألة الالمانية التي يعتبرها جيراننا في الشرق والغرب وشعبنا بالذات وفي الحقيقة العالم باسره. مسالة امن.

رولف رايسيغ: تسترشد سياستنا بمبادىء اقامة علاقات وثيقة جدا بما في ذلك علاقات تعاون ومشاركة مع جمهورية المانيا الاتحادية. وانطلاقا من ذلك اخذ الحديث يدور حول المجتمع التعاهدي. ونحن نتخذ موقفا ايجابيا من هذا المفهوم. على امل ان تقوم جمهورية المانيا الاتحادية من جانبها بالتقاط هذه الفكرة واغنائها باقتراحات وتصورات بعيدة المدى. اما بالنسبة للبرنامج المتالف من النقاط العشر الذي تقدم به المستشار الاتحادي حول اعادة التوحيد فيجب علينا ان نشير بكل حزم الى عدم السماح باستغلال التغيرات الحاصلة في جمهورية المانيا الديمقراطية من اجل تجديد الاشتراكية، واستغلال ازمتها الراهنة من اجل ابتلاعها.

يورغين كوتشينسكي: بودي الاشارة الى انني لم ارفض يوما مفهوم الامة الالمانية. وعليه كنت على قناعة راسخة بان على الدولتين الالمانيتين في الظروف الراهنة ان تكونا منفصلتين وان لكل منهما اصالتها الذاتية الخاصة والفريدة. ولكن لا يجوز نسيان الألف سنة السابقة بسبب ال ٤٥ عاما الاخيرة. وفي الختام اريد ان اضيف فكرة اخرى. على الرغم من انني لن اتمكن على الاغلب من ان اكون شاهدا على هذا الحدث، حتى ولو قدر لي ان اعيش مائة عام، فانني لن اتخلى عن الحلم باقامة المانيا الاشتراكية حتى اليوم الاخير في حياتي.

Digitized by Birzeit University Library

تشيكوسلوفاكيا

الاشتراكية ملك الحضارة

فينيك شيلهان

(بروفيسور)

مؤلف هذه المقالة باحث علمي واستاذ انتخب في المؤتمر الاستثنائي الذي عقد في فيسوتشاني في آب ١٩٦٨ سكرتيرا للجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، وترأس لمدة اربعة ايام اللجنة المركزية لحين عودة الكسندر دوبتشك من موسكو. واصبح بعد فصله من الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي عاملا عاديا، وفيما بعد، عاملا في جمعية تعاونية سكنية. نشر العديد من المؤلفات العلمية والسياسية، وهو احد مؤسسي وقادة النادي من اجل اعادة بناء الاشتراكية "اوبرودا"، وهو نائب في المجلس الفيدرالي لجمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية منذ نهاية كانون الاول ١٩٨٩ وعميد المدرسة الاقتصادية العليا في براغ منذ كانون الثاني ١٩٩٠.

لقد كانت نهاية العام المنصرم عاصفة بالنسبة للبلدان الاشتراكية في شرق اوروبا ووسطها. ويدل كل شيء على بدء نهاية عصر كامل من تطور الاشتراكية. فقد انهار في البلدان الاشتراكية الممتدة من بحر البلطيق حتى البحر الاسود خلال عدة اشهر بالحرف نظام سيطرة حزب سياسي واحد في المجتمع، سيطرة لا يقاسمه فيها احد. اذ جرى في هذه البلدان الغاء المواد الدستورية التي تنص على الدور القيادي للحزب الشيوعي وعلى ان الماركسية اللينينية هي فلسفة الدولة.

وقد نضجت هذه العملية خلال العديد من السنوات وبرزت في نهاية المطاف على شكل ثورة ديمقراطية. والمفارقة ان تكون حراب هذه الثورة موجهة ضد احتكار الاحزاب الشيوعية للسلطة، اي ضد تلك الاحزاب بالذات التي وصلت في حينه الى الحكم على موجة الحركات الشعبية الحقيقية ونتيجة الثورات الشعبية الديمقراطية والاشتراكية. وقد تبين ان الانظمة السياسية القائمة في هذه البلدان غير مستعدة لاجراء اصلاحات بالوسائل التي تملكها. غير ان **الغاء احتكار الاحزاب الشيوعية للسلطة لا يعني**

Digitized by Birzeit University Library

ابدا تصفية مجمل محتوى وجوهر النظام الاجتماعي الاقتصادي للاشتراكية ونفيه.

لا شك كذلك في ان العمليات الجارية في اوروبا الشرقية تؤثر تأثيرا جوهريا في العالم المعاصر المتناقض الذي تطور في اجزائه الواسعة حتى الان بشكل مستقل، واتسم بخلافات وتباينات نوعية بين طرق تطور العالم الشيوعي وبين ما يسمى بالبلدان الراسمالية. وتتعاظم في الوقت الراهن النزعة نحو توحيد العالم التي تتيح المجال امام احلال القيم والطموحات الانسانية العامة بصورة تدريجية محل المواقف الطبقية الانعزالية العقائدية الجامدة التي يتم تفسيرها بشكل مبسط. وستسقط خلال هذه العملية تلك القوى التي لها مصلحة، بغض النظر وراء اي جانب من "المتراس" تقف، في استمرار وجود العالم المنقسم والمتصارع والمنعزل.

لقد اصبحت الثورات الديمقراطية في البلدان الاشتراكية نقطة الانطلاق على طريق تشكيل انظمة ذات تعددية سياسية ونحو انتخابات ديمقراطية حقة. وتحاول هذه البلدان على الصعيد الاقتصادي تجاوز العزلة التي تعانيها في السوق العالمية والانخراط في النظام الاقتصادي العالمي القائم على اساس آلية السوق. وان تطور الاحداث بهذا الشكل يطرح العديد من الاسئلة التي يتوجب البحث عن اجوبة لها بصورة دؤوبة وخطوة اثر خطوة.

ما هو هذا النظام الذي لم يصمد امام امتحان التاريخ؟ ولاية درجة كان متناسبا مع الاشتراكية والحركة الاشتراكية؟ ما هي تلك القوى التي قوضت هذا النظام المتماسك والمتلاحم في الظاهر وافضت به الى الازمة والانهيار؟ وهل جلب هذا النظام شيئا ما جديدا وايجابيا لتطور المجتمع الانساني؟ ام كان ذلك خطأ ادى منذ البداية الى المأزق التاريخي؟

تتطلب الاجابة عن هذه الاسئلة والكثير غيرها اجراء تحليل عميق وشامل لمجمل التطور. وارى ان من واجبي في هذه الحالة طرح وجهة نظر انسان امضى نصف حياته الواعية في صفوف الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي. وفصل منه بعد دخول قوات خمس بلدان معروفة الى تشيكوسلوفاكيا، والنصف الاخر من حياته كان يحسب بين صفوف المحرفين اعداء الثورة والاشتراكية.

لم تتم حتى الان في اي مكان من العالم اقامة نظام ديمقراطي اشتراكي اصيل. غير ان ذلك لا يعني ابدا استحالة اقامته.

منذ اكثر من ٤١ عاما اصبح الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي حزبا قائدا في تشيكوسلوفاكيا. وقد لقي برنامجه في تلك الفترة تعاطفا وتأييدا كبيرا من الشعب وكان ذا نفوذ وهيبة سياسية، لانه اخذ في الحسبان ظروف البلاد وتقاليدها وعبر عن مصالح الشعب التشيكوسلوفاكي في سياق تناسب القوى الجديد الذي تكون في العالم وفي اوروبا بعد الحرب العالميةالثانية، كما ربط بنجاح بين القيم الوطنية والديمقراطية وبين قيم الاشتراكية. غير ان الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي تراجع عن هذا البرنامج الوطني بعد ان عزز مواقعه كحزب سياسي قائد، وتسلح من حيث الجوهر بنموذج النظام السياسي الستاليني واخذ يطبق الاساليب الستالينية في بناء وتطوير الاقتصاد والثقافة والمجال الاجتماعي. كما بدء يفسر نظرية ماركس نفسها حول الاشتراكية والايديولوجية الماركسية انطلاقا من مواقع ستالينية.

لقد بدأت تسود تدريجيا في الثقافة السياسية وفي المؤسسات الاجتماعية والحياة الروحية لتشيكوسلوفاكيا عناصر غريبة وغير وطنية حتى ان تقاليد الشعب التشيكوسلوفاكي، اخذت تتكيف معها. ولم تتضح حتى الان ظروف وآليات

Digitized by Birzeit University Library

هذه التغييرات في سياسة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ونشاطه العملي وما زالت تمثل "بقعا بيضاء".

ولكن من الواضح تماما ان هذه التغييرات جرت عبر مساهمة نشيطة جدا للقادة الحزبيين في تلك الفترة التي تناسبت مع تفكيرهم الانعزالي الجامد عقائديا وتصوراتهم حول الاشتراكية والرسالة التاريخية للحزب في حياة المجتمع. وقد تضافر الجمود العقائدي والانعزالية المحليان واندمجا مع العنف والثقافة السياسية للمذهب الستاليني. وكان هذا التعايش يميز حياة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ونشاطه خلال عقود.

تسعى التساليينية كنظام الى احكام سيطرتها المطلقة على المجتمع وعلى كل مظاهر حياته اليومية ولو كانت قليلة الاهمية. وينحصر جوهر هذا النظام في اخضاع الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والروحية للمجتمع وكل فرد فيه الى مركز سياسي اقتصادي واحد يعمل بصورة مستقلة عن المجتمع. واصبح الحزب الشيوعي وجهازه هو هذا المركز بالذات.

ان السعي نحو السلطة المطلقة هو من الطبيعة الخاصة للستالينية. وقد اصبحت تجسيدا لاعمق اغتراب للسلطة السياسية والاقتصادية عن المجتمع والانسان.

وقد حاصرت الستالينية وممارستها السياسية على امتداد سنوات طويلة بصورة تدريجية الطريق نحو الديمقراطية محاصرة تامة وقطعت جميع الصلات التقليدية المثمرة مع المنجزات السابقة للتطور الديمقراطي. كما قضت الستالينية على الديمقراطية الثورية وارسلت ممثلي هذه الديمقراطية وكذلك ممثليها المحتملين الى ساحات الاعدام وزجت بهم في السجون او حصرتهم في غيتو سياسي واجتماعي. وبهذا المعنى فان الستالينية خانت بالفعل مثل الحركة الاشتراكية وتقاليدها وسحقت جوهر الاشتراكية الانساني. كما اسفرت اشاعة الاشتراكية على الطريقة الستالينية عن اضفاء طابع الدولة على وسائل الانتاج واوجدت نظاما يسيطر على المجتمع سيطرة تامة ومطلقة. وقد رسخت السيطرة تدريجيا في المجالات الاقتصادية وغيرها من مجالات الحياة الاجتماعية البنى الحزبية الحكومية البيروقراطية التي حدّت في البداية من المؤسسات الديمقراطية الاجتماعية والانتاجية والاستهلاكية والسياسية التي كانت موجودة في السابق تقليديا ومن ثم ابعدتها عن قيادة البلد بصورة كاملة.

وبدأت الدولة تبتلع اكثر فاكثر المجتمع المدني الديمقراطي. كما تم القضاء بشكل تام على التعددية في مجال الاقتصاد والسياسة. وتم بموازاة ذلك قمع جميع المظاهر الديمقراطية لحرية الفكر وتعددية الاراء وحقوق الفرد والمواطن. وتحولت الاشتراكية، التي كان يجب ان تكون من صنع اناس احرار ومنع مؤسساتهم الديمقراطية، الى نظام حكومي وحزبي للاجهزة البيروقراطية.

لقد ادى مثل هذا التطور الى تحديد التنابذ والتباعد العميقين بين الدولة والمجتمع وبين السلطة السياسية والمجتمع. ومن الطبيعي تماما ان يقود كل ذلك الى فقدان الدينامية الاصلية للتطور الاقتصادي والمبادرة والى تقليص القوى الذهنية والابداعية للشعب والانتقاص من الحقوق والحريات الديمقراطية. كما كان المجتمع مقموعا بنظام متكامل من التنظيم والاوامر والمحظورات والقمع الملاحقة السياسية. وجرى تبديد الكثير من القدرات المادية والثقافية وقضي على العديد من الارواح البشرية دونما طائل.

واليوم تعاني جميع البلدان التي كانت الاحزاب الشيوعية فيها هي القوة القائدة، او ما

Digitized by Birzeit University Library

زالت، ازمة عميقة. ويعود جوهر هذه الازمة الى فقدان الديمقراطية في حياتها الاجتماعية. وقد اصبحت كلمة "الاشتراكية" تعني بالنسبة للكثيرين مفهوما ايديولوجيا فارغا، وان الاعمال والعمليات الملموسة المحددة بكونها "اشتراكية" اما انها تعمل بشكل سيىء او لا تعمل اطلاقا. فالاقتصاد غير ناجح وغير فعال وغير منظم بشكل اقتصادي ويتم تبديد موارد بشرية هائلة سدى، وهناك تخلف جوهري في التطور العلمي التقني وفي انتاجية العمل عن البلدان المتطورة اقتصاديا. ويلاحظ تدهور في الاخلاق. ولا يساهم الناس في القيادة السياسية لان السلطة السياسية تحولت الى سلطة مطلقة لحزب واحد او بالاحرى لقيادته، على جميع السكان.

لقد دفعت الاحزاب الشيوعية ثمنا باهظا لقاء الاستخفاف بالنظرية وبالموقف الابداعي منها، ولقاء عدم الرغبة في اجراء تحليل نظري عميق للواقع، وابعاد المبدعين وحاملي الافكار الحقيقيين عن الامور، كما سيطرت في هذه الاحزاب النزعات نحو السلطة القوية لدائرة ضيقة من الاشخاص. وهذه الاحزاب التي تخلت عن اتخاذ موقف ابداعي فكري تحليلي من الحياة، وجدت نفسها على طريق زائف يؤدي الى تفسخها. وهذا ليس فقط لانها لم تستطع عكس التحولات والاتجاهات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية بصدق. بل لانها لم تتمكن ايضا حتى من تطوير وتطبيق بعض مبادىء النظرية الماركسية نفسها في الواقع وبصورة ابداعية مثل مبادىء اضمحلال وزوال الدولة وكذلك اضمحلال الاحزاب في ظل الاشتراكية، ومبدأ دولة عموم الشعب كمرحلة جديدة في تطور المجتمع الاشتراكي. لم تعر اهمية لهذه المسائل، وانما على العكس من ذلك كانت وبدرجة ما محظورة. وسادت ايديولوجية الجمود التي تهدف الى الدفاع عن الوضع الذي تكون في بلدنا وعما يسمى الاشتراكية الواقعية التي لم تبحث ولذلك لم تقترح اي طريق للخروج من الظواهر المتأزمة او اية حلول ملموسة تأخذ المستقبل في الحسبان.

غير ان الاشتراكية باعتبارها المثل الاعلى للنظام الاجتماعي والمبدأ الملهم والخلاق لم تفقد جوهرها بالنسبة للعديد من الناس وما زالت جزءا لا يتجزأ من تاريخ شعوبنا المعاصر. ويدرك هؤلاء الناس ان الاشتراكية لعبت دورا بارزا في تحرير الانسان، وان فلسفتها ومواقفها الحيوية اغنت الوعي الانساني والثقافة. وبايجاز يثق الناس ان الحركة الاشتراكية قادرة على التغيير وتملك القدرات الروحية والاخلاقية اللازمة لذلك، ولديها امكانات لان تعكس نفسها وتقوم بتحليل انتقادي لوظيفتها على اساس فلسفتها الانسانية بالذات وتأريخها الخاص. ان مثل هذه الثقة بقدرة الاشتراكية على القضاء على تشوهات واخطاء الماضي والكشف عن قدراتها الانسانية والروحية والاخلاقية والابداعية. يمكن ان تساعد اليوم ايضا على البحث عن طرق الخروج من الازمة الاقتصادية والروحية والسياسية التي تكتنف المجتمع. **ان جوهر الاشتراكية ومعناها لا ينحصران فقط في الحفاظ على قيم الحضارة الانسانية والانتاجية والاجتماعية الموجودة الآن ومضاعفتها، وهي قيم ورثتها من التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية السابقة، بل يتجليان، بالدرجة الاول، وفي انه كلما تطورت اشاعة الديمقراطية في الحياة الاجتماعية توجب القضاء على اي شكل من اشكال انعدام الحقوق وطرح مبادرات جديدة مفعمة بمضمون عميق، وخلق قيم جديدة في الحياة الروحية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية لم يوجدها اي مجتمع اخر ولم تكن متوفرة فيه.** والا فان مفهوم

Digitized by Birzeit University Library

"الاشتراكية" نفسه سوف يفقد المعنى وبعده الانساني.

لقد كانت السمة الميزة الاساسية للحركة الاشتراكية منذ بدايتها او وثائقها البرنامجية اعارت اهتماما خاصا لمسائل حقوق الانسان والحقوق الاجتماعية كأساس لتأكيد الاشكال الديمقراطية للحياة وتثبيتها. ويجب على الافراد والمجموعات والاحزاب السياسية التي تعلن اخلاصها للاشتراكية الحقيقية ان تطور باستمرار وثبات هذا الارث التاريخي وبعده الانساني.

يتوجب على جميع المجموعات والاحزاب التي تتخذ مواقف اشتراكية ان تنطلق، بالدرجة الاولى، خلال عملية البحث عن وجه جديد للاشتراكية، في توجهاتها البرنامجية من الملاءمة الوظيفية لجميع العمليات المتعلقة بالاشتراكية سواء كانت في الاقتصاد او في مجالات الحياة الاجتماعية الاخرى وان تؤثر بالتالي في دينامية هذه العمليات ومحتواها. ان بعض التغييرات التي تحققت في السابق في الاقتصاد وفي مجالات الحياة الاجتماعية الاخرى لم تملها مطلقا الحاجات الاقتصادية او الاجتماعية وانما المصالح الانعزالية العقائدية الجامدة الضيقة. وعلى هذا النحو جرت تصفية المنتجين الصغار والحرفيين وطبقت اساليب الاكراه في انشاء التعاونيات في الزراعة وتم اضفاء طابع الدولة على الحركة التعاونية ومجالات الحياة الاخرى.

كان من المفروض على مجتمع الاشتراكية ان يتيح المجال لاستخدام كل خلية من خلايا الكيان الاجتماعي بصورة مثمرة بحيث تقوم بوظيفتها بشكل ناجع. ولاجل ذلك كان يجب ان يكون بمقدور كل خلية احتلال موقعها المناسب في مجمل العلاقات الاجتماعية وان تشارك بنشاط في تكوين وتطوير منظومة هذه العلاقات وان تبرز كوحدة تؤدي وظائفها وقابلة للحياة وضرورية. من الواضح جدا انه من المستحيل تحقيق ذلك دون وجود مسابقة واحترام للخلايا الاخرى الموجودة في الكيان الاجتماعي ومصالحها. والديمقراطية ضرورية كي تتمكن جميع خلايا الكيان الاجتماعي من اظهار مواهبها بشكل تام خلال التنافس بين بعضها البعض. **ان الديمقراطية هي الجزء المكمل لوجه الاشتراكية الجديد ونوعيتها الجديدة. ويمكن للاشتراكية ان تصبح كيانا اجتماعيا ديناميا يؤدي وظائفه عبر الديمقراطية فقط.**

ان الديمقراطية ليست مجرد اداة لتحقيق عمليات اشاعة الاشتراكية في بعض المجالات الاجتماعية وانما اساس هذه العمليات ووسيلة لتطويرها بثبات. وهذه هي الطريقة الوحيدة لوجود الكيان الاشتراكي الاجتماعي. ولذلك من الضروري ايجاد تلك الظروف. التي تظهر فيها علنا مختلف اشكال المصالح والاراء الاجتماعية وتتعارض، وتشحذ فيها وجهات النظر المختلفة حول هذه القضايا او تلك وطرق حلها. ان جوهر الديمقراطية بالطبع لا يكمن فقط في ابراز واظهار مختلف الاراء وامكانات تجسيدها عمليا، وانما في خلق أليات ديمقراطية بالدرجة الاولى تتيح المجال للبحث عن الطرق الامثل للحلول السياسية وغير السياسية وتحقيقها. وبهذا الشكل تغتني السياسة بمضمون جديد وتكتسب وظائف جديدة وتحتل مكانا جديدا في المجتمع. الى جانب ذلك تتغير اوضاع الاحزاب والحركات السياسية ودورها في المجتمع. **وتصبح الاحزاب التي تسترشد بالاشتراكية في وضع متساو مع الاحزاب والمجموعات والاتحادات الاجتماعية الاخرى.**

تبرز الى المقدمة الوظيفة التوحيدية للسياسة، وذلك النوع من التنسيق الديمقراطي للمصالح المتباينة والمتنوعة ونشاط الجماعات المنفردة،

Digitized by Birzeit University Library

الذي يتيح تحقيق الوفاق الامثل بينها فيما يخص تحديد ما هو في مصلحة المجتمع وما هو ضدها. ومثل هذه السياسة تضع حاجزا امام اساليب الحكم الادارية والتعسفية وتوصلها الى الحد الادنى. من الطبيعي ان يخطىء حتى الناس الاحرار الذين يملكون امكانية الاتحاد بطرق ديمقراطية والتعبير بحرية عن آرائهم وحل القضايا المتعلقة بحياتهم ومصيرهم بانفسهم. فالديمقراطية ليست ترسا واقيا من الاخطاء. الا انها تمكن من تخفيف هذه الاخطاء الى الحد الادنى. وهي قادرة بحكم طبيعتها الداخلية على الاستجابة السريعة للاخطاء التي ارتكبتها بنفسها كونها تستطيع اقامة رقابة مضمونة - "علاقة عكسية" - افقية وعمودية على حد سواء - الامر الذي اما ينعدم تماما في الانظمة الاستبدادية او يكون ضعيفا جدا.

ومن اهم سمات السياسة الجديدة هي قدرتها على التنبؤ والمبادرة لتحقيق التغيرات المبنية على الجرأة والاستعداد لخلق او تقبل تناسب القوى والمصالح الجديد، تلك القوى والمصالح التي برزت للتو على الساحة السياسية، والتي تضفي صفة اكثر دينامية على الحياة السياسية وتغير بسرعة التوازن الذي كان قائما سابقا.

ان مثل هذه الحاجة للمبادرة الموجهة نحو التغييرات والجرأة والشجاعة الضروريتين لذلك، لم يكن من الممكن ان تكون من طبيعة البيروقراطية الحزبية الحكومية التي ترسخت في نظام السلطة السياسية كاحد الاجسام المنعزلة والمستقلة من اعضاء الحزب العاديين والمجتمع باسره. وبالاحرى وجدت نزعة للحفاظ على الحالة الراهنة واستمرارها وليس للتغيير ابدا. فقد كان من الممكن للتغييرات ان تعرض الى الخطر الوضع الاستثنائي للبيروقراطية الحزبية الحكومية في نظام السلطة. فلم يكن لدى هذه القوى المحافظة بجوهرها القدرة على اظهار المبادرات السياسية الرامية الى اجراء تغييرات بشكل مستقل. وفوق ذلك ماطلت باجراء التغييرات، الامر الذي ادى الى نضوج المظاهر المتأزمة. وفي المجال الايديولوجي تسلحت البيروقراطية الحزبية الحكومية بالدرجة الاولى بالعقائد الجامدة البالية التي تستثني اجراء تغييرات ومارست ما يسمى ب "السياسة القائمة على الواقع" التي هي عبارة عن مجموعة عناصر الانعزالية غير السياسية من مختلف الانواع والتي لا تمكن من اقامة اية علاقة مثمرة مع جميع فئات المجتمع الاخرى. وقد ادت الريبة التي اتسم بها موقف البيروقراطية الحزبية الحكومية من المبادرة السياسية للاخرين الى قيام حملة "صير السحرة" ورؤية عدو ساحر وراء كل من هذه المبادرات. لذلك فضلت هذه البيروقراطية دائما وفي كل مكان اللجوء الى العنف البوليسي والضغط وغير ذلك عوضا عن البحث عن حلول سياسية.

ليس بمقدور اساليب "تنظيم" السلطة المشار اليها انجاز المطلب الاول والثاني للسياسة، بل على العكس من ذلك تؤدي الى مختلف اشكال المجابهات والى الازمات الكبيرة والصغيرة، لانها لا تقبل الالية الديمقراطية لتحقيق الوفاق المدني في ظل اختيار الحلول السياسية وتستبعد عناصر التنبؤ الضرورية جدا لابداء المبادرة السياسية واتخاذ موقف جريء من مسألة التغييرات. ولا يمكن طرح المبادرة السياسية وصياغتها بالشكل المناسب الا اذا تمت وفق الاسس الديمقراطية للكيان الاجتماعي ونتيجة الحوار الديمقراطي بين جميع القوى صاحبة المصلحة، ذلك الحوار المستند الى مواقف علمية والذي يجري في ظل الصراحة والاعلام التام والمضمون بحرية الخيار.

لم تتم حتى الان في اي مكان من العالم اقامة نظام ديمقراطي اشتراكي اصيل. غير ان ذلك لا

Digitized by Birzeit University Library

يعني ابدا استحالة اقامته. اما اسباب عدم تحقيقه حتى الان ولماذا جرى تشويه وانتهاك تلك المثل العليا للاشتراكية باعتبارها نظام العدالة الاجتماعية لدرجة كبيرة وبكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى تلك المثل التي كانت في مرحلة ما جذابة وكثيرة الامكانات، ان اسباب ذلك معقدة جدا. وهي بالدرجة الاولى اسباب ذات طابع اجتماعي ثقافي تاريخي. غير ان ذلك لا يعني ابدا استحالة تحقيق مشروع المجتمع الحر القائم على العدالة الاجتماعية. فهو لا يتناقض مع تيارات التطور الاجتماعي التي كانت موجودة في السابق او المعاصرة ولا مع الجوهر الانساني نفسه. ان الامثلة العديدة للسلوك الاجتماعي المدني والاهتمام المدني بقضايا المجتمع عندنا وفي البلدان الاخرى، تؤكد جدوى وفائدة مثل هذا البديل. وفعلا تدل التجربة المأساوية والمتناقضة تماما والمعقدة جدا بل والمفجعة لتطبيق المبادىء الاشتراكية في الواقع، على انه يستحيل بناء الاشتراكية بدون تطور شامل لحقوق الانسان وللحريات المدنية. وتلقن هذه التجربة درسا اخر. ومن المحتمل انه في سياق نفي النماذج القائمة - ان جاز التعبير - لبناء الاشتراكية سوف يضع مجتمعنا الذي يتحرر من كل غريب عنه نموذجا اخر للنظام الاجتماعي هو نظام ديمقراطي واشتراكي حقا.

● جانب من الجنازة الرمزية التي جرت للشهيد مصطفى الجرو في مخيم الجلزون، والذي استشهد في مدينة رام الله يوم الخميس (٥ /٤/٩٠) ●
(تصوير: عبد الرحيم الريماوي - خاصة بكتب «الاتحاد في القدس)

Digitized by Birzeit University Library

بلغاريا

رسالة مفتوحة الى الاصدقاء

يفغيني ستانتشيف

كاتب اجتماعي بلغاري

عل الرغم من ان هذا الامر غير عادي بالنسبة لمجلة مثل مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" فاني ارجو ان تقبلوا هذه السطور بوصفها رسالة شخصية الى اصدقائي واقربائي. فهم وحدهم يمكن ان يتسامحوا ازاء تردد عضو عادي مثلي في الحزب الشيوعي البلغاري وانفعاله وهفواته وتذبذبه. نحن اليوم في بداية كانون الاول. وقد مر وقت قصير عل قيام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري في العاشر من تشرين الثاني ١٩٨٩ بتنحية تيودور جيفكوف من منصبه كسكرتير عام للجنةالمركزية.لقد مكث حوالي اربعة عقود في قمة السلطة.

منذ شهرين فقط كان الامر بالنسبة لنا نحن البلغار سهلا، سهلا على الرغم من ان صدى هذه الكلمة مخيف. فقد كنا جميعا (او جميعا تقريبا) نعرف ما هو المسموح به وما هو الممنوع. وحددنا بدقة الموقع الذي يشغله كل فرد في سلم المسؤولية وامكانات اتخاذ القرارات. وكنا نعرف مع من نتكلم بضمير "انتم" ومع من نتكلم بضمير "انت". واستوعبنا كيفية التحدث والكتابة وبمن نستشهد ومتى وصورة من نعلق على الحائط وما هي الكتب التي يجب عدم قراءتها والاذاعات التي ينبغي عدم الاستماع اليها. واحرزنا على افضل صورة ملكة انتقاد او فضح ما يعجبنا في اعماق انفسنا بالرغم من ان ذلك ممنوع. وامتلكنا بامتياز لغة لقمان وعرفنا مسبقا ما الذي يعجب قراءنا ومشاهدينا والمستمعين الينا. وحقق بعض الزملاء مهارة عالية في امتلاك البهلوانية الصعبة بالتعبير عما يريدون هم وقراؤهم فقط من خلال الكلمات التي تسمح بها السلطة. واذا خانت الحذاقة فجأة احد "البهلوانات" واذا فقد اليقظة فانه ينتهي دائما تقريبا بصورة سيئة - بالنسبة له. على الرغم من ذلك جلب فائدة لاخرين، اقتنعوا ان المسألة مريبة والدرب تؤدي الى مأزق وبدأوا بالبحث عن طرق اخرى...

Digitized by Birzeit University Library

منذ شهرين كان الامر "سهلا". وكان ثمة من يقرر ما هو الصحيح وما هو الخطأ، ويضع الخطط، ويحضر التقارير، ويصوغ "النظريات" و "الاتجاهات الرئيسية"، ويقترح "الاراء" و "اعادة التنظيم" و "توزيع الكادر". وكنا نعرف موقع كل شخص وكل واحد من حاشيته. واذا اصيبت الحملة الدورية بالفشل لاقينا الحملة التالية بكلمات الاعجاب من دون اي شعور بالذنب. وكنا نصدق بسذاجة ونسمع تفسير الاحباطات، "بعض الدوائر الرجعية في الغرب" او "حالة السوق العالمية" او "سنة قاحلة" او "صيف ممطر". وكانت "الهيئات الجماعية" (اللجنة المركزية للحزب والجمعية الوطنية (البرلمان) طائعة مثلنا جميعا وتصوت بالاجماع وتوافق على اعادة تنظيم جديدة او نظرية جديدة (وكأنها من اعدادها). وهكذا كان يتبعها بالتصويت بهبة واحدة حزب اتحاد الشعب الفلاحي البلغاري الصديق والكومسمول والجبهة الوطنية والنقابات والاتحادات الابداعية والمنظمات النسائية والاجتماعية الاخرى وصولا الى الطلائع. وكنا جميعا نعرف الحقيقة ونصمت. وهكذا اسهل واضمن لان عدم الخضوع كان غالي الكلفة.

منذ شهرين كانت الحياة اوضح بالنسبة لنا. فقد اوضح لنا ذلك المدير والمسؤول الحزبي والصحف والاذاعة والتلفزيون. وعلمونا ذلك في المدارس والمعاهد ولسنوات طويلة في مختلف الحلقات التنويرية. وصدرت "قوانين احوال" الحياة والعمل وحتى نمط التفكير بعشرات المجلدات المغلفة باغلفة حمراء والمعنونة باحرف مذهبة وصدرت مئات الكراريس والوف عديدة من الدوريات. وعلقت لوائح "القواعد الاخلاقية" في الغرف والممرات ابتداء من رياض الاطفال حتى اللجنة المركزية. وكانت الطاعة هي موضوعها الرئيسي.

منذ شهرين كان يمكن الا نفكر. فكان ثمة من قام بذلك بدلا منا رغم ان العمل الذهني لم يكن اختصاصا اساسيا بالنسبة لاكثرية اصحاب القرارات. واقصد الموقع الفعلي وليس الرسمي - اذ جرى منح العديد من القادة درجات والقاب اكاديمية. ولم يكن من الجائز ان يفكر الناس البسطاء - كادوا يعتبرون ذلك خطيئة وكان يمكن ان يؤدي الى ابراز ضعف علم المعلمين. ولتجنب المجازفة كانت غرفة المعلمين مجهزة بآلية "اعلانية" منظمة بدقة. ولم نتكلم بصوت عال الا عن الحب والسمر والسياحة وفي الحقيقة عن السياحة الجبلية وليس حول الرحلات الى الخارج - كون الانطباعات عنها عفنة. وخصص لكل واحد عدة ملفات تتضمن معلومات من نوع فئة الدم حتى الموقف من موسيقى الجاز. وهذه المعطيات هي التي حددت الشخص الذي يمكن ان يصبح مسؤولا ويسافر الى الخارج ويحظى بالثقة... وكانت هناك ملفات للنخبة. لاولئك الذين كانوا يعتبرون مرشحين للمناصب الوزارية وللذين جلسوا دائما في منصات الرئاسة. واذا فشلوا بصورة مفضوحة في مناصبهم كقادة للمناطق عينوا مسؤولين في المؤسسات الاقتصادية، ثم ارسلوا سفراء الى الخارج. ولدى العديد منهم كان عدة بنادق ثمينة في بيوتهم الفخمة اكثر من الكتب التي قرأوها. ولكن ذلك كان يعتبر امرا عاديا - فكان يجب ان يكون احد يكسب غنائم الصيد في عشرات الغابات المحمية المقفلة في وجه الناس العاديين ويشرب الانخاب على شرف القادة في "بيوت" مريحة في ضواحي المدن وفي المقرات الرسمية المنتشرة في كل انحاء بلادنا غير الغنية عموما.

منذ شهرين كنا ننظر دائما الى الرفوف الفارغة في المحلات على خلفية ما يسمى "الخدمة الطبية المجانية" و "التعليم المجاني" وضرورة "الثورة العلمية التقنية". ومن كان يعتبر ذلك

Digitized by Birzeit University Library

قاعدة كان محقا - كان يمكن الحصول على اي دواء في المستشفى التابع للحكومة وكان اولاد القادة وفقا لمناصبهم يدرسون في كل انحاء العالم. وفي بلدة السكرتير العام السابق تم بناء مؤسسة لانتاج الكمبيوترات - رمز "تحليقنا" نحو قمم الثورة العلمية التقنية وذلك في مكان مصنع صغير للقرميد. وانتج حرفيو القرميد الكمبيوترات على الرغم من انه لا احد يعرف كم كان ذلك مكلفا لبلغاريا. وهل كان ذلك ضروريا لها عموما؟ اذ اننا وصلنا الى حالة اننا لا نستورد معها القطع المخصصة للكمبيوترات فقط، بل حتى البطاطا والفاصولياء. وهجرت القرى والبلدات في هذا البلد الذي كان زراعيا الى درجة لا يمكن ان يسمح بها اي اقتصادي جدي. واعتقد ان تشاوشيسكو وحده تخلص بصورة اكثر بربرية من الفلاحين الذين كان عليهم ان يتركوا الارض وينتقلوا الى الصناعة الثقيلة وما فوق الثقيلة المشكوك في امرها في المدن الكبيرة.

قبل تشرين الثاني ١٩٨٩ كنا نعرف ان الحياة على هذا النحو غير ممكنة. بل يمكن ان نعيش افضل وبصورة اذكى واكثر حضارية. ويجب ان نغير بصورة جذرية النظام الذي حولنا ببطء ولكن بثقة الى شيء فات اوانه على الساحة الاوروبية. ولا يمكن ان نستمر في خداع انفسنا بالتأكيدات التي تزعم اننا نقوم باعادة البناء وبالبحث عن طرق معللة علميا للخروج من حالة الخمول. فالوجوه "الابدية" التي قادت البلاد على مدى عشرات السنين لم تستطع التنازل عن مزاعمها الذاتية الانانية. وكنا بالانتقال مرة الى اليسار واخرى الى اليمين نقلد النشاط زورا لا غير، في حين ان العالم المتحضر اعتمد على منجزات علمية حقيقية وسبقنا بوتائر عالية. وظهرت نكتة مريرة هي ان اليابانيين لن يلحقوا بنا حتى ولو ركضوا لملاقاتنا. كان يمكن ان يكون ذلك مضحكا لو لم يكن حقيقة صحيحة ومخيفة. لاننا عندما كنا نتظاهر ببناء "الاشتراكية المتطورة" بلغت ديوننا في البلدان المتطورة حوالي ١١ مليار دولار القت بعبء كبير على اكتاف اقل من ٩ ملايين بلغاري.

اجل، لقد ادركنا انه لا يمكن ان نعيش هكذا وعرفنا العديد من اولئك الذين عرقلوا تطورنا الطبيعي. وقد اختفى البعض منهم من الحلبة السياسية وستتم حتى محاكمة البعض الاخر. ولكن الى جانب البقع السوداء في جدران المكاتب التي كانت صورهم معلقة عليها بقيت قضايا اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية تراكمت على مدى العديد من السنين. وبدأ الامر الاصعب: اننا صرنا نتحرك ولكن الى اين؟

منذ فترة قريبة تحدثت مع بعض الزملاء الشباب حول المؤتمر القادم لاتحاد الصحفيين، فقالوا "اننا نحضر مشروعا بديلا من النظام الداخلي" فقلت معارضا "ولكن المشروع الرسمي لم يظهر حتى الان" فاجابوا "لا بأس نقدم البديل في كل الاحوال".

والان، بعد هذه العقود الطويلة من "النظام الكامل" تبين اننا لا نعرف التفكير كما يجب. واتضح بعد كل هذه السنوات من "التقدم الواثق الى الامام" اننا حتى لان نعرف كل القضايا التي تواجهنا جميعا وتواجه كل واحد منا على حدة. واتضح ان بعض القرارات الخطيرة مثل قرار تغيير اسماء المسلمين البلغار الذي ادى الى هجرة مئات الالاف من الناس الى تركيا تم اتخاذها من قبل شخصين او ثلاثة او خمسة اشخاص كحد اقصى. وحدث ذلك في اللجنة المركزية والسكرتارية والمكتب السياسي، حيث كان "الاجتماع الكامل" مسيطرا تقليديا وفقا للصحافة. وكنا في الماضي ايضا نظن ان هذا التعبير يعني اساسا رأي "القائد الاول في الحزب والدولة". ولكن من المشكوك فيه ان يكون واحد منا قد فكر بان الحكم المطلق وصل الى مثل هذه المقاييس المشوهة. ولكن حتى لو افترض ذلك

Digitized by Birzeit University Library

فماذا بعد؟ فالاشخاص الذين يستقلون سيارات "المرسيدس" الفخمة ويوقفون الحركة في الشوارع يختبئون بتواضع خلف الستائر متخذين شكل القادة الوقورين والمطلعين. واليوم فقط اتضح ان خرق قواعد المرور كان اكثر أثامهم بساطة. واخفوا بالاستشهادات من ماركس وانجلز ولينين تعطشهم البدائي حتى الوقاحة وعديم الكفاءة والاناني للسلطة والاثراء الشخصي. واولئك الذين نعتوا انفسهم بانهم "تحدروا من صفوف الطبقة العاملة" وانهم ممثلون لها كفوا منذ زمن بعيد عن الشعور بانهم جزء من الشعب. وعندما وصلت آثار مأساة تشيرنوبل الى سماء بلادنا لم يحذر هؤلاء القادة سوى المقربين منهم من هذا الخطر.

اليوم نعرف الكثير عن العديد من الامور. وعندما نستطيع التحدث حول ذلك فاننا ندرك ان هذا ليس سوى نصف القضية. والان يتكلم الوف وعشرات الوف البلغار بحرية وانفعال وحماس. وهناك من القى خلال شهرين خطبا تفوق كل الخطب التي القاها خلال حياته وسيستمرون في الكلام حتى يذكرهم احد ما بضرورة العمل ايضا. اكثر من الماضي وبصورة معقولة وشريفة فعلا. لاننا الان نطمح الى حياة افضل وهذا يعني انه يجب ان نعمل بصورة اكثر كثافة.

واليوم يوجد العديدون من امثالي ممن افكارهم غير ثابتة. واعترف بصراحة وشرف انني لم استطع حتى الان ايجاد موقعي في الحزب والمجتمع. فقبل تشرين الثاني كان آخرون يفكرون نيابة عني. اما اليوم فيجب ان احدد بنفسي خط الحياة. هناك عديدون القوا بكل الذنب على الحزب وقبل ان يتخلوا عن البطاقات الحزبية بدأوا بالنضال ضده. والحركات والمنظمات البديلة تنمو بالفطر بعد المطر. في البداية كانت تظهر احزاب وتيارات وتكتلات واتحادات جديدة بصورة وجلة ثم بصورة اكثر استعراضية. واذا بقيت الوتائر الراهنة على حالها فسيصل عددها حتى نهاية العام الى اكثر من ٢٠٠ منظمة. واصبح واضحا ان النموذج المتلاحم والمعمم للشعب البلغاري حمل في نفسه جملة لا تحصى من الاراء والعقائد التي تزدهر الان. زد على ذلك انه عندما تم في اواخر عام ١٩٨٩ اقرار اعادة السماح للمسلمين البلغار باختيار اسمائهم بانفسهم وقف قسم كبير من الرأي العام ضد ذلك بصورة قاطعة مما فاجأ الجميع تقريبا. ولم يكن بمقدور اية حجج واستشهادات حول ان هذا القرار ينسجم مع الدستور وينبع من الاعلان العام لحقوق الانسان ان تبعث الهدوء في نفوس المعارضين. وظهر العلم البلغاري في ايدي المتظاهرين في العديد من المدن، المضطربين جدا والخطرين والمفعمة نفوسهم بالطاقة الكامنة للحرب الاهلية. وفي وسط صوفيا، امام مبنى الجمعية الوطنية اجتمع فريق هائل من الناس الذي اتوا من مختلف انحاء بلغاريا، حيث انضم اليهم السكان المحليون وبقوا هناك وهم يحملون اولادهم اياما كاملة في ظل برد قارس وصلت فيه درجة الحرارة الى ٢٠ درجة تحت الصفر. وطوال حياتي التي تبلغ نصف قرن لم اشهد قيام الصحف والاذاعة والتلفزيون بالادلاء باراء متناقضة تماما حول المسألة ذاتها. فالناس الذين صمتوا سنوات طويلة يريدون اسماع صوتهم واخذ رأيهم في الاعتبار. ولكن خبرتنا قليلة جدا في الاصغاء الى الطرف الاخر والبحث عن التفاهم والتمتع بالصبر حياله، اذ اننا تعودنا على الاوامر...

هناك قضيتان كبيرتان للغاية تواجهان بلادنا في بداية عام ١٩٩٠ هما وحدة الشعب والحالة الاقتصادية. وحتى الان ليس ثمة وصفة جاهزة لكيفية العمل. اي هناك العديد منها ولكن لم يتم اختيار اية واحدة منها بالتجربة، ما عدا تلك التي برهنت بوضوح في الماضي على عقمها.

Digitized by Birzeit University Library

ان البلغاري المتسامح تقليدا بالنسبة للمسألة العنصرية كشف عن نزعات قومية وشوفينية رهيبة واخذ البعض يتحدث عن "العرق الصافي" و "الامة الصافية" وعن دولة ليست موجودة في العالم. ان السياسة خلال العقود الاخيرة في مجال القضايا الاثنية ادت الى التراكم غير العادي للعفن الاخلاقي واثارت العديد من التناقضات المصطنعة، الامر الذي ربما يستدعي مرور وقت غير قليل قبل ايجاد حلول اكثر صحة في سبيل تحقيق الهدوء والوحدة الوطنية. وما دامت الوحدة غير متوفرة لا يمكن ان نتحدث حول الامن الوطني. ومما يستدعي التفاؤل القرار الذي اتخذ في ٢٩ كانون الاول ١٩٨٩ برفع سمعة البلاد امام كل العالم. وكان لا يمكن التفكير بان لدى بلغاريا فرصا للتطور الذاتي قبل حل هذه المعضلة. وفي عام ١٩٨٤ عندما "جعل "جيفكوف، يمكن القول بمفرده، المسلمين بلغارا مخلصين لم تستوعب اي دولة هذا الفعل بوصفه فعلا انسانيا وصحيحا. وهذا حق تماما. ولا يمكن لاحد سوى من كان في بلادنا في صيف عام ١٩٨٩ ان يعرف المعاناة التي مر بها شعبنا، حيث تدفق المهاجرون من جروحه مثل نزف الدم الغزير وحتى اليوم ارى امامي رتلا طويلا من الناس مع الاطفال والعجائز المجبرين على السفر الى الخارج. وقد عاد منهم ما يزيد على ١٠٠ الف شخص. ولكن الذين رجعوا والذين بقوا خلف الحدود سيتذكرون طوال حياتهم الالم والاهانات والمعاناة والذل الذي لحق بهم من جراء سياسة النظام السابق الاستبدادية.

ومن الرائع انه تم تحقيق اول نصر كبير وشامل في العهد الجديد في بلغاريا بالتحديد في النضال من اجل حل قضية حيوية جدا كالقضية القومية. فبعد عدة ايام متوترة من النقاشات الحامية في قاعة الجمعية الوطنية وفي اطار المجلس العام لممثلي مختلف القوى تم التوصل الى اتفاق على اساس التعددية. وتم اقرار وثيقة ختامية عرضت على البرلمان للتصويت عليها بعد مناقشتها بصورة واسعة. ويمكن القول مجازا ان نقاطها الأحد عشرة اصبحت من الاسنان الاولى للديمقراطية في العجلة التي يجب ان تقود الى الحركة آلية الوطن المتجدد على الطريق نحو اوروبا والقرن الحادي والعشرين. وجاء في الوثيقة ان "بلغاريا واحدة لا تتجزأ وهي وطننا "وان كل المواطنين البلغار متساوون امام القانون ويتمتعون بالحقوق والحريات ذاتها ويقومون بالواجبات نفسها، والواجب الاعلى للجميع هو حماية وحدة اراضي البلاد وسيادة شعبها. ومن الحقوق الرئيسية لكل انسان حقه في حرية الضمير والمعتقد والحرية الدينية وحرية اختيار الاسماء واقامة الشعائر الدينية والطقوس التقليدية واتباع العادات والتقاليد. وعلى الرغم من ان اللغة البلغارية هي اللغة الرسمية في البلاد فان المواطنين يستطيعون في التعامل بين بعضهم وخلال حياتهم اليومية التحدث باية لغة يريدون. ويجب الالتزام الحازم وغير المشروط بمبدأ مساواة كل المواطنين امام القانون بدون السماح باية امتيازات وافضليات. ويجب بصورة تشريعية توفير ضمانات حقوقية وادارية اضافية لازمة لحماية حقوق وحريات وامن الاقلية الاثنية ومصالحها وحياتها الهادئة في منطقة او جماعة او نقطة سكنية معينة.

من المستبعد وجود بلد آخر في اوروبا يوجد فيه مثل هذا العدد من اللوائح والاحكام والاوامر المتناقضة والتي ينفي بعضها البعض الاخر. وكانت اية فكرة تلوح لرئيس الدولة والحزب سابقا تحظى بثقل اكبر من اي بند من بنود الدستور، هذا ناهيكم عن قواعد الحياة الحزبية. لذلك، عندما توفرت للناس اخيرا امكانية التفكير بانفسهم والاصرار على حقوقهم وحرياتهم يكاد الامر يتطلب البدء من

Digitized by Birzeit University Library

جديد في كل شيء بما في ذلك التعليم السياسي والحقوقي وترسيخ الحقوق والحريات وتوفير الضمانات الطبيعية لاحترامها.

ويبدو انه من المظاهر الطبيعية والمميزة الى حد بعيد في العصر الجديد نشاط ما يسمى "عباد الشمس". ويستغرب البعض انه خلال حكم القيادة السابقة، كما تبين، كان هناك الكثير من الناس الذين تعرضوا للملاحقات والقمع وصولا الى واقع ان اللصوص واصحاب السوابق الذين لا يمتون بصلة الى الملاحقات السياسية قد اضربوا عن الطعام في الايام الاولى بعد العاشر من تشرين الاول مطالبين ب "حقوقهم". وليس من النادر ان يسمع المرء اليوم مزاعم رنانة من قبل بعض الناس الذين فشلوا نتيجة لتفاهتهم وعدم تحليهم بالانضباط والذين يقولون زورا انهم "ضحايا جيفكوف".

اما البعض الاخر فقد نسوا فجأة ما كانوا يصرحون به ويروجون له خلال سنوات طويلة. في الحقيقة نشرت بعض الصحف التي يترأسها اناس جريئون ونزيهون فعلا عددا من المواد القديمة لكي تذكرنا في اي طرف من المتراس كان البعض أثناء تلك السنوات العسيرة. وكتب احد زملائنا: "استقبل بعض الناس اعادة البناء بحماسة وفتحوا اذرعتهم لاحتضانها الى درجة تهدد بخنقها". اجل، يوجد مثل هذا الخطر الذي ينبع كذلك من اولئك الذين هم على اهبة الاستعداد للتسبيح باسم القيادة الجديدة بالتزلف والحمية اللذين حمدوا بهما القيادة السابقة. ان الدواء الشافي يكمن في الشباب الذين يقودون دوما توصيات وارشادات وبطريقة طبيعية تماما نوادي وحركات ومنظمات واحزابا ظهرت حديثا.

... ان فترة الركود قد ربتنا بطريقة سيئة جدا، اذ ان المساواتية والنداءات الانسانية المزيفة الداعية الى مساواة اجتماعية ما رعرعت في نفوس الناس شعورا انه ليس ثمة فرق بين العمل الجيد والعمل السيىء. وكان جيش الموظفين الملونين الهائل يثقل اكتاف الشغيلة بعبء لا يحتمل، ولكن ما كان في وسع المرء ان يعمل في الواقع عندما كان يرى مثلا توسع جملة من الابنية التابعة للجنة المركزية في وقت اطلاق الدعوات النشيطة لتقليص الجهاز الاداري، اذ ان بناء سكنيا قد الحق بالبناء الرئيسي للجنة المركزية في وسط صوفيا ثم تبعه مبنى اخر وهكذا دواليك... ثم ظهرت في كل مكان قصور تابعة للجان حزبية تقف امامها سيارات ليموزين سوداء فاخرة ويحرس ابوابها رجال الميليشيا. وكان الموظفون الذين يحتلون مناصب جيدة يعيشون حياة رغيدة على حساب الاشتراكات الحزبية والدعم الحكومي. ومن المشكوك فيه ان يلقى الكثير منهم اليوم عملا اخر في الظروف الجديدة. اذ ان قليلين منهم يصلحون لهذا النوع او ذاك من النشاط الابداعي.

وقد برز الكثير من القضايا التي لم نكن نتصور وجودها او نسيء تقديرها، بل ابعادها وحدتها، اذ ظهر ان وتاثر النمو العالية التي افتخرت بها البلاد تم اختلاقها من مكتب السكرتير العام. وتتسم بصفة مأساوية المعلومات الصحيحة الاولى حول حالة تربة بلغاريا والوضع الايكولوجي وانتاجية العمل وتوزيع المساكن وقلتها والهوة الضخمة بين اعلى الاجور والمرتبات التقاعدية وادناها (لقد اتخذت اولى الخطوات لتسوية هذه القضية) وتزويد الاقتصاد بالتكنولوجيا والعديد غيرها. وتسعى جميع النوادي والحركات والاحزاب الجديدة تقريبا الى ادخال روافع السوق. ومن الطبيعي ان تتمايز وجهات النظر فيما بعد وفقا للاهداف والمصالح الاستراتيجية. الا ان ذلك قد يسفر عن صعوبة تحقيق الاصلاح الاقتصادي الموحد. كما يتبين ان الاسلوب الاداري الاوامري في القيادة لن يتيح تحقيق التغييرات الجذرية (وليس في الموقع الاخير اخذ تجربة البلدان الاخرى

Digitized by Birzeit University Library

والاتحاد السوفييتي في المقام الاول في الحسبان).

الا انه من الواضح ان الطريق المستقيم يمر عبر التغيرات الحقيقية والوطيدة والجذرية. ولا يمكن تأمين علاقات الانتاج المتجددة الا عن طريق سن قوانين تقدمية حول الارض والملكية وما شابه.

ومن البديهي في المقام الاول انه لا يمكن فصل الاصلاحات الاقتصادية عن الاصلاحات السياسية. اذ ان الأولى تنبثق من الثانية والعكس بالعكس. ولا يجوز لاحد ان يتظاهر بانه لا يعرف ان فئة "السابقين" القوية والمجربة بما فيه الكفاية ستعمل كل ما في وسعها للبقاء في دست السلطة ومحاولة اعاقة التغييرات.

عندما اقترحوا علي ان اكتب مقالة للمجلة ظننت انني سوف اتحدث باختصار عن مشاعري ورؤيتي للاحداث رؤية هامشية الى حد ما. اما الان فانا اختتم مقالتي واشرح هذه الهفوة بالميل العام السائد في بلغاريا الى التأملات العميقة. اضف الى ذلك انه لا وجود لرأي واحد حول الكثير مما يجري في البلاد. وليس من النادر ان تساعد العواطف واختلاف الاراء الى تبيان الحقيقة وتشكل الاخطاء افضل عبرة للمستقبل بشرط اكتشافها وتقييمها تقييما سليما وعدم تكرارها.

■ «لبنان قام من بين الانقاض» ■

اعطوهم السلام والامان ليكبروا ويرتلوا: «لبنان قام من بين الانقاض». اطفال من بيروت الشرقية يوم احد الشعانين (١٩٩٠/٤/٨)
(صورة من «و ص ب»)

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والآراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاولى وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل، المهنة، والعنوان، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة. علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة، وعلى وجه واحد من الورقة، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى: مجلة الكاتب/ ص.ب (٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

• قسيمة اشتراك •

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب .**

قيمة اشتراك واحد لمدة ..... على ان ترسل الى العنوان التالي

الاسم _____

Name _____

العنوان _____

Adress _____

المدينة _____

City _____

البلد _____

Country _____

قيمة الاشتراك

	سنة		
للافراد	٣٠ دولار	للمؤسسات المحلية	٥٠ دولار
الاشتراك المحلي	٦٠ دولار	اوروبا	١٠٠ دولار
اوروبا	٧٥ دولار	بلدان اخرى	١٢٠ دولار
بلدان اخرى			

الاشتراك السنوي

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي

AL - KATEB.P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

● بيت حنينا ـ القدس ـ احد افراد حرس الحدود يوقف طالبا (١٢ سنة) اثر تعرض سيارة شرطة اسرائيلية للرشق بالحجارة، وقد تم اعتقال طالبين.
(خاص بـ «الاتحاد» ـ تصوير: عصام دعيق)

□ جندي اسرائيلي بالقدس.

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

121

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL. (02)856931

Digitized by Birzeit University Library